آفاق جديدة

في المعجمية العربية الإسلامية

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

فهمي ، خالد
آفاق جديدة في المعجمية العربية الإسلامية / أ.د. خالد فهمي .
ط١ - القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠١٧.
٢٥٦ص، ٢٤سم.
تدمك ١ ٥١٦ ٣١٦ ٩٧٧ ٩٧٨
١- المجتمعات الإسلامية
أ- العنوان ٣٠١.٩٥٣

تاريخ الإصدار: ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م
حقوق الطبع: محفوظة
الطبعة: الأولى
رقم الإيداع: ٢٠١٧/٤٠١٧م
الترقيم الدولي: ISBN: 978 – 977 – 316 – 516 – 1
الكود: ٢/٤١٤



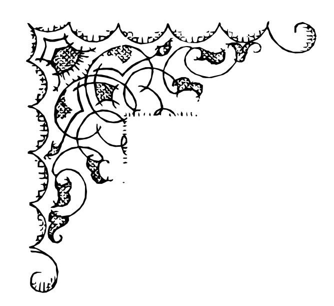
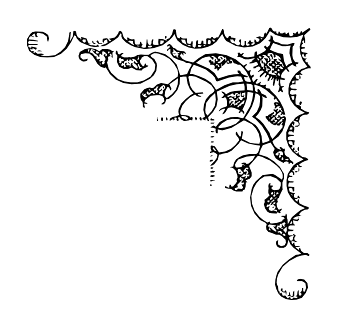
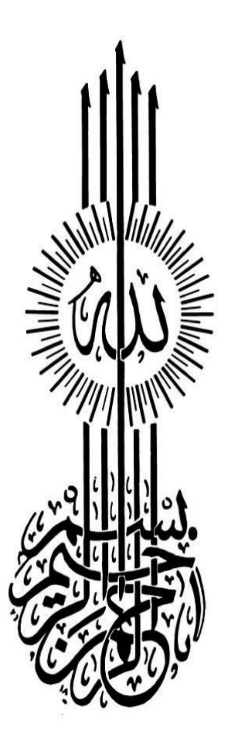
دار النشر للجامعات
ص.ب (١٣٠ محمد فريد) القاهرة ١١٥١٨
E-mail: darannshr@hotmail.com



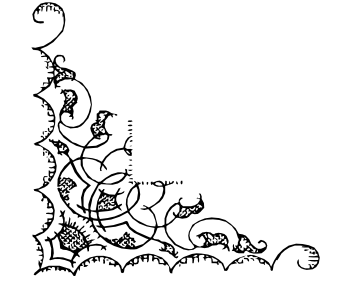
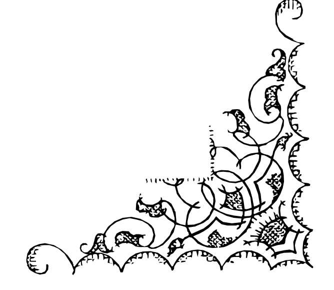
آفاق جديدة
في المعجمية العربية الإسلامية

أ.د. خالد فهمي

كلية الآداب/ جامعة المنوفية

فاتحة كل خير وتمام كل نعمة



إلى كل الذين غمروني بحبهم منذ كنت صغيرا..

إلى آبائي، وأمهاتي،

ومشايخي، وشيخاتي،

وأصدقائي،

وتلاميذي، وتلميذاتي،

وأبنائي الروحيين، وأبنائي الحقيقيين،

وأحبائي.

إليهم جميعًا إذ لم أكن لو لم يكونوا!

خالد

المقدمة

اللّهم إني "أسألك بأصح سر، وأكرم لفظ، وأفصح لغة، وأتم إخلاص، وأشرف نية، وأفضل طوية، وأظهر عقيدة، وأثبت يقين، أن تصد عني كل ما يصد عنك، وتصلني بكل ما يصل بك، وتحبب إليّ ما حبب إليك.. لا إله إلا أنت" [من دعاء أبي حيان التوحيدي في البصائر والذخائر ٣/٦].

وبعد..

فهذا كتاب جديد في مسعاه الذي يريد أن يثبته في الدرس المعجمي العربي، كشفًا عن مسارات بقيت مهملة زمانا طويلا، وتأريخا لما نتصوره حلقات ظلت غائبة غير معتنى بها، وتصنيفا يستوعب بيان الوظائف والمقاصد التي حكمت خدمتها.

إن هذا الكتاب يريد أن ينطق بحق ظل مطْمورا في السطور، يتردد أثره في الصدور، شعورا به، وإحساسا بقيمته، وهو أن التصور الإسلامي للحياة والوجود كان فاعلا في البحث المعجمي في العربية على امتداد تاريخها الطويل، على مستوى المعجمية العامة والمختصة معا.

إن المعجم، ربما صح أن يكون معادلا للعالم في الثقافة العربية الإسلامية، وهي الحقيقة التي يمكن تلمس الأدلة عليها من جوانب كثيرة، يمكن أن نوجزها في ما يلي:

أولا– غياب المعجمية العربية بإطلاق في الجاهلية، وهي المرحلة التاريخية السابقة لنزول القرآن الكريم.

ثانيا– ارتباط المعجمية العربية في الوجود والنشأة بالكتاب العزيز؛ إذ كانت معجمات غريبه أسبق الأنواع جميعا في الميلاد.

ثالثا– تعانق تطور المعجمية العربية بتطور حركة العلم في المجتمعات العربية الإسلامية، فعلى حين افتتح النشاط المعجمي وجوده بمعجمات الغريب القرآني، تأخر

جود معجمات المصطلحات العلمية في الخطاب العلمي العربي الإسلامي إلى ما بعد استقرار المجتمع بعد نحو ثلاثة قرون كاملة، أو يزيد من نزول القرآن الكريم؛ أي أن الدخول في خدمة المعجمية العربية لم يكن إلا بعد جمع الكتاب العزيز، وجمع السنة وتدوينها، وتأسيس المدارس العلمية (أو المذاهب الفقهية).. إلخ.

رابعا- انعكاس الخصائص العامة للإسلام على مجمل النشاط المعجمي في تاريخ هذا العلم عند العرب، وهو ما يعني ظهور مجموعة من العلامات حكمت مسيرة البحث المعجمي في العربية من مثل:

١- هيمنة الروح التيسيرية على المستعملين، وهي الهيمنة التي تجلت في التنوع المنهجي، والانفجار التصنيفي، وتمدده الزماني والمكاني.. إلخ.

٢- شيوع الروح الاستيعابية لجوانب الوجود والحياة، وهو أثر من رعاية التصور الإسلامي للشمول المادي والروحي معا، وللأرضي والسماوي أيضا، وللإنساني وغير الإنساني كذلك.

٣- ظهور ارتباط المنجز المعجمي العربي بنوع تفكير مقاصدي، يرعى مجموعة مهمة من المقاصد العليا والعامة في الفكر الإسلامي، حفظا للدين وخدمة له، وتيسير على الإنسان المستعمل، وتطويرا لما تراكم من مفردات هذا المنجز، وإحكامه وتخليصه مما علق به من عيوب النقص والاضطراب.. إلخ.

إن هذا الكتاب يحاول أن يكشف عن وجه طالما اختفي وراء ثورات العناية بتيار واحدٍ تقريبا، من مجمل المنجز المعجمي العربي في الدرس المعجمي العربي المعاصر، ويفتح الباب أمام حقيقة تستعلن بعنف، وهي أن ما ينتظر الدرس المعجمي العربي تأريخا وتصنيفا وكشفا عن حدود منجزه من جهد ما زال أمامه طريق طويلة جدًّا.

ومن أجل ذلك وغيره رأي هذا الكتاب أن يقف أمام مجموعة من القضايا المعجمية العربية الإسلامية؛ ليدلل على صدق دعواه التي أطلقها.

ويعالج هذا الكتاب ما انتدب نفسه إليه من خلال ما يلي:

التمهيد– وعنوانه: المعجم: مفهومه وأجواء الميلاد الأول.

الباب الأول– المعجمية العربية في إطار الوحي (التلاوة/ والفهم/ والاستنباط).

وفي هذا الباب وقف هذا الكتاب أمام تأثير الوحي في أصليه العظيمين (القرآن الكريم، والسنة المشرفة) في ظهور نشاط معجمي يستهدف معالجة قضايا الوحي، إن على مستوى منهجية التعامل معه؛ بما يعين على فهمه وتفعيله في الوجود الحي، وإن على مستوى ما يستخرجه العقل منه، ويريده الله تعالى أن يستقر في الحياة.

وقد ضم هذا الباب الفصول التالية:

الفصل الأول– في معجمية الوحي (التلاوة).

١- معاجم التجويد.

٢- معاجم القراءات.

الفصل الثاني– في معجمية الوحي (الفهم).

١- معاجم مصطلحات الحديث.

٢- معاجم الجرح والتعديل.

٣- معاجم الغريبين.

الفصل الثالث– في معجمية الوحي (الاستنباط).

١- معاجم العقيدة.

٢- معاجم الفقه.

الباب الثاني– المعجمية العربية في إطار الحضارة.

وفي هذا الباب وقف هذا الكتاب أمام تأثير الروح الحضارية التي أفرزها الإسلام على أرض الواقع في ظهور نشاط معجمي يتعاطى معها، ويخدمها، ويستجيب لتجلياتها المنهجية والمادية معا.

وقد ضم هذا الباب الفصول التالية:

الفصل الأول– في معجمية الحضارة (الأصول).

١- معاجم علم المخطوط (العلم في هدف وعاء الحضارة).

٢- معاجم مصطلحات البحث والتأليف (استثمار ما في الوعاء).

٣- معاجم مصطلحات الوثائق والأرشيف.

الفصل الثاني– في معجمية الحضارة (التطبيقات).

١- معاجم ألفاظ الحضارة.

٢- معاجم مصطلحات الاقتصاد الإسلامي.

٣- معاجم المصطلحات العسكرية.

الفصل الثالث– في معجمية الحضارة (الأثر).

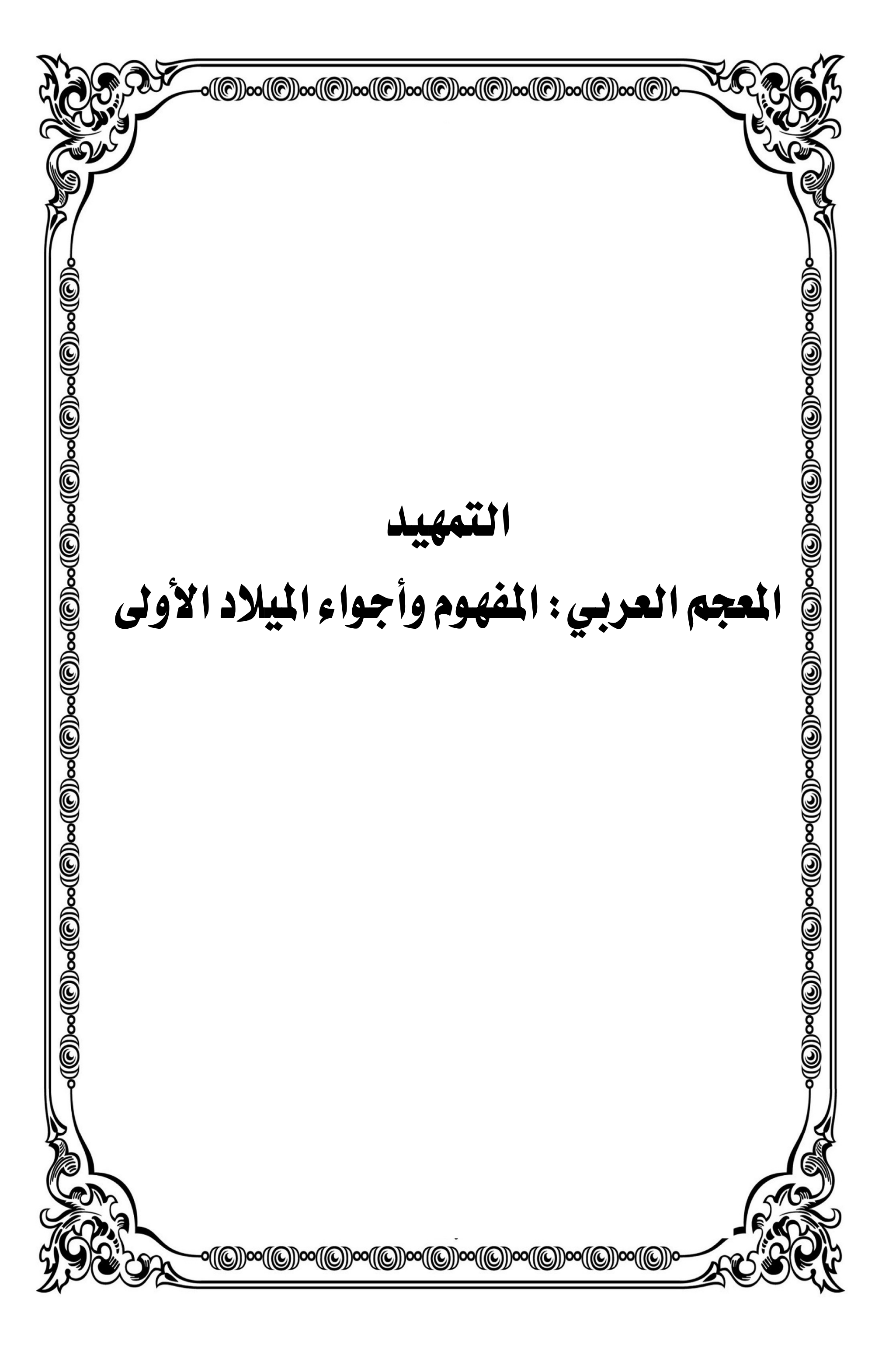
١- أثر البلاغة في تطوير المعجمية العربية: خطاب التصنيف والوظائف.

٢- السفينة في المعجمية العربية: قراءة في آفاق القدرة والمرونة اللغوية.

لقد حاول هذا الكتاب مجتهدا أن يكشف عن بعض ملامح النور في النشاط المعجمي المنبثق من شمس التصور الإسلامي، واجتهد في أن يترجم عن بعض ما تردد في نفس صاحبه من شعور حقيقي بقيمة هذا المنجز في إطاره الفكري. وكل رجائه أن يكون أحرز بعض التوفيق.

والله تعالى يقول الحق، وهو أرحم الراحمين.

خالد فهمي



التمهيد

المعجم العربي: المفهوم وأجواء الميلاد الأولى

أولا
المعجم
(المصطلح والمفهوم)

طريق طويلة تلك التي سلكها هذا اللفظ؛ لفظ المعجم حتى صار عَلَمًا على علم في غاية الخطورة والأهمية؛ لدرجة أنه يحلو لي- ويحق- أن أسمي زماننا هذا زمن المعجم، مستندا في تسميتي هذه إلى عدد ضخم من المبررات، ليس هذا أوان طرحها ومناقشتها الآن.

ومخطئ من يظن أن الرحلة التي قطعها هذا اللفظ حتى صار مصطلحا، واستقر مفهومه ومعناه فيما يعرفه المتخصصون- اليوم- كانت خالية من أيّ عقبات، أو كانت ممهدة لم تعانِ في مسيرها مع طول المدة والوقت التي استغرقته، بل بالعكس هو الصحيح تماما؛ ذلك أن هذا المصطلح عانى كثيرا قبل استقراره مصطلحا، عانى من مجموعة "أمور، لعل من أهمها، ذلك الغموض الذي أحاط بدلالته، وبنشأته ووجوده، وخروجه إلى حيز الاستخدام العلمي، كما أننا لم نعرف حتى الآن على وجه التحديد توقيت استخدامه في التراث العلمي للعرب، على الرغم من تفوقهم الظاهر في هذا الميدان. كما أن ثمة غموضا يحيط بحقيقة أن أحدا من اللغويين العرب والمعجميين منهم على وجه التحديد، ومع كثرتهم- لم يفرد له بحثا تنظيريا، يعرفه فيه، أو يعرض لمفهومه، ومن أي أصل جاء، وما هو هذا الأصل؟ وماذا كانت دلالته؟ وما العلاقة بينه وبين هذا الأصل الذي اشتق منه؟ ولماذا خلت كل المعاجم العربية من عنوان يتضمن ذلك اللفظ الذي هو: (المعجم)؟[1]

---

(١) لا أحب لك أن تنخدع بمجيء هذا اللفظ في المعاجم العربية، فهي تتعامل معه باعتباره (مصدرا) Verbal noun لا اسما noun، فضلا عن أن تكون قد عرفته باعتباره مصطلحا على ما نحن بصدده، يقول الفيروزآبادي في القاموس المحيط (عجم) ٤/١٤٥: "وحروف المعجم: أي الإعجام، مصدر، كالمُدخل؛ أي من شأنه أن يعجم"، والفيروزآبادي من أواخر من صنعوا معجما حيث توفي سنة ٨١٧هـ، ومن يستخدمه اسما يستخدمه Attribute صفة لموصوف محذوف من قولهم: "حروف الخط المُعجم"،=

هذه نماذج من السؤالات التي يمكن أن تجابهك عندما تفكر أو تحاول أن تفكر في المسيرة التاريخية والدلالية التي قطعها هذا اللفظ (المعجم)، حتى استقر مصطلحا ومفهوما عند أصحاب الدراسات اللغوية والمعجمية والدلالية.

وأحب أن أقف بك قليلا هنا وفي مفتتح هذه الدراسة، أمام هذه الكلمة، لأحسم معك مادة الخلاف التي يمكن أن تثور حولها، أو أحاول أن أقترب بك نحو مساحة ممكنة من الالتقاء في منطقة وسطى، لنقرب مسافة الخلاف، ونقلل من أي شيء يمكن أن يمثل فجوة في هذا الموضوع. وتستمد هذه الوقفة أهميتها من باب أن مصطلح المعجم هو بطبيعة الحال المصطلح المحور هنا، وفي أية دراسة تتخذ لنفسها عنوان المدخل أو المقدمة لدراسته، وأنه واحد من تلك الكلمات المفاتيح التي ترسم مبادئ هذا العلم، وهو علم المعجم، وتحدد أبعاد عمود الصورة المكوّنة لما يمكن أن تسميه: نظرية المعجم.

في أحدث تعريف لمصطلح المعجم عند الغرب على شبكة المعلومات الدولية (إنترنت Internet) ورد ما يلي:

Dictionary, alphabetical compilation of the words of language, giving their meanings, spelling, etymology, pronunciation, and syllabication(1).

وتقول ترجمة هذا النص: "المعجم: ديوان أو مصنَّف هجائي للألفاظ في لغة ما؛ لبيان معانيها وهجائها واشتقاقها، وضبطها (أو طريقة النطق بها) ومقاطعها الصوتية".

ويقول معجم وبستر الدولي تحت مدخل (Dictionary المعجم): "هو كتاب يحتوي على مجموعة من المفردات اللغوية مرتبة ترتيبا هجائيا، ويعطي بيانات عن معانيها وهجائها ونطقها واشتقاقاتها وصرفها"، وهو تعريف لا يختلف في كثير أو قليل عما جاء وسجل على شبكة المعلومات الدولية، وهو صريح في القول بأن الغرب لم يعرف سوى

= فصارت: حروف المعجم. وانظر: الصحاح (عجم) ٥/ ١٩٨٠، وانظر المناقشة الممتعة حول هذا في المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (عجم) ١/ ٢١٠.

(١) انظر: Encrota R 98 Desk Encyclopeda

الترتيب الهجائي، على غير ما هو عندنا نحن العرب، الذين تنوعت مناهج التأليف المعجمي عندهم، على نحو غزير ومتعدد الجوانب.

وبغض النظر عن كلمة (هجائي alphabetical) التي وردت في النصين، نص (الإنترنت) ونص وبستر، وبغض النظر عن عدم رضائنا عن هذه التعريفات التي مرت بك ونقلتها لك مما سوف يتضح بعد قليل؛ فإننا إذا نظرنا إلى مصطلح المعجم Lexicon\ Dictionary، فإننا "لا ندري على وجه التحديد، متى استخدم للدلالة التي نتعارف عليها اليوم باعتباره: ديوانا لمجموعة من الألفاظ أو الكلمات المشروحة (أو المفسّرة والمعرّفة بالمعنى المنطقي لمصطلح المعرفة)، والمستشهد عليها (بما يدل على صحة هذا التفسير أو الشرح أو الاستخدام) والمرتبة وفق منهج خاص"[1]. والمحتوي على عدد من المعلومات اللازمة لهذه الكلمات والدائرة في فلكها والمسهمة في تكميل دائرة دلالاتها ومعناها.

لقد مرت الكلمة (المعجم) باستخدامات كثيرة متعددة، (وفي مجالات معرفية متنوعة)، حتى استقرت دلالتها لتكون ذلك الكتاب الذي يجمع بين دفتيه ألفاظ اللغة (أيَّ لغة؛ عامة أو خاصة)، هادفا إلى شرحها، وتفسيرها، وبيان معناها، والاستشهاد على صحة ما يورده من معان لها. وأحسب أن تسمية هذه الكتب التي تعنى بيان دلالات الألفاظ- بالمعجم- جاء من إحدى دلالات الفعل (أعجم)، وهي معنى: إزالة الاستعجام، سواء كان هذا الاستعجام نقطا؛ لتمييز الحروف المتشابهة رسما بعضها من بعضها، أو ضبطا وشكلا؛ لبيان الكيفية الصحيحة في نطقها. يقول الخليل بن أحمد (١٧٥هـ) في كتابه العين وهو أول معجم يصل إلينا: "وتعجيم الكتاب: تنقيطه كي تستبين، ويصح"[2]. ويقول الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ) صاحب الصحاح:

(١) تراث المعاجم الفقهية في العربية، دراسة لغوية للدكتور خالد فهمي، ص٥. وانظر:
Webster’s Third new internatiomal Dic. P. 400.

(٢) العين (عجم)، ١/٢٣٨.

"والعجْم: النقط بالسواد؛ مثل الفاء عليه نقطتان، ويقال: أعجمت الحرف. والتعجيم مثله"(١).

ومن ثم يصبح المعجم بعد هذا البيان الاشتقاقي للأصل الذي انحدر منه هو: الكتاب الذي يعنى ويهتم بإزالة إبهام دلالات الألفاظ والكلمات، وتوضيح ما يحيط بدلالات هذه الكلمات أو تلك- من غموض في المعنى، وتصبح دلالة لفظ (المعجم) تطورا دلاليا من باب التطور بالانتقال، أو ما يسمى بالتوسيع الدلالي أو التعميم من معنى إزالة ما يحيط بالشكل والضبط والحروف من استعجام، إلى إزالة الإبهام والغموض الذي يحيط بالمعنى ويدور حول الدلالة والتصوّر.

وعن هذه الطريق التطورية لمعنى الأصل (أعجم) التي جاء منها المعجم- وُلد المعنى الذي حكم دلالة هذا اللفظ الذي صار مصطلحا وعلما على ما مر بك بيانه الآن.

أما عن تحديد الزمان أو التوقيت الذي تم فيه ميلاد هذا الاستخدام الذي انحصر فيه لفظ (المعجم) ليدل على مصطلح ذي مواصفات خاصة تدور حول هذه النوعية من الكتب أو الدواوين التي تقوم على جمع ألفاظ اللغة، وبيان معانيها ودلالاتها، وطريقة نطقها وبيان أصلها الاشتقاقي إلى غير ذلك من المعلومات اللازم إيرادها في المعاجم، ونحن بصدد بيان دلالة لفظ ما من الألفاظ- فإننا لا نستطيع الجزم به أو تحديده على وجه الضبط والدقة، فاللغويون والمعجميون منهم على وجه التحديد "وقد تفتقت بهم الحيل فوضعوا (المعاجم) وصنفوها لم يسبقوا بإطلاق اسم (معجم) على كتبهم اللغوية التي تعالج (وتتعاطى) تفسير الألفاظ والمفردات (والكلمات)، أو تحشدها في موضوعات وأبواب"(٢).

وليس معنى عدم استخدام هذه الكلمة التي هي (المعجم) في عنوانات الكتب التي تجمع المفردات وتشرح معناها وتستشهد على صحة هذا المعنى أو ذاك- أن محتواها أو

---

(١) الصحاح (عجم)، ٥/١٩٨١.

(٢) المعاجم العربية، دراسة تحليلية، ص١١٦. وانظر: المعجم العربي، نشأته وتطوره، ١/١١. وتراث المعاجم الفقهية، دراسة لغوية، ص٦.

مضمونها أو معناها أو مفهومها لم يكن موجودا، كلا! فقد يولد الشيء، ويكثر وجوده واستخدامه من دون تسميته أصلا أو استخدامه مع تسميته باسم آخر، وهذا هو عين ما حدث. فقد وُلِد العين؛ وهو أول معجم عربي ظهر للوجود في تاريخ حركة التأليف المعجمي في الحضارة العربية الإسلامية، من دون عنونته بعنوان المعجم، وإنما سماه صاحبه: كتاب العين، ثم سميناه بعد ذلك في حركة هذا العلم وعرفْناه أنه أول معجم عربي في التاريخ العلمي العربي.

على أنه يجدر بنا أن نشير إلى شيء مهم، هو أنه على حين لم يستعمل المعجميون واللغويون هذه الكلمة أو هذا المصطلح في دراساتهم أو كتبهم اللغوية المصنفة تحت مفهوم المعاجم- فليس معنى هذا غيابها تماما من كل الحقول أو المجالات المعرفية الأخرى في المجال العلمي العربي.

ذلك أننا نرى المؤرخين، والمشتغلين بعلم الرجال؛ من المعنيين بمتابعة تاريخ المحدثين وتعديلهم وتجريحهم وتوثيقهم وتضعيفهم، وعلماء التراجم والطبقات قد سبقوا إلى استخدام هذا المصطلح في إطلاقه على كثير من عنوانات كتبهم التي وصلت إلينا، وتترجم أو تعرف الأعلام من المحدثين، وبيان أحوالهم ودرجات توثيقهم، حيث نرى أنه قد وضع: "أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى (٢١٠- ٣٠٧هـ) كتابا سماه معجم الصحابة"، وهذا تاريخ مبكر جدا يدلك على سرعة استجابة الواقع العلمي، ونهوضه متأثرا بنزول القرآن الكريم، ويدلك من طرف آخر على سرعة تلبية احتياجات الواقع العلمي في كافة ميادينه، كما يدل على ترابط الحياة المسلمة القديمة، وأنه لا مجال لوجود جُزر متفرقة أو متباعدة بين المتخصصين في العلوم المختلفة، فنشأة المعاجم التاريخية، إن صح التعبير، أو معاجم الطبقات كان لزاما لخدمة علمي الجرح والتعديل، وبيان أمر انضباط الحكم على رجال التحديث من توثيق أو تضعيف أو تدليس إلى آخره، معنى هذا أن عيون المجالات المعرفية على المستوى الحضاري الإسلامي والعربي كانت مفتحة جميعا ترقب في شغف الاحتياجات العلمية وتسعى جاهدة إلى القيام على تلبيتها ورعايتها، وإخراجها إلى حيز الوجود خدمة لعلم من العلوم في هذا المحيط أو ذاك.

على أننا نحب أن نشير إلى أن كتاب أبي يعلى لم يكن الوحيد الذي حمل في عنوانه كلمة (معجم)- بل لدينا مجموعة ضخمة من هذه الكتب التاريخية التي تعنى بالترجمة لعدد من رجال الحديث- تحمل عنوان: (المعجم)، ربما كان أقدمها هما: المعجم الكبير، والمعجم الصغير، لأبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي المتوفى سنة ٣١٧هـ[1].

ومن هذه الكتب التي تحمل في عنواناتها لفظ المعجم ما يلي[2]:

١- المعجم الكبير والأوسط في قراءات القرآن الكريم، للنقاش الموصلي، أبي بكر محمد بن الحسن المتوفى سنة ٣٥١هـ.

٢- المعجم الكبير والأوسط والصغير، لأبي القاسم، سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠هـ.

٣- معجم الشيوخ، لأبي بكر، أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي المتوفى سنة ٣٧١هـ.

٤- معجم الشعراء، للمرزباني المتوفى سنة ٣٨٤هـ.

٥- معجم الصحابة، لابن لال الهمذاني المتوفى ٣٩٨هـ.

وغير ذلك كثير جدا حمل في عنوانه لفظ (المعجم).

ونظرة سريعة إلى هذه القائمة الصغيرة التي جئت لك بها هنا الآن ترينا دوران دلالة هذه الكلمة التي صارت فيما بعد مصطلحا، حول معنى القائمة التي تجمع عددا من الأسماء لأعلام الصحابة رضي الله عنهم، وشيوخ الرواية والحديث والشعراء، وغيرهم من الأعلام الذين ينتمون إلى مجالات معرفية مختلفة.

---

(١) انظر: المعاجم العربية، دراسة تحليلية، ص١١٦. والمعجم العربي، نشأته وتطوره، ١/١١. وتراث المعاجم الفقهية، دراسة لغوية، ص٦.

(٢) رصد حاجي خليفة في كشف الظنون ٢/١٧٣٣ وما بعدها- ما يزيد على خمسة وأربعين كتابا تبدأ عنواناتها بكلمة (معجم)، وانظر: الفهرست، ص٥٦.

ومن هنا على وجه التحديد، وفي هذا التوقيت أظن أنه ولد أول معنى على طريق إنتاج **مصطلح معجم**، هذا المعنى هو (القائمة List)، ضمت هذه القائمة أسماء أعلام لرجال أو بُلدان أو قراءات أو ما إلى ذلك. المهم أن هذا هو أول خيط يمكن أن نضع أيدينا عليه.

ومن ثم أصبح يسيرا ما دام معنى المعجم باعتباره قائمة قد وُلِد ووُجد وظهر للحياة، أن تضم هذه القائمة ألفاظا أو كلمات أو مفردات تحل محل ما كان موجودا من أسماء الأعلام والرجال سواء كانت هذه الأسماء لصحابة، أو رواة ومحدثين أو شعراء أو غيرهم. المهم أن التصور أصبح موجودا وممكنا، لأن المهم هو أن دلالة المعجم باعتباره قائمة قد تم ميلادها واستقرار حياتها.

وأسهم- مع المؤرخين- المهتمون بعلم الكتابة أو الهجاء والخط من العلماء العرب والمسلمين في السعي بهذه الكلمة نحو استقرار معناها ودورانه حول المعنى الاصطلاحي، من أمثال ابن درستويه في كتابه (كتاب الكِتاب)؛ أي الهجاء والكتابة وتقويم اليد، ومن أمثال البلوي في كتابه ألف باء[1].

اتضح لنا الآن، مما قدمناه- كيف تطورت دلالة كلمة (المعجم)، وانتقلت من الدلالة على معنى: إزالة إشكال أو غموض في ضبط بنية كلمة ما (في المعنى اللغوي الذي ورد في المعاجم العربية على اختلافها)، إلى معنى آخر قريب من هذا: هو إزالة الإبهام والغموض الذي يحيط بدلالة لفظ ما أو معناه أو تصوّره، في المعنى الاصطلاحي لكلمة (المعجم). ورحلة الانتقال الدلالي من **إزالة إبهام في الضبط** إلى **إزالة إبهام في المعنى والدلالة**- لها حينئذ ما يبررها ويسوّغها ويجعلها مقبولة غير مرفوضة أو معترض عليها على الأقل؛ ذلك أن **الغموض** الذي يحيط بضبط بنية من البنى (في شكل الحروف أو تشكيلها)- قريب من **الغموض** الذي يحيط بدلالة كلمة من الكلمات أو معناها.

كما أننا بينا، أن تفسير انتقال تسمية كتب الألفاظ اللغوية التي تشرح هذه الألفاظ أو تفسرها بالمعاجم، قد تم عن طريق اقتراض هذه التسمية أو نقلها من كتب مؤرخي

(١) انظر طريقة استخدامها لهذه اللفظة وما يوحي به هذا الاستخدام من معاني تقترب به من معنى المصطلح ولو تلميحا: كتاب الكتاب، ص٦٤، ٦٩. وألف باء ٣١٦/١.

المحدثين عن طريق التوسيع، ما دام معناها هناك يدور حول معنى (القائمة) التي تضم أسماء الرجال، فما المانع أن تكون أيضا (القائمة) التي تضم الألفاظ لتترجمها؛ أي لتشرحها وتفسرها وتبين معناها- أقول إن هذا التفسير له كذلك ما يبرّره ويسوّغه، ذلك أن معاجم المؤرخين وعلماء الطبقات والتراجم مهمومة بالترجمة لأعلام الحديث أو الصحابة أو الرواة أو الشعراء أو غيرهم. والترجمة لهم ما هي إلا نوع من إزالة الغموض والإبهام، لكنه في هذه الحالة يحيط بخصائصه أو صفاته أو مناقبه. المهم أن معاجم الترجمة، إن صح التعبير، تحاول شرح حال من تترجم لهم. وهل عساك تجد غير هذا المعنى في المعاجم اللغوية؟! أفليست معاجمنا اللغوية هي الأخرى- مهمومة ومشغولة بإزالة الغموض أو الإبهام الذي يكتنف الألفاظ أو الكلمات ويحيط بمعانيها ودلالاتها، عن طريق شرحها وتفسيرها وبيانها والاستشهاد على ذلك كله بما يجعله واضحا لا لبس فيه.

هذه هي العلاقة التي تفسر- عندنا- مسيرة هذا الانتقال التي أحاطت بكلمة (المعجم) حتى صارت مصطلحا وعلما له أصوله وقواعده ومناهج التأليف فيه والفلسفات التي تحكم صناعته.

وإذا كان الأمر كما بيّنته لك فإن ما قرره الدكتور حسين نصار يصبح محتاجا إلى المراجعة والتوقف أمامه، ولا سيما عندما يقول: "وليس ببعيد أن يطلق (أي معجم) عليها (أي على الكتب التي تجمع الألفاظ وتشرحها) في الوقت السابق نفسه؛ لاشتراكها مع الكتب السابقة في الترتيب على حروف المعجم، فالدلالة الملاحظة في الاسم (الذي هو المعجم) هي الترتيب لا الجمع "[١].

وهذا الرأي فيما ظهر لنا قديم جدا، فقد جاء عندالأمير الصنعاني في رسالته:الوجه في تسمية الطبراني لمعاجمه الثلاثة (ص٢٣) [نشرها عمرو علي عمر،دار النوادر، القاهرة،سنة ١٩٩١م]: "وأما تسمية الثلاثة بالمعاجم فالظاهر أنها كلها مرتبة على حروف المعجم"، وهو ما يدعم ما ذهبنا إليه.

---

(١) المعجم العربي نشأته وتطوره، ١/ ١١.

ولكننا نرى أن الدلالة الملاحظة أو المعنى الجامع في انتقال الاسم، وهو (المعجم) من مؤرخي المحدثين إلى علماء اللغة يكمن في ثلاثة أشياء؛ أولها وأخطرها إنما هو المعنى الذي تحدثنا عنه؛ ذلك أن (المعجم) بعدما صار اسما ومصطلحا إنما خرج من معنى إزالة الغموض والإبهام.

ونحن لا ننفي أهمية وجود عنصر الترتيب الذي أثبته الأستاذ الدكتور حسين نصار، وكشفنا عنه من لدن الصنعاني، أو عنصر الجمع الذي نفاه، لكننا ننفي أن يكون واحدٌ منهما (أي من هذين العنصرين) له أثر منفرد في إطلاق اسم (المعجم) على كتب الألفاظ اللغوية، استعارة له من علماء الرجال أو التاريخ أو الطبقات؛ لأننا- على وجه العموم- وفيما يتعلق بالبدايات الأولى لحركة التأليف المعجمي، لم تكن خاصة لمنطق في الترتيب أو حتى في الجمع، ودونك المحاولة- التي يقال إنها الأولى- في ميدان النشاط المعجمي العربي وهي سؤالات نافع بن الأزرق لابن عباس رضي الله عنه، فهي خالية من أي منهج في الترتيب، ولا نعرف علة لجمع هذه المفردات من دون غيرها من ألفاظ القرآن الكريم- في هذه السؤالات؛ ولا يكفي أن نقول إنها من غرائبه التي أقلقت نافعا زعيم الأزارقة؛ لأننا لا نصدق أن كل هذه المفردات- وفيها سهل يسير متداول- كان قد أصبح غريبا عسير الفهم، يحتاج إلى بيان في هذا الزمان المبكر من زمن الدولة الإسلامية، وهو عصر التابعين الأول القريب جدا من عصر الصحابة، بل النتعايش مع عصر الصحابة الأخير.

هذا جانب من القضية. ومن جانب آخر، فقد شاع في بعض الكتابات ما يوحي بتخطئة استعمال (معاجم) جمعا للفظ (المعجم)، وتؤثر جمعها جمع سلامة على (معجمات). وقد كان جاء استخدام الكلمتين جنبا إلى جنب في كتابات جيل الرواد من مفكرينا، ولا سيما من كان من المحافظين منهم، فها هو ذا مصطفي صادق الرافعي يستخدمهما معا عندما يقول في سياق حديثه في فصل واحد عن (تمصير اللغة) من كتابه الرائد: (تحت راية القرآن): "إن الأستاذ (يقصد طه حسين) يرى أخذ أسماء المستحدثات

من معاجم اللغة "[1]. ثم يقول بعدها بقليل: "تتصفح في بعض المعجمات العربية"[2]. ثم يعود في موضع ثالث فيقول: "فرجعت إلى المعاجم"[3].

كما استخدمه الدكتور عبد الله درويش في كتابه (المعاجم العربية)[4]، ثم استخدم اللفظين معا الدكتور حسين نصار في دراسته (المعجم العربي، نشأته وتطوره)[5].

ولعلي أكون موفقا إن قلت إن مسوغ هذا الإيحاء الرافض لاستخدام صيغة جمع (معجم) على (معاجم) والمخطئ له في كتابات بعض المحدثين من أمثال الدكتور إبراهيم السامرائي في كتابه: (مع المصادر العربية في اللغة والأدب) [١٦٥/١]، والدكتور المرحوم إبراهيم بيومي مدكور في كتابه: (في اللغة والأدب) [١٠١]. والدكتور محمود فهمي حجازي في مقالته: (الاتجاهات الحديثة في صناعة المعجمات) [٨٦]- هو ذهاب معظم القدماء إلى الحكم بعدم قياسية هذا الجمع (أي جمع مُفْعَل على مَفاعِل)، واعتبار أن ما جاء من هذا النوع مكسّرا من قبيل الشاذ الذي يحفظ ولا يقاس عليه. واستثنى بعضهم المؤنث من هذا النوع، فأجازوا جمعه على مفاعل، مثل مُرْضع ومراضع، وأجاز قليل منهم قياسية جمع هذا النوع على مفاعل[6].

ومبرر الاستثناء عند المانعين، كما مر بنا- هو أن القرآن الكريم قد استخدم هذا الجمع في قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ [سورة القصص ١٢/٢٨].

ونحن نرى أنه لا يصح أن يكون ثمة مبرر أو مسوّغ لقصر الجواز على الاسم المؤنث دون غيره، حيث إن الواقع اللغوي- مع قلة شواهده- يقف في صف الجواز مطلقا.

---

(١) تحت راية القرآن، ص٤١، وانظر: تراث المعاجم الفقهية، دراسة لغوية، ص٧.

(٢) تحت راية القرآن، ص٤٥. وانظر: تراث المعاجم الفقهية، دراسة لغوية، ص٧.

(٣) تحت راية القرآن، ص٨٢. وانظر: تراث المعاجم الفقهية، دراسة لغوية، ص٧.

(٤) انظر: المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين، ص/هـ.

(٥) انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره ١/١١، س ١٩،١٥.

(٦) جموع التكسير في القرآن الكريم، دراسة تقعيدية، ص٢٤٤. وانظر: كتاب سيبويه ٦٤٢/٣، وما نقله عنه في حالة استثناء المؤنث ابن يعيش في شرح المفصل (١) ٦٧/٥ في استشهادهما بمطافل ومشادن، ويراه ابن عصفور شاذا في المقرب ١٢٦/٢، س١٢.

وبعيدا عن الدخول في تفصيلات كثيرة، ربما لا يكون هذا مكانها، بل الصحيح أنه ليس مكانها- نقرر: أنه إذا غلب استعمال مثل هذا الوصف دون موصوف، "فيصير كأنه اسم، كما في القرآن الكريم مرضع ومراضع، ونرى خارج مستوى القرآن الكريم مثل: معجم ومعاجم، فهذا عندي هو القول الفصل في هذه القضية، فليجمع مضموم الميم من وزن "مُفْعَل" على صيغة "مَفَاعِل"، كما يقول الصديق الكريم الدكتور مفرح سعفان في دراسته: (جمع التكسير في القرآن الكريم، دراسة تقعيدية)[١].

وهذا الذي قلته هنا يشير إلى جواز هذا الجمع على الإطلاق كما رأي المحدثون، وليس بشاذ على وجه الإطلاق كما قرر القدماء من الصرفيين العرب؛ بل الأمر مرهون بتحول هذا الوصف إلى الاسمية، فإذا تحقق فيه هذا الشرط؛ شرط كون الكلمة مستخدمة اسما، جاز جمعه على صيغة مفاعل، وإلا فلا، وقد تحقق كما مر بنا هذا الشرط في كلمة المعجم التي صارت اسما ومصطلحا بعد أن عبرت زمانا قبل ميلادها مصطلحا تستخدم مصدرا أو غيره.

وقد جاء فيما أخرجه مجمع اللغة العربية من معاجم ما يفيد إقراره لهذا الجمع على هذه الصيغة، حيث يقول المعجم الوسيط: "المعجم ديوان لمفردات اللغة... (ج) [أي يجمع على] معجمات ومعاجم"[٢]. ولا يؤذيك تقديمه لمعجمات على معاجم في هذا النص، فالواو لمطلق الجمع وإن كانت للترتيب، فما المانع أن تتقدم كلمة معجمات وهي الجمع القياسي. المهم أنه يجوز جمع مُفْعَل هلى مَفَاعِل.

بقى أن نقرر في هذا الختام أن المعجم هو باعتباره مصطلحا: "كتاب يجمع عددا نوعيا من الألفاظ اللغوية هادفا إلى شرحها وتفسيرها وبيان معانيها، مستشهدا على ذلك الشرح بشواهد يحتج بها تؤكد صحة هذا المعنى أو ذاك، ومبينا طريقة هجائها ونطقها، وما تحتاج إليه من معلومات صوتية وصرفية ونحوية ولغوية (دلالية)، ومؤلَّف على طريق القصد،

---

(١) جموع التكسير في القرآن الكريم، دراسة تقعيدية، ص٢٤٦. وقد كان الدكتور ناصر الدين الأسد كتب مقالا عن هذا الجمع في عدد من أعداد مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٢) المعجم الوسيط (عجم)، ٢/٦٠٧.

معتمدا على منهج معين، مبيِّنا الغرض من تأليفه ومن هو المعنيّ باستخدامه، ومطابقا للوظيفة المرجوّة منه ولطبيعة مستخدميه، ومتمتع بطبيعة شبه موسوعية تخدم معاني الألفاظ في النهاية". وهذا التعريف الذي نقترحه لمصطلح المعجم لم نجده عند أحد من القدامى من المعجميين العرب أو الدارسين اللغويين العرب المحدثين.

وقد أصبح لازما- من وجهة نظرنا- أن ينضبط التعريف باعتبار تحرير المصطلح هو الأساس الأول لأية دراسة علمية، ووفق هذا التحرير للمصطلح تتضح مجموعة ضخمة من القضايا المتعلقة بنظيرة المعجم، ربما كانت مثار جدل وأخذ ورد.

وهكذا استقرت هذه الكلمة وصارت مصطلحا على علم كبير له مناهجه وقواعده، وتبين لنا طبيعة الطريق أو الرحلة التي قطعتها حتى وصلت إلينا اليوم.

وهذا الكتاب يفتح الباب أمام تاريخ مهم للمعجمية العربية لم يجد من يعطف عليه من المعاصرين.



ثانيا
لولا القرآن ما كانت المعاجم العربية

بات يقينا لا مجال للطعن فيه أو لتسرُّب الرَّيب نحوه- أمرُ أثر القرآن الكريم في قيام العلوم ونهضتها في المحيط الحضاري لأمة العرب؛ تلك الأمة التي تنزّل كتاب الله الكريم بلغتها مُعْجزًا، تحداهم الله به؛ فعجزوا وأعلنوا علو كعبه، ودان خاصتهم وفصحاؤهم بتفرده، وارتفاعه عما عانوا وتعاطوا من فنون القول كلها عندهم، "صدَّق المسلمون (وغيرهم) هذا، وأيقنوا أنه لا شرف إلا والقرآن سبيل إليه، ولا خير إلا وفي آياته دليل عليه، فراحوا يثوّرون القرآن؛ (أي ينقرون عما فيه ويبحثون عن معانيه)؛ ليقفوا على ما فيه...، وأخذوا يتدبرون في آياته ليأخذوا من مضامينها"[1] ما ينفعهم في حياتهم وآخرتهم.

أدرك هذه الحقيقة الخطيرة كل من عالج شيئا من الدراسات العربية واللغوية على وجه التحديد، سواء أكان هذا الدارس عربيا مسلما أو غير مسلم أو كان أعجميا غير عربي وهو الأمر الذي ألمح إليه المستشرق الألماني أوجست فيشر في مقدمة القطعة التي طبعها مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م من معجمه (المعجم اللغوي التاريخي)، عندما أرجع السر وراء النهوض بالدراسات اللغوية في الحضارة العربية والإسلامية إلى تفسير كتاب الله الكريم.

وإذا كان فيشر يلمح إلى ما نقرره هنا حقيقة ساطعة، فإن ابن خلدون يقرر في مقدمته الذائعة الصيت هذا الأمر، ويرسم صورة واضحة لهذه العلاقة بين نشأة المعجم العربي وبداية التأليف فيه، وبين إرادة فهم ألفاظ كتاب الله الكريم، تمهيدا مقبولا ومتوقعا لتفسير النص الكريم كله، وفهم مراميه وأهدافه وأوامره ونواهيه. وما إلى غير ذلك، يقول ابن خلدون: "وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة

---

(١) التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي، ١/ ٩، س١٣.

التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله، وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيئتها للإفادة، ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة وبه نزل القرآن "[١].

وهذا نص على وجازته قاطع في الدلالة على أن اللسان وعلومه (واللسان اسم آخر للغة) هو الأساس لأي علم شرعي يبغي التعامل مع كتاب الله وسنة نبيه.

وقد انضاف مع مرور الوقت عوامل أخرى، لكنها لم ترق إلى هذا الذي أخبرتك به من أن المعجم العربي وغيره إنما أنشأ لحفظ دلالات ألفاظ كتاب الله والاستشهاد على صحة هذه المعاني من لغة العرب؛ لأنه نزل بلغتهم.

يقول ابن خلدون مرة أخرى عند حديثه عن اللغة: "هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية، وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو بالإعراب واستنبطت القوانين لحفظها... ثم استمر ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم، حتى تأدى الفساد إلى موضوعات الألفاظ، فاستُعمِل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم؛ ميلا مع هجنة المتعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية، فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب (أي الكتابة) والتدوين؛ خشية الدروس (أي الانطماس والبلى)، وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث، فشمر كثير من أئمة اللسان لذلك وأمْلوا فيه الدواوين "[٢].

ولا يغرنك ما قدمه ابن خلدون بين يدي حديثه من أمر الخُلْطَة بالأعاجم وفشوّ العجمة من جراء هذه الخلطة؛ فهذه وأمثالها أمور أسهمت ولا شك في تطور العمل المعجمي العربي، لكنها لم تنشيءه بادئا؛ بدليل أن كثيرًا من المحاولات الأولى في ميدان التأليف المعجمي كان دائرا حول الألفاظ القرآنية، فيما عرف اصطلاحا فيما بعد تحت عنوان غريب القرآن[٣] من جانب، وأن أولية المعجم العربي بالمعنى العام كانت قبل فشوّ العجمة، وفي أثناء عصر الاحتجاج.

---

(١) مقدمة ابن خلدون، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي، ٣/١٠٢٦.

(٢) السابق، ٣/١٢٦٨.

(٣) من أقدم المحاولات التي وصلت إلينا في هذا الباب محاولة رويت لنا من أكثر من طريق وهي (سؤالات نافع ابن الأزرق عن ابن عباس)، وهي ولا شك سئلت قبل سنة ٦٥هـ سنة وفاة نافع بن الأزرق، فيما يشبه=

وأحب لك أن تقف مليا عند العلة التي ذكرها ابن خلدون في نهاية النص الذي أوردناه ونقلناه عنه، مفسرا بها نشأة المعاجم اللغوية، وأنها لحماية من يعالج القرآن الكريم ويتعرض له من مغبة سوء الفهم أو الجهل، ومثل ذلك من يعالج السنة ويتعرض لها. وإذا عرفنا أن هذين المصدرين (القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة) هما المصدران الأعليان في قائمة مصادر التشريع التي يستنبط منهما الفقهاء الأحكام التفصيلية، وأنهما يمثلان المرجعية في الفتوى والحكم والسياسة؛ بل يمثلان المرجعية العليا في سائر شيءون الحياة بالنسبة إلى عموم الأمة المسلمة- أقول إذا عرفنا ذلك كله قدرنا قيمة هذه العلة التي ذكرها ابن خلدون، وقدرنا من باب آخر أهمية وجود المعجم العربي في تاريخ الحياة العلمية العربية التي كان محورها القرآن الكريم، وهذا ما يفسر من باب آخر سر تسمية كتاب الله تعالى بكتاب العربية الأول.

ملخص القضية هنا يكمن في أن القرآن الكريم هو الذي استدعى تأليف المعاجم العربية إجمالا وتفصيلا.

أما الإجمال فقد أوضحناه لك، ويوضحه مرة أخرى الدكتور أحمد مختار عمر عندما يقرر أنه: "إذا المعجم العربي- كغيره من سائر فروع الدراسات اللغوية- لم ينشأ إلا بعد ظهور الإسلام وباعتباره ثمرة من ثمار الدرس القرآني، فقد استطاع- منذ ظهوره- أن يشق لنفسه طريقا مستقلا، وأن يحقق من التفوق والتميز ما جعله يُناقش معاجم الشعوب الأخرى"(١).

= الأمالي أو المجالس، ولا شك أنها لم تكن بهذا الشكل المكتمل الذي وصل إلينا، وأنه ربما يكون قد زيد فيها مع مرور الوقت. وقد وصلت إلينا عن طريق الخُتلي، أبي بكر بن جعفر محمد بن مسلم ت٣٦٥هـ، والعلّاف، وأبو طاهر محمد بن علي بن محمد بن يوسف ت٤٤٢هـ.

وقد نشرت أكثر من مرة الأولى سنة ١٩٦٨م في بغداد بتحقيق إبراهيم السامرائي، والثانية ١٩٧١م بدار المعارف بالقاهرة بتحقيق المرحومة الكريمة الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، والثالثة سنة ١٩٩٣م بتحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي في بيروت. وقد تضمنت هذه المحاولة المعجمية عددا من الوظائف المهمة من مثل بيان المعنى، واستصحاب السياق اللغوي عند التفسير.

(١) موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة (معاجم اللغة العربية)، ٥١٢/١.

وإن كان لا يعنينا الآن أمر تفوق المعجم العربي إذا ما قورن بمعاجم الشعوب الأخرى، فإنه يعنينا أن نقرر أن استمرار العلم المعجمي حتى الآن، محكوم ببقاء القرآن الكريم، ومحكوم كذلك بطبيعة هذا القرآن الكريم وأنه الكتاب الخاتم الموصوف بأنه غض، ولا يَخْلَق على كثرة الرد، ومحكوم كذلك بطبيعة ما يحققه من تخصصات دقيقة أو تفصيلات أكثر خصوصية من منطق العموم والإجمال الذي تقدم الآن.

وإذا ما أردنا أن نفسر قولنا السابق الذي قررنا فيه أن القرآن الكريم هو السر وراء نشأة المعجم العربي بكل مناهجه وصنوفه وأشكاله، فإنه يمكننا- في اطمئنان بالغ- أن نقول إن كل جزئية من التشريع في الإسلام قام لها من المعاجم العربية ما يسد باب الغموض فيها ومعالجة أمر الغرابة التي تكتنفها وتحيط بها.

خذ مثلا فرض الزكاة ذلك الركن الذي فرضه الإسلام في أواخر زمان النبوة في المدينة، فنحن نرى أن هذا الفرض على وجه التحديد هو المسئول عن نشأة عدد ضخم من المعاجم اللغوية أحادية الموضوع، أو ما تعرف في حركة التأليف المعجمي تحت عنوان (الرسائل اللغوية الصغيرة)، فكتب الإبل والشاء والمعادن، وغيرها مما هذا شبه له ومثال عليه، كان السر الحقيقي وراء تصنيفها هو إيقاف جامع الزكاة أو جابي الخراج أو المُضحّي أو المُزَكّي أو العاقّ (الذي يعق عن أولاده) أو المولم- على ما ينبغي فيما يأخذه هذا الجابي أو يخرجه المسلم في مثل هذه الأحوال المختلفة التي يعرض بها في حياته- أن يعرفه من شروط.

كما أنها تفسر من جانب آخر الأسماء التي وردت في الكتاب الكريم والسنة الشريفة التي تدور حول هذه الأمور الشرعية، وهو ما سوف يزداد وضوحا فيما يلي.

وإذا كان معرفة الوقت أمرا لازما في عدد كبير من الشرائع الإسلامية كالصلاة والصيام والحج، فإن التأليف حول الأزمنة يصبح أمرا ضروريا لفهم الألفاظ الزمنية التي تدور في القرآن الكريم والسنة المطهرة حول أسماء الأزمنة التي تحيط بهذه العبادات وغيرها؛ ولذلك وجدنا كثيرا من الرسائل اللغوية الصغيرة تعنى بشرح الألفاظ الخاصة بالمواقيت الزمنية، وهكذا دواليك.

وهذا الذي أخبرتك به من شأن العلاقة العضوية بين نشأة المعجم العربي وكتاب الله الكريم وسنة نبيه- صلى الله عليه وسلم- لم يكن محض استنباط عقلي قاد إليه طبيعة أثر هذين الأصلين في الحياة العلمية والحضارة العربية والإسلامية، وتلمس له الدارسون الأدلة، وإنما كان ظاهرا وواضحا في مقدمات المعاجم العربية ظهورا جليا، اتفق في هذه المعاجم التي اقترب تأليفها من زمان البعثة الكريمة أو ابتعد زمان تأليفها عن زمن النبوة- صلى الله عليه وسلم- وسواء أكان الهدف منها هو خدمة كتاب الله الكريم مباشرة أم كان الهدف من تأليفها هو خدمة كتاب الله الكريم بطريقة غير مباشرة عن طريق خدمة أغراض أخرى جانبية، وسواء أكان المعجم معجما عاما أيا كان منهجه أو المدرسة التي ينتمي إليها أم كان معجما خاصا اصطلاحيا لمجموعة علوم متعددة أو لعلم واحد فقط.

والدليل على أن أمر هذه العلاقة لم يكن مجرد استنباط بل كان ظاهرا في كلام أصحاب المعاجم من المعجميين العرب على اختلاف أنواعها، فمن ذلك ما كتبه أبو منصور الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل المتوفى سنة ٤٢٩هـ في مقدمة معجمه الموضوعي (فقه اللغة وسر العربية) إن: "الإقبال على تفهمها (أي تفهم لغة العرب) من الديانة؛ إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب- كالينبوع للماء والزند للنار. ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائلها ودقائقها- إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة اللذين هما عمدة الإيمان، لكفي بهما فضلا يحسُن أثره، ويطيب في الدارين ثمره، فكيف وأيسر ما خصها الله- عزو وجل- من دروب الممادح، ما يُكِلُّ أقلام الكتبة، ويتعب أنامل الحسبة، ولما شرفها الله- عز اسمه- وعظمها، ورفع خطرها، وكرمها، وأوحى بها إلى خير عقله، وجعلها لسان أمينه على وحيه"(١).

---

(١) فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، تحقيق الدكتور خالد فهمي، ١/ ٣-٤.

وهذا نص قاطع في الدلالة على ما سبق أن قلناه؛ حيث رصد الثعالبي كما ترى أن تدوين اللغة، والاهتمام بحفظها وحفظ دلالات ألفاظها راجع إلى مجموعة أسباب هي أن حفظ اللغة حدث؛ لأنها:

١- أداة علم.

٢- مفتاح للتفقه في الدين.

٣- سبب في إصلاح المعاش؛ (الحياة)، والمعاد؛ (الآخرة).

٤- هي طريق لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب.

٥- هي طريق قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن.

٦- هي طريق لإثبات النبوة.

هذه ستة عوامل أحب لك أن تقف أمامها طويلا لتدرك طبيعة فهمهم للأهداف التي قام من أجلها، ووجود المعجم العربي في مسيرة التأليف في الحضارة العربية الإسلامية، فالعناصر الستة التي لخصتها لك قريبة بلغة الثعالبي ولفظه- تدور كلها حول الإسلام؛ دينا وشريعة، وفقها، وسياسة، ونظاما اجتماعيا حيويا منظما في تعبيره الذي مر بك، وأن اللغة سببٌ في إصلاح المعاش أو الحياة.

فضلا عن أن اللغة أو حفظ دلالات الألفاظ وهي أهم وظيفة لأي معجم في أي لغة- هي باب أولى وطريق لا بد من السير فيها لإدراك صدق الإعجاز القرآني، واتخاذ ذلك مرقىً لتحقيق النبوة وإثبات علامتها، والتأكيد على دلائلها من باب لغوي، مفتاحه إدراك معاني الكلمات.

أضف إلى ذلك أمرا في غاية الخطورة والأهمية وهو ما عبر عنه الثعالبي في نصه السابق، عندما قرر أن اللغة هي الطريق لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب.

وترجمة هذا الكلام في يسر تلفت أنظارنا إلى شيء خطير جدا يقول إن الألفاظ تحمل داخلها كل المضامين الحضارية السلوكية والعقدية والدينية للأمة صاحبة اللغة، موضوع

الدراسة، بمعنى أن دراسة المعجم أو دراسة الألفاظ باب لازم لدراسة حياة الأمة وحضاراتها ودينها، وهو باب لا يكذب أبدا، ووثائق عالية القيمة وشديدة الأهمية لكل العلوم الأخرى.

وإذا كان الثعالبي قد عبر عن فكرتنا تعبيرا رائعا وهو من أبناء القرنين الرابع والخامس الهجريين (٣٥٠- ٤٢٩هـ) وهو عصر اشتهر بتفوقه وتقدمه وبزوغ نجم العلوم فيه ونضجها وانفتاحها- فإن هذا الوضوح في التعبير عن هذه العلاقة العضوية بين قيام المعجم العربي وخدمة كتاب الله الكريم وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه- لم يغب مع تقدم الزمن، وسيره نحو عصرنا، وابتعاده عن زمن النبوة الكريمة، فها هو ذا الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي المتوفى ٨١٧هـ، يؤكد هذه الحقيقة في مقدمة معجمه الشهير: (القاموس المحيط) فيقول: "إن بيان الشريعة- لما كان مصدره عن لسان العرب (أي لغتهم)، وكان العمل بموجبه لا يصح إلا بإحكام العلم بمقدمته- وجب على رُوَّام العلم، وطلاب الأثر أن يجعلوا عظم اجتهادهم واعتمادهم، وأن يصرفوا جُلَّ عنايتهم في ارتيادهم- إلى علم اللغة والمعرفة بوجوهها، والوقوف على مُثُلها ورسومها. وقد عُني به من الخلف والسلف، في كل عصر- عصابة، هم أهل الإصابة، أحرزوا دقائقه، وأبرزوا حقائقه"[١].

ولم تتغير الحقيقة المجملة التي حدثتك عنها، وإن تغيرت اللغة المعبّرة عن هذه الحقيقة في لفظ الفيروزآبادي، الذي قرر أن علم اللغة، وهو هنا المعجم الحافظ لدلالات الألفاظ هو المسئول الأول وقبل أي علم آخر عن بيان حقائق الشريعة كلها، وأنه إذا كان يتفرع عن كل أصل أفنان وفنون، فإن "علم اللغة هو الكافل بإبراز أسرار الجميع"[٢]. على حد تعبير الفيروزآبادي في مقدمة معجمه القاموس المحيط.

وإذا كنا نقلنا ما يؤيد حقيقة العلاقة العضوية بين نشأة المعجم العربي وخدمة كتاب الله الكريم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم- من معجميين ينتميان إلى مدرستين مختلفتين

---

(١) القاموس المحيط (المقدمة)، ١/ ٢.

(٢) السابق، ١/ ٢.

هي المدرسة الموضوعية والمدرسة الهجائية السجعية أو (مدرسة الصحاح)، وجئنا بهما من عصرين ومكانين متباعدين لنؤكد حقيقة استمرار الفكرة وتغطيتها للأمة كلها زمانا ومكانا، أو تاريخا وجغرافيا.

وبقي أن أؤكد هذه الحقيقة في الباب الآخر وهو الرسائل الصغيرة، الذي سميناه الجانب التفصيلي، وأمامي نموذج دال على ما نحن فيه أو بصدده وهو كتاب الأنواء والأزمنة ومعرفة أعيان الكواكب في النجوم، لأبي عبد الله بن حسين بن عاصم الثقفي المتوفى سنة ٤٠٣هـ، وهو يشرح الألفاظ المتعلقة بالأزمنة وفصولها عن مذاهب العرب، ومذاهب أهل الحساب (الفلك)، ما سمّوا به كل فصل منها، وحدوا لوقت دخوله، ووقت خروجه... وذكرت كل شهر من الشهور المذكورة بباب أفردته له، بما تطلع فيه المنازل وما تقطعه الشمس منها، والوقت الذي تحل به فيها، والوقت الذي ترحل فيه عنها..."[١] إلخ.

وقد كان الثقفي كغيره من أصحاب الرسائل اللغوية، مدركين للهدف الذي من أجله كتبوا ما كتبوا، وهو خدمة الكتاب الكريم في باب من الأبواب، أو خدمة جزء بعينه من أبواب الشرع الحنيف، ولم يغب هذا الغرض عن مقدمات رسائلهم اللغوية التي ألفوها. وهذا الكتاب مثال واحد يؤيد ما ذهبنا إليه، يقول الثقفي في بيان غرضه من معجمه هذا: "وحكيت بعد ذلك ما جاء في المجرّة، والفجرين، والشفقين، والزوال، ورسم القبلة بالأندلس والمشارق والمغارب، والرياح وما بها، وأسمائها، وخواصها، والسحاب وعلاماتها وعلامات الحمرة فيها، وفي السماء دونها، في قوله لنبيه عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ [سورة المزمل ٧٣/٢٠]، ومعرفة أوقات السحور في جميع أوقات السنة..."[٢].

وهذا نص نفيس؛ لأنه واضح في تقرير حقيقة أن القرآن إجمالا وتفصيلا كان هو المحور الذي دارت حوله كل الجهود المعجمية العربية على وجه التحديد، فالرجل في هذا النص يوضح عناية اللغويين الفائقة في ضبط الألفاظ المتعلقة بكل جزئيات الزمن؛ يوما

(١) الأنواء والأزمنة للثقفي، ص١٩.

(٢) السابق، ص٢٠.

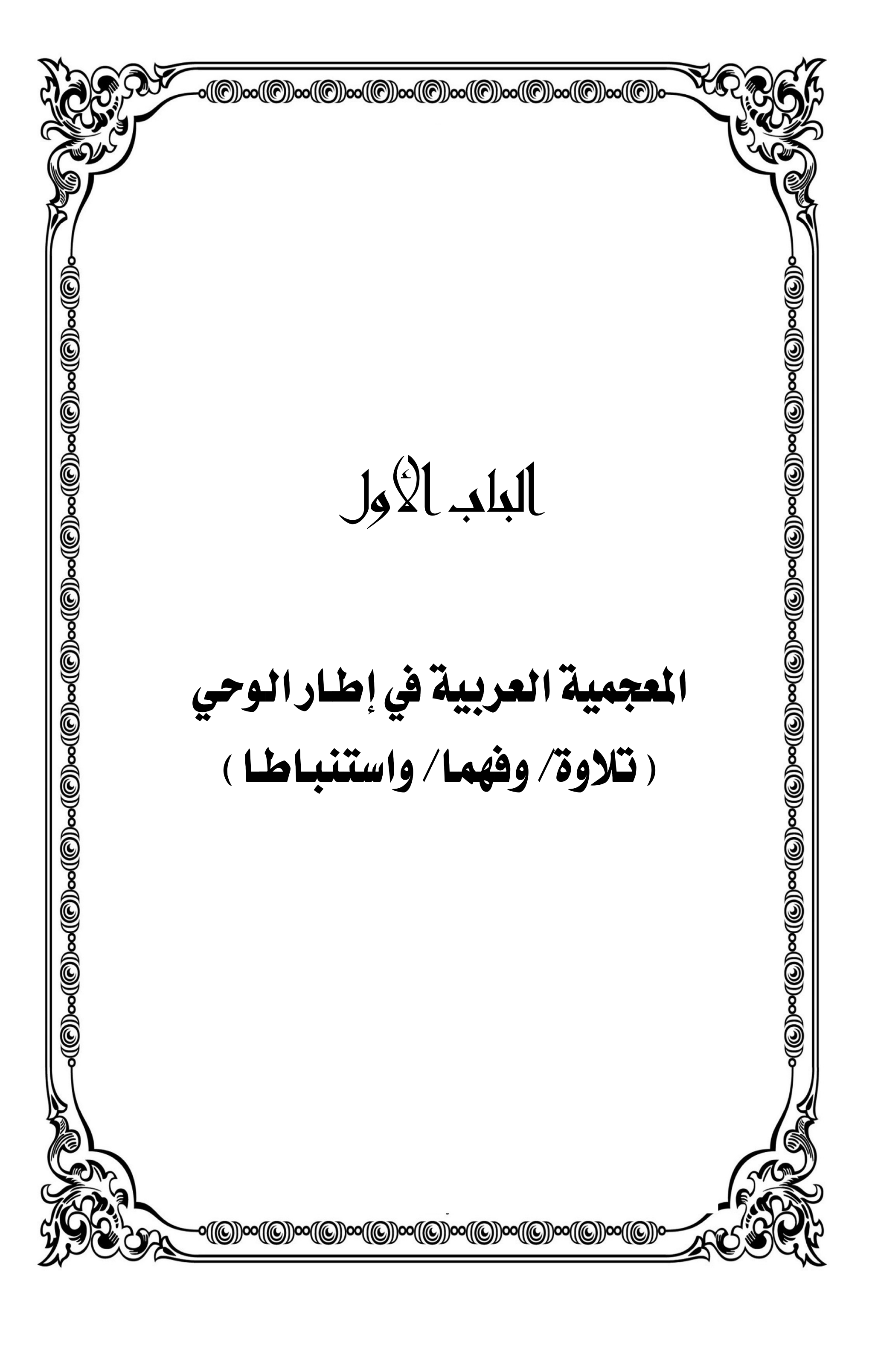
وليلـة؛ أو شـهرا وسـنة؛ وأن ذلـك حاسـم في بيـان كثـير مـن شروط العبـادات (فروضـا ونوافل)، من مثل: الصلاة، وما يحيط بها من تحديد القبلة، وتحديد الفجرين؛ الكاذب الذي لا تصح صلاة معه، ولا يبدأ صيام له، والفجر الصادق الذي تحل له الصلاة ويبدأ معه الصيام، والشفقين وما يحيط بتحديدهما من بيان لدخول المغرب ولدخول العشاء ولوقت انتهاء إباحة صلاتها، ومن مثل تحديد أوقات التهجد، وأوقات الدعاء المندوب، أو أوقات تناول السحور، وهي كلها لا تتم كثير من العبادات دونها، مما يؤكد ما ذهبنا إليه من أن القرآن الكريم هو قطب الرحى في هذا المجال.

وأحب لك أن تعلم أن قولنا (لولا القرآن ما كانت المعاجم العربية)[1] صحيح جملة وتفصيلا، وصحيح تطورا ورقيا بالمعاجم، وصحيح من باب آخر لا مجاز فيه وهو أن القرآن هو الذي أوجد المعاجم العربية وبعثها ابتعاثا من عدم، فتاريخ العربية القديم قبل الإسلام نعلم منه قرنين، فيما يسمى اصطلاحا بالجاهلية، لكننا لم نجد لا معجما ولا بدايات لمعجم أو قوائم لمفردات هذا التاريخ القديم بحيث لا يمكننا أن نقول مثلا إن القرآن تطور بالمعجم؛ لأنه لم يكن ثمة معجم أصلا قبل نزول القرآن الكريم.

القرآن إذًا هو الغرض الذي من أجله جاء المعجم، وأُلِّف، مع اعترافنا في الوقت نفسه بأن هناك أهدافا أخرى عملية فرضها الواقع العملي والعلمي للحياة في المجتمعات الإسلامية مع مرور الزمن؛ لكنها لم تكن بمعزل عن الهدف الأسمى والأساسي والأول، وهو خدمة القرآن الكريم والسنة الشريفة، يستوي في هذا كل المعاجم العربية، كبيرة كاملة كانت أو صغيرة مختصرة.

---

(١) هذا عنوان مقتبس من مبحث للدكتور رمضان عبد التواب في كتابه (فصول في فقه العربية) ص١٨٠، وإن كان هناك مجاز يحيط بدلالة هذا التعبير هناك، أو يحتاج إلى توقيف لفهم المقصود من ورائه، وأنه لولا القرآن لماتت الفصحى واندثرت، فإننا عندنا وفي مقامنا هذا نقصد به المعنى الحقيقي، وهو أنه لولا القرآن الكريم لما وجدت المعاجم العربية، أي أن القرآن الكريم هو الذي أنشأ المعاجم، واستدعى وجودها استدعاء. ولذلك فنحن نؤكد ما قلناه في المتن سابقا من أن نشأة الدراسات العربية بفروعها المختلفة متعلقة بالقرآن الكريم كتاب الله العزيز، فكان القرآن هو المحور الذي دارت حوله تلك الدراسات المختلفة، سواء منها تلك الدراسات التي تتعلق تعلقا مباشرا بتفسير القرآن، وتوضيح آياته، وتبيين معناه، واستنباط أحكام الشريعة منه، أو تلك التي تخدم هذه الأغراض جميعها، فالبحث في دلالة اللفظ، واشتقاق الصيغ، وهو ما يندرج تحت عمل المعجمي الذي يروم صناعة معجم ما من المعاجم.



الباب الأول

المعجمية العربية في إطار الوحي

(تلاوة/ وفهما/ واستنباطا)

الفصل الأول
في معجمية التلاوة

أولا
من ملامح العناية بالتلاوة
التأليف في معاجم مصطلحات التجويد
(صوتيات القرآن الكريم)
أهدافها وخصائصها ومصادرها

مدخل:

من الحقائق المستقرة بين الدارسين في الشرق والغرب القول بنشأة علم الصوتيات عند العرب بسبب من خدمة الكتاب العزيز؛ ذلك أن الله تعالى كلف المؤمنين بحياطة كتابه من الوجوه كلها.

ولقد كان الأمر بتلاوته من أول ما أمر الله سبحانه في غير موضع، وبصيغ وأفعال مختلفة، جاء منها بصيغة الأمر العام: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ [سورة الكهف ١٨/٢٩]. وقد جاء الأمر بترتيله في قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً﴾ [سورة المزمل ٧٣/٤]. وقد جاء الأمر بقراءته في قوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [سورة المزمل ٧٣/٢٠]، وربما أمكن أن نفهم في بعض ما توحي به هذه الأوامر التي جاءت في الذكر الحكيم التأني في القراءة، وإحسان أداء القرآن الكريم، ووهو المفهوم الذي استقر بأخرة بما هو تعريف لمصطلح التجويد؛ يقول القرطبي في تفسير (الجامع لأحكام القرآن) [طبعة الهيئة العامة المصرية للكتاب، بالقاهرة سنة ١٩٨٧م، (١٩/٣٧)]: "ورتل القرآن ترتيلا؛

أي: لا تعجل بقراءة القرآن، بل اقرأه في مهل وبيان.. والترتيل: التنضيد والتنسيق وحسن النظام.. وسمع علقمة رجلا يقرأ قراءة حسنة؛ فقال: "لقد رتل القرآن".

وقد كان من بعض آثار هذه العناية بترتيله وتلاوته وحسن قراءته على الوجه المبين- نشأة علم التجويد، الذي هو في بعض تعاريفه إعطاء كل حرف (صوت) حقه، ومستحقه، وهو الأمر الذي تطور وترقى بالمعرفة بالصوتيات في الحضارة العربية الإسلامية.

وقد كان من آثار هذا التطور والترقي في ميدان العلم بالصوتيات بسبب من خدمة أداء الذكر الحكيم، وتلاوته، وترتيله- ظهور جهاز اصطلاحي متميز يعنى بضبط مفاهيم المعرفة الصوتية عند العرب، انعكست آثاره وتجلياته في أشكال متنوعة.

(١) الوعي بطبيعة العلاقة بين المعرفة الصوتية العربية وخدمة قضية ترتيل القرآن الكريم.

وقد كان الوعي بطبيعة العلاقة التي حكمت المعرفة الصوتية في التراث العربي بخدمة قضية ترتيل الذكر الحكيم واضحة تماما في ميدان التأريخ للدرس الصوتي، ودراساته، وهو الأمر الذي أصاب تواترا فاشيا بين الدارسين في الشرق والغرب على السواء، يقول الدكتور غانم قدوري الحمد في دراسته الرائدة (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد) [طبعة وزارة الأوقاف العراقية، بغداد ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م، (ص٧١)]: "وأول تلك العلوم التي ترتبط بعلم التجويد هو علم القراءات كلاهما يهتمان بنطق ألفاظ القرآن الكريم، وقد ميز علماء التجويد بشكل واضح بين العلمين من حيث المنهج ومن حيث الموضوع، أما المنهج فقد نصوا على أن كتب القراءات تعتمد على الرواية، وأن كتب التجويد تعتمد على الدراية المبنية على المشافهة ورياضة الألسن، وأما الموضوع فكتب القراءات تعنى برواية وجوه القراءات في نطق "كلمات القرآن"، بينما كتب التجويد تعنى بكيفية أداء الألفاظ بإخراج الحروف من مخارجها وإعطائها حقها من صفاتها"، وهذه العلاقة الواضحة بين التجويد والنص العزيز مما تواتر بيانه في كتب القوم الأقدمين.

وفي العصر الحديث كذلك اتضح أمر هذه العلاقة عند المستشرقين الذين درسوا جانبا من عناية العرب في ميدان المعرفة الصوتية، على ما يظهر مثلا في تعليق المستشرق الألماني أرتور شاده في مقالته عن (علم الأصوات عند سيبويه؛ وعندنا) [طبعة الدكتور صبيح التميمي، صنعاء ١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م، (ص ٣٠)]: "و إذا سأل سائل: ما هو الباعث الذي حث العرب على أصوات العربية وعلى إنشاء قواعد نطقها؟ أجبته: يظهر أن الباعث كان القرآن الشريف، فإن العجم الذين أسلموا في القرنين الأولين من قرون الإسلام كان يهمهم للغاية أن يحسنوا قراءة المصحف الشريف، وينطقوا أصواته نطقا عربيا خالصا، ولم يروا إلى ذلك سبيلا إلا بعد تعميق المطالعة لأصوات اللغة العربية وإحكام إنتاجها، فيظهر أن حدوث علم الأصوات عند العرب مقرون بنشوء علم التجويد".

من مجموع هذين النقلين يظهر أن ظهور علم صوتيات القرآن الكريم (= الذي هو علم التجويد) يعد مفخرة من مفاخر التقدم العلمي عند العرب بسبب ظاهر ومباشر من إرادة خدمة أداء القرآن الكريم.

(٢) مصادر مصطلحات علم صوتيات القرآن الكريم.

وقد تنوعت مصادر معرفة مصطلحات علم صوتيات الكتاب الكريم، الذي هو في بعض تصوراته علم صوتيات العربية إجمالا، حتى استقلت في صورة معاجم معاصرة تفرغت لخدمة المصطلح الصوتي العربي، وتقريبه للقارئ المعاصر من دون إخلال بطبيعته العلمية.

وبالإمكان أن نقرر أن عددا كبيرا من المصادر كان قد اعتنى بالمصطلحات الصوتية والتجويدية قبل استقلالها في معجمات مختصة بها في العصور الأخيرة، وهو ما يمكن إجماله في ما يلي:

أولا- مؤلفات النحو العربي الموسعة:

ذلك أن أول ظهور في كتب النحو للعناية بالجهاز الاصطلاحي لعلم الصوتيات تمثل في جهود سيبويه تعيينا في كتابه الأشهر، وهو الأمر الذي نقله عنه من خَلَفَه من النحاة العرب، من أمثال: الزمخشري في المفصل (ت ٥٣٨هـ). وفي هذا السياق يمكن اعتبار ما

فصَّلَه ابن جنى (ت ٣٩٥ هـ) في سر صناعة الإعراب من قبيل عناية الأدبيات النحوية بالمعنى الواسع بمعلومات الصوتيات العربية.

وربما أمكن إلحاق بعض المؤلفات البلاغية بما أوردته من عناية بالمعلومات الصوتية التي تتعلق ببيان بعض مباحثها، من مثل علاقة المخارج الصوتية بتحرير مفاهيم من مثل مفهوم الفصاحة في اللفظ، على ما نرى أمثلة لها في (سر الفصاحة) لابن سنان الخفاجي (ت ٤٤٦هـ)، وفي (مفتاح العلوم) للسكاكي (ت ٦٢٦هـ).

والحق قاض بأن نقرر أن أفكار سيبويه الصوتية التي هيمنت على كل من جاء بعده من علماء الصوتيات العربية– كانت تطويرا لأفكار أستاذه الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) التي قدّم بها بين يدي معجمه العين، بما هي واحدة من مكونات منهج بناء هذا المعجم.

ثانيا- مصنفات القراءات:

ذلك أن العلاقة بين علمي الصوتيات القرآنية الذي سُمي باسم علم التجويد، وعلم القراءات واضحة تماما، ويمثلان معا الوجه الأمثل للأداء القرآني من طريقين؛ أولاهما: طريق الرواية عن مقام النبوة الكريم أصالة وابتداءً، وهو ما اضطلع به علم القراءات، وآخرهما: طريق الدراية ودربة اللسان، وهو ما كان مشغلة التجويد والتجويديين خلال التاريخ.

وقد ظهرت العناية ببعض المعرفة الصوتية في كثير من أدبيات علم القراءات بسبب من مناقشة مذاهب القراء المختلفة حول عدد من الظواهر الصوتية؛ كالإدغام، وأحوال نطق أصوات المد واللين، والموقف من نطق بعض الأصوات في المتواليات النطقية، ولا سيما ما يتعلق بنطق صوت الهمزة. وأنت واجد أمثلة كثيرة على عناية أدبيات القراءات بالمعرفة الصوتية، منها ما يلي:

أ- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) [انظر المواضع التالية :١/٥٥؛ ٦٧؛ ٧٨، وغيرها].

ب- الاستكمال لبيان جميع ما يأتي في كتاب الله عز وجل من مذاهب القراء السبعة في التفخيم والإمالة، لابن غلبون (ت ٣٨٩هـ)، والعناية بالمصطلح الصوتي ظاهرة من عنوان الكتاب الذي حمل اثنين من مصطلحية الصوتيات القرآنية والعربية؛ وهما: التفخيم والإمالة [انظر: ٣٤٥].

ج- حجة القراءات، لأبي زرعة بن زنجلة (ت ق ٤هـ) [انظر: ١٦٧؛ ٢٧٦؛٢٩٠؛ ٤٣٧، وغيرها].

ثالثا- مصنفات التجويد:

ولعل أهم قائمة يمكن أن تعد مصدرا للعناية بمصطلحية صوتيات العربية عموما، وصوتيات الكتاب الكريم خصوصا – هي قائمة مصنفات علم التجويد، بما هو علم يسعى إلى تحقيق إحسان قراءة الذكر الحكيم، وإتقان تلاوته جملة وتفصيلا.

وهذه المصنفات- وإن تأخر ظهورها مقارنة بغيرها مما سبق ذكره- كاشفة عن جهود مكثفة متواصلة ممتدة منذ زمن التنزيل الكريم جاءت فجمعت مفرداتها، ونظمت متفرقها، بما واكب ذلك الجمع والتنظيم من اختراع جهاز اصطلاحي خادم لهذا العلم، ومن أشهر ما صدر محققا من هذه القائمة ما يلي:

أ- كتاب التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي، للسعيدي (ت٤٠٠هـ).

ب- اختلاف القراء في اللام والنون، للسعيدى أيضا (ت ٤٠٠هـ).

ج- تجويد القراءة ومخارج الحروف، لابن وثيق الأندلسي (ت ٦٤٥هـ).

د- التمهيد في علم التجويد، لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ).

هـ- الطرازات المعلمة في شرح المقدمة، للأزهري (ت ٨٧٠هـ).

و- جهد المقل، لساجقلي زاده (ت ١١٥٠هـ).

وثمة عدد آخر من مصنفات التجويد المتأخرة، اتسمت بالإيجاز والغموض في كثير من الأحيان على ما يقرره الكريم الدكتور غانم قدوري الحمد في دراساته المهمة في هذا

الميدان، وهذا العدد الآخر يأتي في مرتبة تالية لما تقدم من أمثلة كتب التجويد بسبب من هذا الإيجاز والغموض لا غير.

رابعا- مصنفات صوتيات اللغة:

وربما لا يقل أهمية عن القائمة المذكورة في الفقرة السابقة في ميدان خدمة المصطلح التجويدي ما يمكن التقاطه من قائمة ما ظهر عند العرب للعناية بأصوات العربية؛ ذلك أن هذا النوع من المصنفات تمثل مصدرا مهما من مصادر مصطلحية صوتيات العربية، وصوتيات القرآن الكريم بما توافر فيها من حديث عن مخارج أصوات العربية، وصفاتها، وطرق نطقها في أحيان أخرى، ومن أشهر ما وصل إلينا من هذه المصنفات الصوتية ما يلي :

أ- مخارج الحروف وصفاتها، لابن الطحان الإشبيلي (ت ٥٦٠هـ).

ب- الدر المرصوف في وصف مخارج الحروف، لأبي المعالي الموصلي (ت ٦٢١هـ).

خامسا- مؤلفات علماء اللغة المعاصرين في مجال الدراسات الصوتية والتجويدية:

وهذه القائمة- وهي طويلة- تمثل مصدرا مهما جدا في هذا الباب لأكثر من سبب؛ ذلك أنها تحاول تقريب هذه المفاهيم التجويدية التراثية للقارئ المعاصر، وتقدير حجم الإنجاز المعرفي الذي حققته مقارنة بما أنجزه العلم الحديث في الميدان نفسه، وفيما يلي أهم الدراسات المعاصرة في هذا الميدان:

أ- (١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، للدكتور غانم قدوري الحمد.

ب- (١٤١٠هـ=١٩٩٠م) عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، للدكتور عبد العزيز علام.

ج- (١٩٩٢م) فونولوجيا العربية والمصطلحات الصوتية عند علماء التجويد، للدكتور مصطفى التوني.

د- (١٩٩٤م) آليات النطق عند علماء التجويد، للدكتور مصطفى التوني.

هـ- (١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م) المدخل إلى علم أصوات العربية، للدكتور غانم قدوري الحمد، وقد أقامه على تقدير منجز علم التجويد لدراسة الصوتيات العربية.

ومن الحق أن نقرر أن ثمة دراسات كثيرة جدا عرفها الدرس المعاصر في هذا الباب شرقا وغربا، وهو ما تواترت عنه العناية بجزئيات فرعية صغيرة تواتر ظهورها في الدوريات اللسانية، وفي مؤلفات قصيرة توجهت نحو درس عدد من الظواهر التجويدية والصوتية، وحولها ظهرت العناية بمجموعة كبيرة من مصطلحات صوتيات العربية وصوتيات القرآن معا، وهو الأمر الذي يمكن معه تقدير أمثال الجهود التالية:

أ- أرنور شاده في (علم الأصوات عند سيبويه وعندنا).

ب- جان كانتينو في (دروس في علم أصوات العربية).

ج- هنري فليش في (العربية الفصحى).

هذا بالإضافة إلى ما ظهر في كتابات الرواد من اللغويين العرب المعاصرين حول صوتيات اللغة، وإن لم يظهر فيها اعتماد على مصادر التجويدية، من أمثال: إبراهيم أنيس، وعبد الرحمن أيوب، وسعد مصلوح، وكمال بشر، ورمضان عبد التواب، ومحمود السعران، وأحمد مختار عمر، وعبد الصبور شاهين، وغانم قدوري الحمد، وغيرهم. ولا شك أن ثمة مصادر أخر من أمثال معاجم المصطلحات المتعددة العلوم، ومؤلفات البيان العربي في باب ما يلزم الخطيب تحصيله، والمؤلفات المعاصرة في علم الإلقاء، وغيرها.

(٣) مجمل مظاهر العناية بمصطلحية الصوتيات القرآنية.

وقارئ هذه المصادر المختلفة لمصطلحية أصوات العربية والقرآن يلمح عناية ظاهرة بعدد من المظاهر يمكن إجمالها في ما يلي:

أ- جمع المصطلحات الصوتية الخاصة بصوتيات اللغة وصوتيات القرآن الكريم.

ب- تصنيف المصطلحات في مجموعات منتظمة في إطار موضوعي، ومعرفي؛ بمعنى جمع مصطلحات المخارج في إطار تصنيفي متميز من مصطلحات الصفات والسمات، وتصنيف مجموعة مصطلحات المخرج (الشدة، والرخاوة، والمزج، والميوعة، والتوسط)

في إطار تصنيفي متميز من مصطلحات حالة مؤخرة اللسان مع سقف الحنك (التفخيم والترقيق)، وغير ذلك من التصنيفات النوعية المختلفة.

ج- تحرير المصطلحات الصوتية؛ بمعنى ضبط ألفاظها، وتعريفها، وبيان حدودها وتحليل هذه التعريفات.

(٤) الجهود المعاصرة في خدمة مصطلحات الصوتيات العربية والقرآنية (معاجم الصوتيات اللغوية والقرآنية المعاصرة).

ومع توافر ما ذكرناه من مصادر العناية بالجهاز الاصطلاحي الراعي للصوتيات القرآنية واللغوية على ما ظهر في الفقرات الخمس السابقة؛ فإن ثمة وجها أكثر رونقا ظهر في العصر الحديث للعناية بمصطلحية الصوتيات اللغوية والقرآنية، تمثلت في عدد مما يمكن أن يعد معاجم لمصطلحات الصوتيات العربية، منها ما يلي:

١- المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، للدكتور عبد القادر مرعي الخليل، طبعة جامعة موئتة، ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م.

٢- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، للدكتور عبد العزيز الصيغ، طبعة دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

٣- معجم الصوتيات، للدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي، طبعة ديوان الوقف السني، العراق، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

صحيح أن ما ورد هنا الآن مما حمل عنوان (المصطلح الصوتي) هما في أصلهما دراستان علميتان، ولم يصمما على أنهما معجمان، ولكنهما صالحان لأن يعدا معجمين معاصرين لصوتيات اللغة عموما، والقرآن خصوصا.

وقد رتب الدكتور عبد القادر مرعي معجمه ترتيبا موضوعيا تصنيفيا، بمعنى أنه صنع معجمه في صورة أبواب، جاء الأول لمصطلحات جهاز النطق ومخارج الأصوات، والثاني لمصطلحات جهاز السمع، والثالث لمصطلحات صفات الأصوات، والرابع لمصطلحات وظائف الأصوات.

وقريب من هذه المنهجية رتب الدكتور الصيغ كتابه، فصنع الفصل الأول لمصطلحات الجهاز الصوتي، أعضاءه ومخارجه، والفصل الثاني لصفات الأصوات، والثالث لمصطلحات النطقيات (الفونولوجيا).

وقد فاتهما معا صنع فهرس ألفبائي لمجموع ما حرراه وناقشاه وحللاه من مصطلحات صوتية، وقد كان ذلك جديرا بالتيسير على من أراد استعمال ما كتباه.

أما الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي، رحمه الله، فقد صمم كتابه ابتداء على ما ظهر من عنوانه في صورة معجم، وهو ما حمله على أن يرتب ما أورده من مصطلحات صوتية وتجويدية على وفاق الترتيب الألفبائي النهائي (أ ب ت ث ج ح...) تيسيرا على المستعملين، وهو المنهجية التي شاعت واطردت منذ زمن بعيد قديم في الصناعة المعجمية العربية حتى فشت، وكادت تلغي غيرها من المنهجيات الترتيبية في العصر الحديث، مضافا إليه عدم تجريد الألفاظ، وإنما ترتيبها ألفبائيا وفق أشكالها المستعملة فعلا من دون تجريد أو رد للأصول.

وقد حرصت هذه المحاولات جميعا ولا سيما معجم الصوتيات على بيان ما يلي:

أ- المعنى اللغوي للفظ قبل الخوض في بيان معناه الاصطلاحي في علم التجويد أو الأصوات.

ب- المعنى الاصطلاحي الوارد في كتب القدماء من علماء الأصوات والتجويد العرب المسلمين.

ج- إضافة ما يراه المعاصرون من علماء اللغة والأصوات.

د- تقريب التعريفات والشروح بشكل يجعلها واضحة دون الإخلال بدقتها وانضبطها العلمي.

هـ- الإشارة إلى المجموعات الصوتية التي تندرج تحت مفهوم معين.

ومن أمثلة ذلك (مصطلح الشديدة)؛ حيث نرى الدكتور عبد القادر مرعي والدكتور الصيغ يوردانه تحت مصطلح موضوعي جامع هو صفات الأصوات، ثم يقرران أنه– على ما يعرفه القدماء– الصوت الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، وهو تعريف سيبويه

الذي هيمن على كل من جاء بعده فنقلوه عنه، ثم يتطرق الدارسان الكريهان فيقرران أن المعاصرين يعرفونه بأنه الصوت الذي ينتج من صب الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع ما، ثم ينتج عن هذا الحبس انطلاق فجائي للهواء محدثا صوتا انفجاريا. ثم ينطلقان بعدها ليقررا الأصوات الشديدة قديما لتكون (أ، ج، د، ت، ط، ب، ق، ك)، وأما في الصوتيات المعاصرة فيضيفون الضاد ويحذفون من القائمة القديمة (الجيم)، وهو الأمر الذي نجده كذلك في معجم الصوتيات للعبيدي في باب الشين.

(٥) وظائف معاجم الصوتيات العربية.

وقد عكست هذه العناية بمصطحية الصوتيات القرآنية والعربية عددا من الوظائف بدت ظاهرة تماما في خلفية وجودها، يمكن إجمالها في ما يلي:

أ- **الوظيفة الدينية التعبدية**؛ ذلك أن الله تعالى أمر المؤمنين بترتيل كتابه على ما مر، ومن هنا ظهرت المصطلحات توصلا إلى تيسير الترتيل على الوجه المأثور.

ب- **الوظيفة العلمية المعرفية اللسانية**؛ وهو ما تجلى في تعريف المصطلحات وتحريرها، وفك التداخلات بين بعض منها توصلا إلى ضبط كل مصطلح على حدة، وهو ما يؤكد تقدم المعرفة اللغوية الاصطلاحية في الحركة العلمية العربية التراثية.

ج- **الوظيفة التعليمية**؛ ذلك أن هذا العلم أساسه التدريب والممارسة، وهو أمر كفيل بضرورة العناية بالجهاز الاصطلاحي تقريبا لمفاهيمه، وسعيا نحو تحديدها.

د- **الوظيفة التاريخية**؛ وهو الأمر الذي كان مقصوده بيان التطور الذي أصاب خدمة هذه المصطلحات خلال التاريخ العلمي في رحلة عنايته بعلم التجويد.

هـ- الوظيفة الحضارية؛ وهي الوظيفة التي تعني إبراز المنجز العلمي الذي قدمه المسلمون بفضل خدمة الكتاب الكريم لحركة العلم الإنساني.

وليس من شك في أن هذه العناية بجمع مصطلحات صوتيات القرآن خاصة، والعربية عموما يعد شكلا من أشكال العناية بأداء كتاب الله العزيز؛ ليتقرر مع مرور الزمن الأثر الجبار الذي أحدثه الكتاب الكريم في ترقية الحضارة العربية، والإسهام في تقدم المعرفة الإنسانية.

ثانيا
معاجم مصطلحات القراءات المعاصرة
وقيمها الحضارية

(مدخل) لا حدود للنور.

لقد استقر يقينا ومن أصرح طريق النظر إلى الذكر الحكيم على أنه نور، بكل ما تعنيه هذه المفردات من دلالات، وهو المعنى المصرح به في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [سورة النساء ٤/ ١٧٤]، ويعلق الماوردي في النكت والعيون [١/ ٤٥٤ طبعة دار الصفوة، القاهرة سنة ١٩٩٣م] فيقول: "يعني القرآن، سمي نورا، لأنه يظهر به الحق، كما تظهر المرئيات بالنور".

وفحص السمات الدلالية لهذه الكلمة يقود إلى إدراك قيمة ما يحققه ذلك الكتاب العزيز من إضاءة لدروب الحياة، وتمكن من التبصر في مسالكها حتى وصل إلى أن يفهم من الكمال المطلق، وهو ما يقرره نفيد كرماني في كتابه المهم : بلاغة النور : جماليات النص القرآني [ص٤٨٤ منشورات الجمل، بغداد وبيروت، سنة ٢٠٠٨ م] فيقول: إن "القرآن هو العمل الفني المطلق لكافة الحضارات الإسلامية"، وربما فسرت هذه الجملة المحورية التي تقرر حقيقة الكتاب العزيز حجم الحراك والمنجز المعرفي الجبار الذي خرج للحياة بسبب من إرادة خدمة وتيسير الكتاب.

(١) علم القراءات : مفهومه وغايته ومقاصده.

يعرف هذا العلم بأنه: "علم بكيفية النطق بألفاظ القرآن، اتفاقا واختلافا مع عزو كلّ لناقله"، ومن هذا التعريف الذي أورده الدكتور عبد العلي المسئول في معجم مصطلحات علم القراءات [ص ٥٠٨/٢٥٦] نكتشف غايته الجليلة المتمثلة في ضبط أداء الذكر الحكيم ونطقه، مع استصحاب التنوعات وإسنادها.

وهذا العلم بهذا المفهوم وبهذه الغاية يهدف إلى تحقيق عدد من المقاصد الجليلة يمكن إيجازها في النقاط التالية :

أ- إقامة تكليف شرعي أمر به الشارع سبحانه في كثير من آيات القرآن الكريم عندما أمر بقراءته وتلاوته وترتيله، يقول تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً﴾ [سورة المزمل ٧٣/٤]، ويقول جل وعز : ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [سورة المزمل ٧٣/٢٠].

ب- الإعانة على تيسير تلاوته للناس ببيان الكيفية، واستيعاب طرقها.

ج- الإسهام في فهمه وتدبره؛ إذ إن حسن قراءته سبيل لازمة إلى حسن فهمه.

د- تحقيق حفظ الدين بحفظ أصله صحيحا منضبطا متمثلا في ضبط الذكر الحكيم.

هـ- الإسهام في ترقية العقل المسلم بترقية بعض العلوم الشرعية لازمة التحصيل.

و- رفع الحرج ودفع المشقة بالقيام بواجب ضبط كيفية الكتاب العزيز.

ز- صيانة أداء الذكر الحكيم من أي صورة من صور تطرق الخطأ إليه.

(٢) مصطلحية القراءات القرآنية : مقال في حدود المصادر.

وقد استكمل هذا العلم الشريف جهاوزه الاصطلاحي أو مجموعة مصطلحاته منذ فترة مبكرة في تاريخ العلم عند المسلمين، بسبب من منزلة الكتاب العزيز المحورية في هذه الحضارة العريقة.

وقد توافرت مادة هذه المصطلحية من مجموعة من المصادر، يمكن تصورها إجمالا في ما يلي:

أولا- القرآن الكريم؛ ذلك أنه بحكم ما أمر به من قراءته وتلاوته وترتيله استعمل عددا من الألفاظ التي صارت مصطلحات في جهاز العلم الاصطلاحي، فالقراءة والتلاوة والترتيل نماذج من هذه المصطلحات المركزية استعملت مشتقاتها بمعانيها العلمية أولا في الذكر الحكيم، يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ

تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [سورة البقرة ٢/ ١٢١]، وما يلحق بهذا المصدر عظيم الموثوقية من كتب التفسير وكتب علوم القرآن.

ثانيا- السنة الشريفة؛ وذلك أنه بحكم كون السنة المشرفة بيانا للذكر الحكيم فإنها استعملت عددا أكبر من الألفاظ التي صارت جزءا أصيلا من مصطلحات علم القراءات القرآنية من مثل: الإقراء والاقتراء والتحسين والتبيين، وهي جميعا مصطلحات قرائية أقرت بها السنة عند التعامل مع كتاب الله عز وجل.

ثالثا- كتب علم القراءات؛ التي تعرض لمسائله وأصوله وفرش حروفه، وهي كثيرة جدا، ومتنوعة المناهج جدا، من مثل: كتاب السبعة، لابن مجاهد، وغيره

رابعا- كتب التجويد؛ بما هو جزء من علم القراءات يقصد إلى الإتيان بالقرآن بريئا من أي صور رديئة النطق، وهي كثيرة جدا ومتنوعة كذلك من مثل: جهد المقل لساجقلي زاده، وغيره.

خامسا- كتب الوقف والابتداء؛ وهي فرع من علم القراءات، وهي كثيرة جدا من مثل: القطع والائتناف للنحاس، وكتب الرسم وهجاء المصاحف ككتاب ابن نجاح، وغيره، وكتب طبقات القراء، ككتابي الذهبي وابن الجزري، وغيرهما.

سادسا- كتب اللغة؛ ولا سيما كتب الصوتيات وكتب النحو التراثية، التي انشغلت في جزء من بنائها وتكوينها المعرفي ببيان مخارج الأصوات وصفاتها، من مثل: كتاب سيبويه، وكتاب سر صناعة الإعراب لابن جني، وغيرهما.

سابعا- معاجم المصطلحات؛ التي جمعت مصطلحات العلوم المختلفة التي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية، وهي كثيرة ومتنوعة الترتيب من مثل:مفاتيح العلوم للخوارزمي، والتعريفات للجرجاني، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، وغيره.

ثامنا- معاجم مستقلة؛ استقلت بجمع مصطلحية هذا العلم قديما وحديثا، وهي مشغلة ما بقي من هذا المبحث.

(٣) معاجم مصطلحات علم القراءات القرآنية: مقال في الأدبيات والتصنيف.

وقد عرفت المصطلحية العربية عددا من معاجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، يمكن تقسيمها ثلاثة أقسام:

أولا- معاجم جزئية جمعت عددا من مصطلحات هذا العلم، وهي معاجم مصطلحات التجويد، ويمثلها: التجريد لمعجم مصطلحات التجويد، للدكتور إبراهيم بن سعيد الدوسري [طبعة دار الحضارة، الرياض، سنة ١٤٢٩هـ].

ثانيا- محاولات معجمية تراثية يمكن اعتبارها بقدر من التوسع معاجم لمصطلحات علم القراءات القرآنية، ويمثلها:

- مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ، لابن الطحان السحائي المتوفى سنة ٥٦١هـ [بتحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، الشارقة، سنة ٢٠٠٧م].

- القواعد والإشارات في أصول القراءات، لابن أبي الرضا الحموي المتوفى سنة ٧٩١هـ [بتحقيق االدكتور عبد الكريم بن محمد الحسن بكار، دار القلم، دمشق، سنة ١٩٨٦م].

ثالثا- معاجم مصطلحات علم القراءات القرآنية في العصر الحديث، وهي أوسع هذه المصادر، وأكثرها تنظيما ووفاء بشروط الصناعة المعجمية مقارنة بما سبقها، ويمثلها:

- إسهام في وضع مصطلحات علم القراءات، للدكتور محمد المختار ولد أباه [مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ع ٨٥ ق، لسنة ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م].

- أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات، لأحمد محمود عبد السميع الحفيان [دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ٢٠٠٠م].

- معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق به، للدكتور عبد العلي المسئول [دار السلام، القاهرة، سنة ٢٠٠٧م/ والطبعة الثانية ٢٠١١م].

- مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات للدكتور إبراهيم بن سعيد الدوسري [دار الحضارة، الرياض، سنة ٢٠٠٨م].

وفحص منهجيات ترتيب المعاجم الحديثة في هذا الباب يكشف عن مجموعة مهمة من العلامات هي :

أولا - استعمال منهج الترتيب الألفبائي وفق شكل الكلمة النهائي، أي من دون تجريد وهو أمر مقصود، اتجهت له تطبيقات الصناعة المعجمية الحديثة تلبية للتيسير على المستعملين.

ثانيا- بيان المعاني اللغوية للألفاظ، ثم المعاني الدائرة في استعمال القراء، وهي المعاني الاصطلاحية.

ثالثا- محاولة الاستيعاب والشمول، وله وجهان:

١- الاجتهاد في جمع المصطلحات القرائية واستيعابها في هذه المعجمات، وإيراد ما يتعلق بها ويدور في فلكها من ألفاظ العلوم الأخرى المشتبكة معها.

٢- الاجتهاد في جمع دلالات المصطلح الواحد، عند تعدد معانيه، فمثلا يورد الدكتور المسئول [ص١٢٢ / ١٨٨] معنيين لمصطلح التحقيق عند القراء هما: إعطاء الحروف حقوقها، وتنزيلها مراتبها، وهو المعنى المقصود في باب مراتب القراءة، والمعنى الثاني: نطق الهمزة كاملة في صفاتها مقطوعًا بها النفس؛ وهي بهذا المعنى ضد التخفيف أو التسهيل.

رابعا- العناية ببيان مستوى الاستعمال؛ أي ذكر العبارات التي تكشف عن مواضع استعمال المصطلحات المختلفة في أبوابها المختلفة إعانة على إدراك معانيها منضبطة صحيحة.

خامسا- استعمال طرق شرح تستهدف بيان السمات الدلالية الفارقة سعيا إلى تحرير مفاهيم المصطلحات مع ضرب الأمثلة التوضيحية، ومن أجل ذلك انتشر فيها جميعا استعمال طريقين من طرق شرح المعنى هما:

أ- طريقة الشرح بالمحكم، وهي طريقة تكون بجمع صفات المصطلح المعرّف.

ب- طريقة الشرح بالهجين وهي جماع أمرين معا استجماع صفات المصطلح المعرّف مقرونا بأمثلة توضيحية في الوقت نفسه.

سادسا- العناية في أحيان ظاهرة ببعض المعلومات الموسوعية من مثل: أسماء بعض القراء المشهورين، وأسماء بعض الكتب المختصة في هذا الباب.

سابعا- العناية بضبط المصطلحات تيسيرا لتحصيل نطقها.

ثامنا- العناية بالتوثيق.

(٤) معاجم مصطلحات علم القراءات القرآنية في العصر الحديث: وظائفها وقيمتها الحضارية.

إن تأمل هذه المعجمات، وما تؤديه من أدوار ووظائف يكشف عن مجموعة من العلامات ترقى بقيمتها الحضارية، وفي ما يلي محاولة لرصد أهم هذه الوظائف الكاشفة عن قيمتها وأهميتها معا:

أولا- الوظيفة الاعتقادية، ذلك أن هذه الكتب بسعيها نحو ضبط كيفيات قراءة الذكر الحكيم تحقق أدوات تنزيه الله تعالى بتنزيه كتابه المنزل من تطرق الأخطاء إلى قراءته.

ثانيا- الوظيفة الدينية (العبادية)، ذلك أن الله تعالى أمر بتلاوة كتابه، وأمرت السنة وفصلت الأمر في تحبير قراءته، والاجتهاد في تحسينها، وهو ما لا يمكن تصوره من غير القيام بواجب هذا المقصد، وهو بعض ما تسهم به هذه المصطلحات عندما تحرر مفاهيم هذا العلم وتبينها.

ثالثا- الوظيفة المعرفية، ونعني بها تحصيل مفاهيم هذا العلم وضبطها وتحريرها، وتوثيقها، والكشف عن مذاهب القوم واتفاقاتهم واختلافاتهم في هذا الميدان. وقضية تحصيل المفاهيم التي يقوم بها ضبط الجهاز الاصطلاحي أمر مستقر، ذلك أن المصطلحات مفاتيح العلوم، تمهد الطريق لفهم مسائله.

رابعا- الوظيفة اللسانية، ذلك أن هذه المعجمات بما تجمعه في داخلها بحكم بنائها المعرفي ترشد إلى سمات الأصوات العربية، وكيفيات نطقها على الوجه الصحيح، والمذاهب المختلفة لنطق بعضها، وما يجوز وما لا يجوز، وما الأفصح؟ وما الفصيح؟ إلى غير ذلك مما تحصيله نافعا في خدمة المعرفة اللغوية، فضلا عما تقدمه لميدان اكتساب اللغة بتدريب الألسن على النطق الصحيح.

خامسا- الوظيفة التاريخية، ونعني بها الوقوف على تطور هذا الجهاز الاصطلاحي، ومراحل انضمام بعض المصطلحات إلى هذا العلم، والوقوف على حجم ما أنجزه العلماء في هذا الباب، وتطور التأليف فيه مع مرور الزمان.

سادسا- الوظيفة الأخلاقية، وذلك أن تأمل منجز علماء القراءات يوقفنا على تقدير ما قاموا به، مما يلزم معه تقدير مجهودهم، والوفاء له بنوع وفاء عملي إيجابي بتطويره، والبناء عليه.

سابعا- الوظيفة الحضارية، ونعني بها تأكيد أثر الكتاب العزيز في ترقية العلوم في الحضارة العربية والإنسانية بوجه عام بما أوجده من علوم، وتحريره للمصطلحات التي ظهرت وهدفها المباشر خدمة الكتاب الكريم من جوانبه المختلفة، نطقا وأداءً وكيفية، وهو ما انشغل به هذا النوع من المعجمات، إمعانا في أن الحكم المستقر بأن القرآن الكريم هو السبب المباشر الذي انتقل بالحياة العربية النقلة الجبارة غير المسبوقة في التاريخ يتأكد على الزمان.

وتكشف هذه الوظيفة أيضا أدلة متضافرة على قدرة العقل العربي المعاصر على استثمار منجز التطبيقات المعاصرة في مجالات مختلفة لتحقيق خدمات جليلة للعلوم الشرعية، فقد اتضح أن المعاجم المعاصرة في هذا الباب أفادت نوع إفادة من تطبيقات صناعة المعجم الحديث.

كما تكشف هذه الوظيفة أيضا عن قدرة اللسان العربي (ألفاظا / وتراكيب/ واختصارات) على استيعاب حقائق العلوم المختلفة والوفاء بواجبات العلوم المختلفة،

فقد رأينا كيف تنوعت أنماط المصطلحات القرائية، وأبدت اللغة مرونة واضحة في هذا المجال.

إن الكتاب العزيز سيظل نورا عامرا يزداد عطاؤه مع ازدياد خدمته، والعكوف عليها، وتطوير مسارات هذه الخدمة. إن الصوت النهائي الذي سيعلن عن نفسه هنا هو أن النور الذي يشع من الكتاب الكريم لا حدود له ولا لطاقاته الفريدة.

***

الفصل الثاني
في معجمية الفهم

أولا
معاجم مصطلح الحديث النبوي الشريف
نشأتها ومناهج تصنيفها

(مدخل)

يُجمع اللغويون على اختلاف توجهاتهم وبيئاتهم وأزمانهم على أن الإسلام انتقل باللسان العربي وبعلومه نقلة جبارة غير مسبوقة، وهو ما يُعرف في الدرس اللغوي باسم الأسباب الإسلامية أو الألفاظ الإسلامية، حتى استقر أن الإسلام هو المسئول الأول عما يسمى في دراسات علم اللغة التاريخي باسم التطور العمدي أو المقصود لدلالات بعض الألفاظ. يقول ابن فارس اللغوي في كتابه الصاحبي [ص ٣٨]: "كانت العرب في جاهليتها على إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت"، فهذا الذي سمي نقل ألفاظ عن مواضع إلى مواضع هو مقصودنا بأن الإسلام هو المسئول أولا عما جدَّ على المعجم العربي من المصطلحات، ولا سيما مصطلحات العلوم الشرعية، ومنها مصطلحات الحديث النبوي الشريف.

وهو ما تنبه إليه السيوطي في (المزهر في علوم اللغة) [١/ ٢٩٤، وما بعدها]، وأبو حاتم الرازي في (الزينة في الكلمات الإسلامية) [١/ ٥٦]، وغيرهما من القدامى، وجرجى زيدان في (اللغة كائن حي) [ص ٣٦]، والدكتور علي عبد الواحد وافي في (فقه اللغة) [ص ١١٩]، والدكتور مازن المبارك في (نحو ويى لغوي) [ص ١٠٨]، والدكتور عبد الصبور شاهين في

(العربيـة لغـة العلـوم والتقنيـة) [ص ٦٤]، والـدكتور رمـضان عبـد التـواب في (دراسـات وتعليقات في اللغة) [ص ٢٩]، وغيرهم كثير جداً!

(١) نشأة التأليف في مصطلح الحديث النبوي الشريف.

ترجع العناية بمصطلحات الحديث النبوي الشريف إلى مرحلة متقدمة جدًّا من عمر العلم الإسلامي، لدرجة يمكن القول معها إن بدايات العناية بقبول الحديث وردّه، وهو لب علم مصطلح الحديث إلى عهد النبي- صلى الله عليه وسلم- فيما ورد عنه من النهي عن الكذب عليه، ومن التحوط في الرواية عنه.

ثم ظهرت بدايات من هذه العناية في عصر الصحابة في ما تمثل في استدراك بعضهم على بعض، بسبب من تفاوتهم- رضي الله عنهم- في الرواية عن النبي- صلى الله عليه وسلم- وحتى صنف في مستدركات عائشة- رضي الله عنها- بحكم وثوق علاقتها بالنبي- صلى الله عليه وسلم- تصانيف خاصة على سبيل المثال [انظر: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، للزركشي، تحقيق الدكتور رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، بالقاهرة سنة ١٤٢١هـ=٢٠٠١م. وعين الإصابة في استدراك عائشة على الصحابة، للسيوطي، تحقيق عبد الله محمد الدرويش مكتبة العلم، القاهرة، سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م].

ثم زادت العناية بالتدقيق في قبول الأحاديث مع أحداث الفتنة في أواخر عهد عثمان- رضي الله عنه- وما بعده، ومع ازدياد النشاط الكلامي في الأوساط العلمية ولا سيما في العراق في ما بعد.

وهذا التنامي في النشاط العلمي الكلامي هو المسئول في نظرنا عن استقلال التأليف في مصطلح الحديث النبوي الشريف؛ ليتوصل من خلال معرفته إلى القدرة على معرفة المقبول من المردود من أحاديث المصطفي صلى الله عليه وسلم. وإلى شيء من هذا فطن الأستاذ الدكتور محمود الطحان في تيسير مصطلح الحديث [ص٩]: "وامتثالا لأمر الله تعالى ورسوله- صلى الله عليه وسلم- فقد كان الصحابة- رضي الله عنهم- يتثبتون في نقل الأخبار وقبولها، ولا سيما إذا شكّوا في صدق الناقل لها، فظهر بناء على هذا موضوع الإسناد، وقيمته في قبول الأخبار أو ردها، فقد جاء في مقدمة صحيح مسلم [١/ ٥٠]

عن ابن سيرين: "قال: لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم".

وهذه النشأة الدينية التي ترمي إلى حماية الحديث النبوي الشريف من وضع الوضاعين تدعم القول بالأثر الإسلامي في نشأة هذه المصطلحات الحديثية.

(٢) أشكال العناية بمصطلحات الحديث النبوي الشريف.

تنوعت أشكال العناية بالمصطلحات الحديثية، وظهرت تجليات هذا التنوع كما يلي:

أولا– العناية بمصطلحات الحديث في مصنفات علوم الحديث.

ثانيا– العناية بمصطلحات الحديث في مصنفات معاجم المصطلحات العامة.

ثالثا– العناية بمصطلحات الحديث في مصنفات معاجم خاصة بها.

(أولا) العناية بمصطلحات الحديث في مصنفات علوم الحديث.

كان من الطبيعي أن تظهر أولى أشكال العناية بالمصطلحات الحديثية، وتفسير المراد منها، وتمييز بعضها من بعض في المؤلفات التي ألفها أهل العلم لشرح مسائل علم الحديث، كما نلاحظ في ما يلي:

(أ) الكتب الكبيرة:

١– كتاب معرفة علوم الحديث، للحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) [اعتنى به الدكتور معظم حسين، المكتب التجاري، بيروت، سنة ١٩٣٥م]. وهو مرتب على أنواع؛ حيث يحرص في مقدمات كل نوع على تعريف المصطلح والتمييز بينه وبين غيره مما يشتبه به؛ كقوله [ص ٢٧]: "المنقطع من الحديث: غير المرسل"، ثم يفيض في تعريفه وبيان أقسامه.

٢– مقدمة ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ) [تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٩هـ= ١٩٨٩م]. وهو ممن اعتنى عناية ظاهرة بشرح معاني المصطلحات الحديثية في مقدمات الأبواب، بحيث يمكن أن نقرر في اطمئنان أن ما ورد من تعاريف للمصطلحات في مقدمات الأبواب في هذا الكتاب يمكن أن يمثل معجما صغيرا عند تجريده. ومن أمثلة تعريفاته قوله [ص ٥٠٦]: "التابعي من صحب الصحابي".

٣- الجامع لأخلاق الرواي وآداب السامع، للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) [تحقيق الدكتور محمد رأفت سعيد، دار الوفاء، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م، ثم أخرجه الدكتور محمود الطحان بمكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م]. حيث كان يعرف في مقدمات بعض فصوله ببعض المصطلحات الحديثية، كما فعل مع ذكره لأفضل أنواع القراءة على المحدث [الطحان ٢٨١/١ (الباب ١٦)].

٤- الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) [اعتنى به محمد الحافظ التيجاني وعبد الحليم محمد عبد الحليم وعبد الرحمن حسن محمود، دار الكتب الحديثية، القاهرة، ١٩٧٢م]. حيث كان يعنى بتحرير معاني المصطلحات الحديثية في مفتتح أبواب الكتاب، كما ترى في حديثه عن التدليس [ص ٥٠٨] الذي يقول فيه: "أدنى ما يكون منه أن يرى الناس أنه سمع ما لم يسمع".

٥- التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، للحافظ العراقي (ت ٨٠٦هـ) [تحقيق عبد الرحمن محمد محمد عثمان، دار الفكر العربي، بلا تاريخ !]. وقد زاد الحافظ فبين مصدر التعريف الثابت عند ابن الصلاح، وعلق على التعريف موضحا ومبينا؛ فيقول في التعليق على تعريف التابعي السابق [ص ٣١٧] هو من تعريف الخطيب، وبين أن الإطلاق مخصوص بالمتابعة بإحسان، وبين بعض المعلومات الصرفية بأن الواحد من التابعين يسمى: تابعا وتابعيا على غير ذلك من المعلومات التي تقترب بهذا الجهد من مفهوم المعجمية المعاصرة في بعض أبوابها.

٦- تدريب الرواي شرح تقريب النواوي، للسيوطي [تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب الحديثية، القاهرة، سنة ١٣٨٥هـ= ١٩٦٦م]. وهو يعنى بتعريف المصطلح في مدخل الباب من مثل تعريفه لمصطلح الحسن [١٥٣/١] بأنه: "هو ما عرف مخرجه واشتهر رجاله"، وهذا تعريف الأصل الذي هو التقريب، ثم يأتي السيوطي في الشرح فيقر هذا التعريف، ويزيد في قيود حد الصحيح أيضا.

٧- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، للقاضي عياض (ت٥٤٤هـ) [تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث بالقاهرة، والمكتبة العتيقة بتونس ١٩٨٧م]. وهو يجمع في مقدمة كل باب المصطلحات الأساسية، ثم يعود فيعرفها، ومن مثل ذلك قوله في تعريف

مصطلح الخط، وهو من مصطلحات الأخذ [ص١١٦]: "وهو الوقوف على كتاب بخط محدث مشهور يعرف خطه ويصححه وإن لم يلقه ويسمع منه، أو لقيه ولكن لم يسمع منه كتابه هذا".

فهذا النوع من مؤلفات علوم الحديث اعتنت بشروح المصطلحات، باعتبار هذه العناية من لوازم التأليف ومن مداخله التي تكمل بها.

(ب) المختصرات في علوم الحديث:

وقد اعتنت هذه المختصرات ببيان معاني المصطلحات مما يقترب بهذه المصطلحات من مفهوم المعاجم الذي نسعى إلى تحريره، وهو ما قاد واحدا من أشهر اللغويين المعاصرين وهو الدكتور رمضان عبد التواب- رحمه الله تعالى- إلى اعتبار بعض هذه المختصرات معاجم مصطلحات خاصة بمصطلح الحديث النبوي الشريف؛ حيث أورد في الفصل الثاني من كتابه (دراسات وتعليقات في اللغة) بعنوان (معاجم المصطلحات العربية) [ص ٣٧]- أورد شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر، باعتباره معجما من معاجم مصطلحات الحديث، فيقول: "وهذا أحد معاجم مصطلح الحديث من معاجم المصطلحات الخاصة في العربية وهو كتاب: "شرح نخبة الفكر...[رقم ٧ فيما يلي]".

١- التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، للنووي (ت٦٧٦هـ) [نشره عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م]. حيث يفتتح النووي كل فصل بالنص على تعريف المصطلح أو بيان معنى الحد، يقول مثلا في تعريف الصحيح [ص ٢١]: "حده: وهو ما اتصل سنده بالعدول وإذا قيل من غير شذوذ ولا علة وإذا قيل صحيح فهذا معناه لا أنه مقطوع به، وإذا قيل غير صحيح فمعناه لم يصح إسناده". والشاهد هنا التفات النووي إلى أهمية البدء ببيان الحد أو التعريف.

٢- المختصر في علم أصول الحديث النبوي، لابن النفيس [تحقيق الدكتور يوسف زيدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٢هـ= ١٩٩١م]. وظهرت عناية ابن النفيس بشروح المختصر من مفهوم المعجم المختص الذي نسعى إلى تحرير معناه، وهو ذكر المعنى

اللغوي بين يدي المعنى الاصطلاحي. ومن الأمثلة على ما نقرره [ص ١٠٥]: "التواتر في اللغة هو التتابع، وهو ورود شيء بعد آخر. وأما في الاصطلاح (أي في اصطلاح الحديث النبوي الشريف) فإن الخبر المتواتر هو: خبر أقوام بلغوا في الكثرة إلى حد يمنع العقل من توافقهم في ذلك على الكذب".

٣- الاقتراح في بيان الاصطلاح، لابن دقيق العبد (ت٧٠٢هـ) [دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م]. وقد اعتنى ببيان معاني المصطلحات الحديثية فقدّمها في أوائل الأبواب والفصول في مثل قوله [ص ٢٣]: "المدرج: وهي ألفاظ تقع من بعض الرواة متصلة بلفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويكون ظاهرها أنها من لفظه، فيدل دليل على أنها من ألفاظ الراوي".

٤- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، لابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، وهو اختصار لمقدمة ابن الصلاح [تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، دار التراث، القاهرة، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م]. وقد اعتنى كغيره من أصحاب المختصرات بتعريفه المصطلحات الحديثية في مقدمات الأبواب والفصول، وزاد أمرا آخر جديدا وهو الاستقصاء في تعريفات المصطلح الواحد، مما ترى له مثلا في تعريف مصطلح الحسن؛ حيث أورد تعريف الترمذي، ثم أورد [ص ٣٢] تعريفات أخرى للحسن.

٥- التذكرة في علوم الحديث، لابن الملقن (ت ٨٠٤هـ) [نشرها علي حسن علي عبد الحميد، دار عمار، الأردن، سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م]. وهذه التذكرة أقرب وفاء لمفهوم المعجم؛ حيث اعتنت عناية فائقة بتعريف المصطلحات موزعة على الموضوعات، ومن أمثلة تعريفاته قوله [ص ١٤]: "المسند: وهو ما اتصل إسناده على النبي صلى الله عليه وسلم، ويسمى موصولا أيضا".

٦- المختصر في أصول الحديث، للجرجاني (ت ٨١٦هـ) [تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤٠٣هـ، ونشره أيضا الدكتور مصطفي أبو سليمان الندوي، مكتبة نزار مصطفي الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ]. وهو كابن الملقن كان وفيا لمفهوم المعجم؛ حيث

اقتصر في الغالب على تعريف المصطلحات في المقام الأعلى، وإن اعتنى عناية قليلة ببعض التقسيمات والآراء الخلافية، والتفصيلات في المسائل. ومن أمثلة تعريفاته [د/ فؤاد عبد المنعم، ص ٥٥]: "الشاذ: ما رواه الثقة الحافظ مخالفا لما رواه الناس".

٧- شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) [نشر في مطبعة مصطفي البابى الحلبي القاهرة ١٣٥٢هـ= ١٩٣٤م، ثم حققه محمد عوض بمكتبة الغزالي بدمشق، ومؤسسة مناهل العرفان ببيروت، سنة ١٤١٠هـ= ١٩٩٠م]. وقد عده في ما- نقلنا سابقا- الدكتور رمضان عبد التواب معجما من معاجم المصطلحات العربية الخاصة بعلم الحديث، وهو ما نخالفه فيه. وقد ظهر من مقدمة الكتاب موجه العناية إلى شرح اصطلاح علم الحديث، ومن أمثلة تعريفاته قوله في تعريفه مصطلح الوجادة [ص ١٤٠]، وهو من مصطلحات تَحمُّل العلم وأخذه: "وهي أن يجد بخط يعرف كاتبه فيقول وجدت بخط فلان". وهذا الكتاب نشر أيضا بعنوان نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر [بتحقيق الدكتور عبد السميع الأنيس وعصام الحرستاني بدار عمار بالأردن، ١٤١٩هـ= ١٩٩٩م، وكذلك نشره بعنوان (شرح نزهة النظر على نخبة الفكر) الدكتور مصطفى أبي سليمان الندوي، بمكتبة الإيمان بالمنصورة، ١٤١٧هـ. وهي جميعا تخالف- باستثناء طبعة عبد السميع الأنيس- أصول نشر الكتب التراثية!].

٨- قفوة الأثر في صفوة علم الأثر، لابن الحنبلي [تحقيق عبد الفتاح أبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، بحلب، ١٤٠٨هـ]. ومن أمثلة عنايته بتعريف المصطلحات [ص٤٧]: "العزيز: ما لم يروه أقل من اثنين عن أقل منهما، بأمر رواه اثنان عن كل من اثنين وهكذا".

٩- تحقيق المختصر من مصطلح الأثر للعجمي الشنشوري (ت ٩٩٨هـ) [تحقيق محمد أحمد بدوي، ومراجعة أحمد حسن جابر، مجلة الأزهر، ربيع الآخر ١٤٠٥هـ]. وهو يعتني بإيراد التعريفات المختلفة للمصطلح الواحد على اختصاره، ومن أمثلة ذلك قوله في تعريف المرسل [ص٢٤]: "المرسل على المشهور ما رفعه التابعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل: ما رفعه التابعي الكبير. وقيل: ما سقط من سنده راو أو أكثر، سواء من أوله أو آخره أو وسطه".

١٠-بلغة الأريب في مصطلح أثار الحبيب، للزبيدي صاحب تاج العروس (ت١٢٠٥هـ) [تحقيق عبد الفتاح أبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ١٤٠٨هـ]. وتتجلى قيمة هذا الكتاب في أنه يحسم الرأي في أن هذه المختصرات وإنْ اعتنت عناية فائقة ببيان معاني المصطلحات الحديثية، فإنها لا يمكن أن تسمى معاجم مصطلحات حديثية؛ إذ إن الزبيدي معجمي كبير لم تظهر آثار معرفته المعجمية في هذا المختصر؛ لأنه ليس معجما بالمعنى العلمي المتواتر عند دارسي الصناعة المعجمية.

١١-منحة المغيث في علم مصطلح الحديث لحافظ حسن المسعودي، الحلبي، ١٩٦٧م.

وقد أطلنا قائمة مختصرات علم مصطلح الحديث لاعتبارات عدة منها:

١- بيان تواتر العناية بشرح مصطلحات هذا العلم الشريف زمانا؛ لأن الحديث الأصل الثاني الأكبر من أصول الشريعة بعد كتاب الله العزيز.

٢- بيان تواتر العناية بشرح مصطلحات هذا العلم على امتداد الجغرافية الإسلامية شرقا وغربا وشمالا وجنوبا.

٣- بيان أن هذه المختصرات مع عنايتها الفائقة بتعريف المصطلحات الحديثية خرجت عن أن تكون معاجم مختصة بمصطلحات هذا العلم، لرعايتها مبادئ الترجيح، والتدليل، وغرس مسائل العلم وإن باختصار، مع غياب كثير جدًّا من المعلومات اللازم توافرها في الأعمال المعجمية.

(ج) المنظومات في مصطلحات الحديث :

فقد شاع كذلك العناية بتعريف المصطلحات الحديثية في نوع آخر من أنواع التصنيف في علوم الحديث، وهو نوع المنظومات التي ظهرت لأغراض تعليمية تعين على استظهار المعلومات. ومن أشهرها في تاريخ التصنيف عند المسلمين:

١- المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث.

٢- ألفية السيوطي في مصطلح الحديث.

ومثلما ظهرت العناية بتعريف المصطلحات في المؤلفات المنثورة – كما مر بنا– ظهرت كذلك في المنظومات؛ تيسيرا لحفظها، يقول السيوطى [بيت ١٠٩/ص ٣٥] في تعريف الضعيف :

هو الذي عن صفة الحسن خلا   وهو على مراتب قد جعلا

ويقول البيقوني في تعريف المرسل، والغريب [ص ٢٧ /٢٩]:

ومرسل منه الصحابي سقط   وقل غريب ما روى راوٍ فقط

وما يقترب بهذه المؤلفات ولا سيما في قسميها الأخيرين (المختصرات والمنظومات) من اعتبارها معاجم للمصطلحات الحديثية مع التجوز والتوسع، السمات التالية:

١ -الاختصار والاكتفاء في الغالب بتعريف المصطلحات، والبدء به في المقام الأول، وإن ورد بجوارها معلومات أخرى حول المسائل.

٢ -ظهور لفظ (مصطلح /واصطلاح) ومشتقات أخرى من جذرهما في عنوان كثير من هذه المصنفات.

٣ -دوام العناية بالمعنى الاصطلاحي للألفاظ العلمية في مداخل البواب في هذه الكتب مما يعكس وعيا بقيمة بيان المعاني.

٤ - قلة المعلومات عن الموضوعات الحديثية والمسائل الفنية الموزعة على علوم الحديث المختلفة، إذا ما قورنت بحجم العناية بشرح معاني المصطلحات.

(ثانيا) العناية بمصطلحات الحديث النبوي الشريف في معاجم المصطلحات العامة.

عرف التصنيف المعجمي عند المسلمين فرعا مهما جدًّا من المعاجم المختصة، تفرغت لجمع مصطلحات العلوم المختلفة وتبويبها هجائيا أو عَلَميا موضوعيا، وشرح معاني هذه المصطلحات.

ويهمنا هنا أن نقرر أن ثمة معجما تراثيا صنع بابا، هو الباب الثاني لمصطلحات الحديث النبوي الشريف، وهو معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم المنسوب خطأ

للسيوطي. وهو صورة مصغرة مختصرة للمعجم بمعناه الاصطلاحي، وقد أورد ما يقرب من سبعين مصطلحا وعرفها من غير أي تطرق لمسائل علمية، أو موضوعات.

وقد امتدت العناية بمصطلحات الحديث في المعجمية العربية التراثية المختصة فطالت المعاجم الاصطلاحية العامة المرتبة هجائيا، كما نرى في التعريفات للجرجاني، وابن كمال باشا، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، ودستور العلماء للأحمد نكري.

(ثالثا) معاجم المصطلحات الحديثية في العصر الحديث.

وكان لتنامي الإدراك لقيمة المعاجم المختصة، وتوسع دائرة التصنيف فيها في العصر الحديث- أثر في ظهور معاجم مستقلة للعناية بمصطلحات علم الحديث النبوي. وأشهر هذه المعاجم- مرتبة وفق تاريخ صدورها- هي:

١-قاموس مصطلحات الحديث النبوي الشريف، لمحمد صديق المنشاوي، وتقديم الدكتور محمود عبد الرحمن عبد المنعم، دار الفضيلة، بالقاهرة سنة ١٩٩٦م.

٢-معجم المصطلحات الحديثية، للدكتور محمود طحان، والدكتور عبد الرازق خليفة الشايجي، والدكتور نهاد عبد الحليم عبيد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، ع ٣٦ شعبان ١٤١٩هـ= ديسمبر ١٩٩٨م، (ص ٩٥-١٧٤).

٣-معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد، للدكتور محمد ضياء الرحم الأعظمي، أضواء السلف، الرياض، سنة ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م.

٤- معجم مصطلح الحديث النبوي، لمجمع اللغة العربية، القاهرة، سنة ١٤٢٢هـ= ٢٠٠٢م.

وهذه الأربعة نصت في عنواناتها على انتمائها المعرفي إلى المعاجم، وهي جميعا استثمرت المعرفة المعجمية التي ترى في المنهج الهجائي الألفبائي أيسر المناهج، فرتبت المصطلحات على وفاق الترتيب الألفبائي حسب منطوق الكلمة أو شكلها المستعمل؛ من غير رد إلى الجذور؛ إمعانا في التيسير على مستعملي هذه المعجمات.

وبعض منها استعمل تقنيات طباعية (١/٢ على التعيين)، من مثل كتابة المصطلح ببنط قاتم أغلظ من بنط الشروح؛ تيسيرا على المستعملين.

وبعضها استعمل الإحالات المعجمية تحقيقا لتماسك المعجم، ولتنبيه المستعمل على ضرورة مراجعة بعض المصطلحات عند طلب معنى بعض آخر لتعلقهما وارتباطهما دلاليا، كما في (رقم ٤).

كما اعتنت هذه الأربعة بمبدأ توثيق المصطلحات وتعريفاتها بطرق توثيقية مختلفة.

وقد حرصت هذه المعجمات الأربعة في الغالب على استعمال طريقة التعريف بالمحكم في شروحها للمصطلحات، وهي طريقة تذهب على جمع السمات الدلالية الأساسية المكونة لمفهوم المصطلح، من مثل القول في تعريف الرواية في (قاموس مصطلحات الحديث النبوي الشريف) [ص٦١]: "الرواية: حمل الحديث ونقله وإسناده على من عزى إليه". ويضيف (معجم المصطلحات الحديثية) بعد ما مضى: "بصيغة من صيغ الأداء".

وقد تقاربت المجموعة في العناية ببعض المعلومات الصرفية واللغوية التي تعين على توضيح المعنى الاصطلاحي، مع العناية في بعضها بالنطق، أو بضبط بنية المصطلحات. وإن وقع بعضها، ولا سيما (قاموس مصطلحات الحديث النبوي) في عيوب كثيرة منها ما يسمى بعيب التعريف بالدور، وهو شرح مصطلح بالإحالة إلى غيره، فإذا ذهبت إليه ردك على الأول من مثل:

ص٣٧- "التجويد = ويسمى التسوية".

ص٤٢- "التسوية = ويسمى التجويد"!

على أن أخطر شيء في هذه الأربعة هو إخلالها بعدد كبير من المصطلحات الحديثية؛ بسبب من نقص في استقراء مادتها، وإهمالها في الإفادة من المصطلحات الحديثية التي وردت في معاجم المصطلحات العامة التي تحدثنا عنها هنا في الفقرة (ثانيا).

ومما أخلت به هذه المعاجم من مصطلحات ما يلي:

(الرسالة/ والرسول/ والتدوين/ والتقرير/ والتوهم/ والرؤية/ والشرط/ والشك/ وفعل النبيي صلى الله عليه وسلم/ واللفظ المركب في القضية الملفوظة/ والمستند/ ولفظه صلى الله عليه وسلم/ ومشكل الحديث/ والمنفصل منه/ إلى غير ذلك).

وهذا الإخلال سمة في الأربعة جميعا مع تفاوت في قدر إخلال كل منها.

ولعل هذه المراجعة الموجزة لعناية المسلمين قديما وحديثا بضبط مصطلحية علم حديث النبي- صلى الله عليه وسلم- في أشكال متنوعة دالة على قيمة هذا العلم، وخطر التهوين من الأمر، لأن السنة- بعد القرآن ومعه- أصل الأصول التي تقوم عليها الشريعة، وينضبط وفقها المنهاج.

وهي تدل كذلك على مدى ما يحتاجه هذا المجال من معاجم أوسع، وأكثر ضبطا وجمعا، وأتقن صناعة؛ لأن المقام مقام جليل نعين فيه على بيان المقبول من حديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم- من المردود.

***

ثانيا

مصطلحات علم الجرح والتعديل في العربية

(مصادرها وأنماطها وقيمتها الحضارية)

حرصت الفكرة الإسلامية من بدايتها على العناية بما يؤسس لها من نصوص، وأحاطت ذلك كله بعدد وافر من التدابير المانعة من تزوير هذه النصوص، وهو الأمر الذي بدا واضحا من خلال الأمر النبوي الشريف بحفظ الوحي، وتأديته على وجهه الذي صدر عليه، يقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: "نضر الله وجه امرئ سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها كما هي" [سلسلة الأحاديث الصحيحة، ص٢٠٥، حديث ١١٢١]، وهناك أحاديث كثيرة تأمر بحفظ السنة المشرفة، وتنهي عن الكذب والدس عليها، عمدتها جميعا حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم: "من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" [أخرجه السيوطي، وصححه في الجامع الصغير ١٨٦/٢].

ومن أجل ذلك وغيره تفردت الحضارة الإسلامية بعلم الجرح والتعديل؛ ذلك العلم الذي يعنى ببيان أحوال رواة حديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم- من جهة العدالة والضبط، أو من جهة عدمهما، وبهذا نستطيع أن نقرر أن علم الجرح والتعديل، وجزءًا من جهازه الاصطلاحي نشأ في العصر النبوي الكريم بدافع ديني وتعبدي بامتياز.

وقد ثمن كثير من العلماء ظهور هذا العلم، وعدوه علامة على ترقي الحياة العقلية والعلمية للمسلمين، أذكر منهم فرانتز روزنتال في كتابه عن مناهج التأليف عند المسلمين.

(١) مصادر مصطلحية علم الجرح والتعديل : مقال في التنوع المذهل.

ينظر إلى علم الجرح والتعديل من جهتين، إحداهما تراه فرعا من علم مصطلح الحديث، وأخراهما تراه علما مستقلا، ولا تناقض بينهما إلا من جهة درجة العناية، والخدمة العلمية.

ويملك علم الجرح والتعديل مجموعة كبيرة من المصطلحات تحمل مفاهيمه؛ تسمى بمصطلحية الجرح والتعديل، ويحتفظ التصنيف العربي الإسلامي بعدد وافر من أنواع المصادر التي تعد المركز الجامع لمصطلحية هذا العلم.

ومن المهم أن نقرر أن هذه المصادر ليست جميعا على درجة واحدة من الأهمية بطبيعة الحال، لكنها جميعا لازمة عند فحص هذه المصطلحية أو جمعها، أو بيان مفهوماتها ومعانيها.

وفي ما يلي محاولة لرصد مصادر مصطلحية علم الجرح والتعديل الموزعة على نوعيها الأساسي والثانوي:

أولا- كتب شروح السنة الشريفة.

ذلك أن عددا من هذه المدونات الشريفة كانت قد أفردت عددا من أبوابها لبيان الأمر بحفظ السنة، والنهي عن الوضع فيها، أو الكذب عليها.

وليس من شك في أن شروح هذه الأبواب قد تضمن بعض مصطلحات أحوال الرواة، وبيان الرأي في عدالتهم ودينهم وتقواهم وورعهم، وضبطهم وإتقانهم.

ولعل الشروح المطولة من مثل: فتح الباري لابن حجر، وشرح النووي على صحيح مسلم هي العمدة في هذا الباب.

ثانيا- تفاسير القرآن الكريم.

لقد جاء في الذكر الحكيم عدد من الآيات، تعالج في ما تعالجه قضية التفسيق، والتعديل، وآثارها على حركة المجتمع، وما ينشأ عنه من علاقات، من مثل قوله تعالى: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾[سورة الحجرات ٤٦/٦]، وفحص هذه الآية الكريمة ينتج إمكان الخروج بمصطلحين من مصطلحية علم الجرح والتعديل هما:

١ –الفاسق، وقد انتقل هذا اللفظ بدلالته اللغوية والقرآنية إلى المجال الاصطلاحي.

٢-الجهالة، وقد انتقل هذا اللفظ بعد تطوير في دلالته اللغوية والقرآنية عن طريق تخصيص دلالته أو تضييقها.

ومن هنا فإن مراجعة هذه التفاسير ولا سيما الموسعة تمثل كنزا، وإن يكن ثانويا لجزء من مصطلحية هذا العلم الخطير.

ثالثا- كتب التاريخ العام.

تعنى كتب التاريخ العام، ولا سيما تلك التي تعنى بالتأريخ للعلماء، وطبقاتهم، والحكم عليهم، بعدد وافر من المعلومات التي تدخل في الصميم من اهتمام علم الجرح والتعديل، ومن ثم فهي بشكل أو بآخر من المصادر المهمة لمصطلحيته، بما هي معينة في كثير من مادتها أحوال الرواة، واتخاذ موقف منهم بناء على ما توافر من حيواتهم، وصفاتهم الشخصية، وصفاتهم العلمية.

رابعا- كتب علم الحديث، أو كتب مصطلح الحديث.

ذلك أن علم التحديث في انشغاله بفرعي الحديث أو جزأيه؛ السند والمتن، يعنى بطبيعة تكوينه بالمصطلحات الحاملة لمفاهيم أحوال الرواة تعديلا وتجريحا.

ولعل كتب أمثال ابن الصلاح، والبلقيني، والرامهرمزي، والسيوطي، والنووي، والخطيب البغدادي، والقاضي عياض من المصادر المهمة في هذا السياق بما تحويه من مصطلحات الجرح والتعديل في بعض أبوابها التي خلصت لمعالجة بعض أسباب رد الأحاديث بسبب من أحوال رجال السند، أو بعض أسباب قبول الأحاديث بسبب من أحوال رجال السند من جهة أخرى.

خامسا- كتب الرجال، أو معاجم الشيوخ وما في منزلتها.

وذكر هذا النوع من مصادر مصطلحية علم الجرح والتعديل يبدو منطقيا؛ إذا عرفنا أن علماء الحديث يعدون كتب الرجال المصدر المهم المركزي لهذا العلم، وقد تنوعت كتب الرجال، واتخذت مناهج مختلفة يمكن إجمال أهمها في ما يلي:

يقول سيد عبد الماجد الفوري في (معجم المصطلحات الحديثية) [ص٢٨١-٢٨٢ دار ابن كثر، دمشق، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م]: "أهم مصادر الجرح والتعديل:

١- كتب الثقات، لأمثال ابن صالح العجلي المتوفى ٢٦١هـ، وابن حبان البستي المتوفى سنة ٣٥٤هـ، وابن شاهين الواعظ المتوفى سنة ٣٨٥هـ، والذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ.

٢- كتب الضعفاء، لأمثال البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ، والنسائي المتوفى سنة ٣٢٢هـ، وابن موسى العقيلي المتوفى سنة ٧٤٨هـ، وغيرهم.

٣- الكتب الجامعة بين الثقات والضعفاء، لأمثال البخاري، أبي يعلى القزويني المتوفى سنة ٤٤٦هـ، وابن عبد الهادي المتوفى سنة ٩٠٩هـ، وغيرهم.

٤- كتب رواة كتاب حديث بعينه، من مثل: رجال البخاري للكلاباذي المتوفى ٣٩٨هـ، ولأبي الوليد الباجي المتوفى سنة ٤٧٤هـ، ورجال مسلم لابن منجويه الأصفهاني المتوفى سنة ٤٢٨هـ، ورجال الموطأ للسيوطي المتوفى ٩١١هـ، وغيرهم.

٥- كتب الرجال الخاصة ببلد بعينه، من مثل: تاريخ علماء أهل مصر لابن الطحان المتوفى سنة ٤١٦هـ، وأخبار أصبهان لابن نعيم المتوفى سنة ٤٣٠هـ، وتاريخ جرجان للسهمي المتوفى سنة ٤٢٧هـ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ، وغيرهم.

٦- كتب السؤالات، من أمثال: سؤالات ابن الجنيد المتوفى سنة ٢٦٠هـ، ولابن معين المتوفى سنة ٢٣٣هـ، وسؤالات ابن أبي شيبة، لابن المديني المتوفى سنة ٢٣٤هـ، وغيرهم.

سادسا- كتب الأمالي الحديثية.

وهي كتب بطبيعتها تضم عددا من الأمالي التي تتوجه إلى عدد من مسائل الجرح والتعديل، ومن ثم فهي تحوى عددا من مصطلحاته، مما يجعلها مصدرا من مصادرها.

سابعا- كتب تصنيف العلوم.

عرفت حركة العلم عند المسلمين نوعا من التصنيف يعنى بالتعريف بالعلوم، وأقسامها، المختلفة، وذكر أشهر الكتب في كل علم منذ زمن مبكر من عمر الإسلام.

وقد ورد في كثير من هذه الكتب باب يعرف بهذا العلم وبمصنفاته، وهو ما استلزم ذكر عدد من المصطلحات الخاصة ببعض قضاياه ومسائله.

يقول صديق حسن خان القنوجي في أبجد العلوم [١٧٩/٢]: "علم الجرح والتعديل: هو علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة (هي مصطلحاته) وعن مراتب تلك الألفاظ". ومن المصنفات المعروفة في هذا الميدان:

١- أبجد العلوم، لصديق حسن خان القنوجي ١٣٠٧هـ.

٢- مفتاح السعادة، لطاش كبري زاده سنة ٩٦٨هـ.

ثامنا- معاجم المصطلحيات، أو معاجم المصطلحيات المتعددة العلوم.

عرف التراث المعجمي العربي مجموعة كبيرة من المعجمات الجامعة لمصطلحات العلوم جميعا التي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية.

وقد ضمت هذه المعاجم، ولا سيما المعاجم المصنفة تصنيفا موضوعيا يجعل لكل مصطلحية علم فصلا بعينه- فصولا تشرح مصطلحات علم الحديث، ومصطلحات الجرح والتعديل فرع منه.

وقد اشتملت المعجمات التالية على عدد من مصطلحات علم الجرح والتعديل:

١- مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، المنسوب للسيوطي ٩١١هـ.

٢- التعريفات، للسيد الشريف الجرجاني ٨١٦هـ.

٣- التعريفات والاصطلاحات، لابن كمال باشا سنة ٩٤٠هـ.

٤- التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي سنة ١٠٣١هـ.

٥- الكليات، للكفوي ١٠٩٤هـ.

٦- كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي ١١٥٨هـ.

٧- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون = دستور العلماء، للأحمد نكري سنة ١١٧٣هـ.

ومراجعة هذه المعجمات جميعا وفق منهجية ترتيب كل منها يقود إلى الحصول على مجموعة كبيرة من مصطلحات هذا العلم، وفي ما يلي أمثلة على ذلك الذي نقرره:

- مصطلح الثقة في التوقيف للمناوي [ص٢٢١]، والتعريفات للجرجاني [ص ٧٥]، والكليات [١٣٢]، والتعريفات لابن كمال باشا [١٥٢]، ودستور العلماء [٣٧٦/١].

- م الضبط في التعريفات للجرجاني [١٤٢]، وابن كمال باشا [٢٦٠]، والكليات [٥٧٩]، والتوقيف [٢٢١]، ودستور العلماء [٢٦١/٢]، وكشاف اصطلاحات الفنون [١١١٠/٢].

- م الضعيف في التعريفات للجرجاني [١٤٣]، وابن كمال باشا [٢٦٣]، والكليات [٥٢٩]، ودستور العلماء [٢٦٩/٢].

- م العدل في التعريفات للجرجاني [٥٢]، وابن كمال باشا [٣٣٥]، وكشاف اصطلاحات [١٨٧/٢]، والكليات [٥٥٦]، والتوقيف [٢٨٠]، ودستور العلماء [١١٨/٣]..

وغير ذلك من المصطلحات كثير في مجموع هذه المعجمات مما يجعلها مصادر مهمة في هذا الباب.

تاسعا- معاجم علوم إسلامية متنوعة.

اعتنت مجموعة من العلوم الشرعية بالمصطلحات التجريحية والتعديلية لسبب أو لآخر يدخلها في اهتمامها المعرفي.

ومن هنا فإن معاجم مصطلحات علم الفقه، وعلم أصول الفقه، وعلم أصول الدين، وعلم الكلام، وعلم المنطق ضمت عددا كبيرا من مصطلحات علم الجرح والتعديل؛ لأنها استعملتها جزءًا من جهازها الاصطلاحي لدخولها في صميم مسائلها العلمية، فالكلام عن الراوي- من اعتبارات كثيرة- يمثل جزءًا من بنية هذه العلوم جميعا.

ومما يدل على ذلك ورود عدد من هذه المصطلحات، من أمثلة: تعريف الكذب في الحدود الأنيقة لزكريا الأنصاري [ص ٧٤].

ويعرف الدكتور محمود حامد عثمان مصطلح "الحجة"، وهو من مصطلحات علم الجرح والتعديل في معجمه القاموس المبين في اصطلاحات الأصوليين [ص١٢٧]؛ بصورة تخدم معناه في علم الجرح والتعديل.

عاشرا- معاجم مصطلحات علم الحديث.

عرفت المعجمية الإسلامية المختصة في العصر الحديث عناية ظاهرة بتصنيف معجمات جامعة للمصطلحات الحديثية قام عليها أفراد ومجامع، وكان طبيعيا أن تضم هذه المعجمات في ما تضمه من مصطلحات عددا من ألفاظ الجرح والتعديل على اعتبار أن هذا العلم جزء أصيل من علوم الحديث النبوي الشريف تبحث في أحوال رواته أو رجاله.

ومن المهم جدًّا استصحاب المعاجم الحديثية التالية ونحن بصدد الحديث عن مصادر مصطلحية الجرح والتعديل، وسوف نوردها مرتبة ترتيبا تاريخيا بحسب صدورها:

١- معجم المصطلحات الحديثية، للدكتور نور الدين عتر، ثم أضاف إليه وحوله إلى معجم ثنائي (عربي/ فرنسي) الدكتور عبد اللطيف الشيرازى الصباغ وداود عبد الله كريل، وصدر سنة ١٩٧٩م.

٢- قاموس مصطلحات الحديث النبوي، لمحمد صديق المنشاوي، صدر بالقاهرة سنة ١٩٩٦م (ودرسه دراسة نقدية الدكتور خالد فهمى في كتابه: ثقافة الاستهانة، القاهرة سنة ٢٠٠٣م).

٣- معجم المصطلحات الحديثية، للدكتور محمود أحمد الطحان، والدكتور عبد الرازق الشايجي، والدكتور نهاد عبد الحكيم عبيد، صدر بالكويت سنة ١٩٩٨م.

٤- معجم مصطلحات الحديث الطائف الأسانيد، للدكتور محمد ضياء الأعظمي، صدر بالرياض ١٩٩٩م.

٥- معجم مصطلحات الحديث، لسليمان مسلم الحرش، وحسين إسماعيل الجمل، صدر بالرياض سنة ٢٠٠١م (الطبعة الأولى منه كانت سنة ١٤١٦هـ).

٦- معجم مصطلح الحديث النبوي، لمجمع اللغة العربية، بالقاهرة، صدر سنة ٢٠٠٢م.

٧- المعجم الوجيز في اصطلاحات أهل الحديث، صدر بالقاهرة سنة ٢٠٠٨م.

٨- معجم مصطلحات الحديث وعلومه أشهر المصنفين فيه، للدكتور محمد أبي الليث الخير آبادى، صدر بعمان ٢٠٠٧م.

٩- الدر النفيس: معجم مصطلحات علوم الحديث، لناصر الحلواني، صدر بالقاهرة سنة ٢٠١١م.

ولتوقف أما مصطلح "المجهول" بما هو من ألفاظ الجرح والتعديل، كاشف عما تقدمه هذه المعجمات المذكورة لمصطلحية هذا العلم الجليل، وفي ما يلي بيان لمواضع وروده في هذه المعاجم العشرة، بترتيب ذكرها هنا:

(١ص٢٥٨/ ٢ص١٠٣/ ٣ص١٤٦/ ٤ص٣٥٢/ ٥ص٥٤/ ٦ص٦٢/ ٧ص٢١٧/ ٨ص٦٦٢/ ٩ص١٣٢/ ١٠ص٣٧٧).

وقد اعتنت هذه المعاجم جميعا بتعريفه، وبذكر أقسامه (مجهول العين/ ومجهول الحال)، وما يدخل معها في علاقات ترادف.

حادي عشر- معاجم مصطلحات الجرح والتعديل.

وقد ظهر متأخرًا عدد قليل من المعجمات المختصة بجمع ألفاظ الجرح والتعديل بشكل مستقل، بغية بيان مفاهيمها، ومراتبها، وقد توصلت إلى عدد منها هي:

١- الشروح والتعليل، لألفاظ الجرح والتعديل، ليوسف محمد صديق، صدر بالكويت ١٩٩٠م.

٢- معجم ألفاظ الجرح والتعديل، لسيد عبد الماجد الغوري، صدر بدمشق سنة ٢٠٠٧م.

٣- معجم ألفاظ وعبارات الجرح والتعديل النادرة والمشهورة، لسيد عبد الماجد الغوري، صدر بدمشق سنة ٢٠٠٧م.

٤- معجم الجرح والتعديل، للدكتور خيري قدري، صدر بالقاهرة ٢٠٠٧م.

وقد اتبعت هذه المعجمات طريقة سهلة في ترتيب الألفاظ؛ سعيا للتيسير على عموم المستعملين، تمثلت في اتباع منهج الترتيب الألفبائي النهائي غير التجريدي المعروف باسم الترتيب الألفبائي الجذعي، الذي يورد الكلمات بحسب أوائلها من غير رد إلى الجذور.

والوقوف أمام هذه المصادر المتنوعة دال على الأهمية المتميزة التي أولتها حركة العلم الإسلامي لهذا الفرع المعرفي، ودال كذلك على وعي العلماء المسلمين بأهمية فحص طرق حمل العلم، وبالعناية بأخطر ما يتعلق بالنقد الخارجي للنصوص المؤسسة للعلم، وهو الأمر الذي قاد إلى تفرد الثقافة الإسلامية بهذا العلم.

(٢) أنماط مصطلحات الجرح والتعديل: مثال على مرونة العربية.

فكرة توزيع ألفاظ الجرح والتعديل على أنماط فكرة تتوخى تحقيق أكثر من هدف يأتي في مقدمتها:

١- معالجتها شكليا للإفادة منها في بنوك المصطلحات، أو المكانز اللغوية.

٢- معالجتها آليا.

٣- قياس قدرة اللسان العربي على التعاطي مع مفاهيم مثل هذا العلم، واستيعابه لها بالتعبير عنها صرفيا.

وفحص مصطلحات الجرح والتعديل يضع أيدينا على نمطين غالبين، هما:

١- نمط الصيغة المفردة.

٢- نمط الصيغة المركبة، بتنوع التراكيب في العربية.

وفي ما يتعلق بنمط الصيغة المفردة، فقد اتخذ هذا النمط أشكالا متنوعة توزعت على أنواع كثيرة من مثل: الاسم بنوعيه: اسم ذات، أو اسم معنى، ومن مثل: المصدر، والمشتق، ومما جاء عليه من المصطلحات (الإمام/ تالف/ ثبت / ثقة / جبل/ جراب/ جيد/ حافظ/ حجة / خيار/ دجال/ ذاهب/رضا/ ساقط/ شيخ/ صدوق/ صويلح/ ضابط/ ضعيف/ فطن/ كاذب/ كذاب/ كيس/ لين / مأمون/ مبتدع/ متروك/

متقن/ متماسك/ مطرح/ مطروح/ مطعون / مقارب/ مقبول/ منكر / هالك/ واه/ وسط/ وضاع).

والملاحظ هنا هو غلبة استعمال صيغة المشتق بأنواعها المختلفة (اسم فاعل/ أو الصفة المشبهة به/ أو اسم المفعول/ أو صيغة المبالغة)، وهو أمر يبدو منطقيا؛ لأن طبيعة المشتق بحكم تعريفه لفظ يولد للتعامل مع المعاني الطارئة، لولاها لم يولد.

أما النمط الآخر، وهو نمط الألفاظ التي اتخذت شكلا مركبا، فقد تنوعت صوره، لتظهر مصطلحات الجرح والتعديل في الصور التالية:

١- المركب الإضافي.

٢- المركب الوصفي.

٣- المركب الإسنادي (الاسمي/ والفعلي).

وفي ما يلي محاولة أولية لتوزيع ما جاء من مصطلحات الجرح والتعديل على هذا النمط؛ فمن أمثلة ما جاء على صورة المركب الإضافي (وصورته: مضاف + مضاف إليه اسم ظاهر): (حمالة الحطب/ رجل سوء / سارق الحديث / متروك الحديث/ مجهول العين/ جيد الحديث / صالح الحديث / ضعيف الحديث/ وغير ذلك).

ومن الأمثلة التي جاءت على صورة المركب الإضافي (وصورته: مضاف + مضاف إليه ضمير): (إباضي/ خشبي/ صفري/ عثماني / قدري/ قعدي/ ناصبي/ واقفي/ وغير ذلك).

وثمة عدد آخر من المصطلحات جاء على نمط التركيب الوصفي، مكون من موصوف وصفته من مثل: (ثبت حافظ/ ثبت حجة / ثقة ثبت/ ثقة جبل / صدوق ثقة/ صدوق مبتدع/ عدل حافظ / عدل ضابط / متقن ثبت/ وضاع واه/ وغير ذلك).

وثمة عدد آخر أكثر تواترا جاء على نمط التركيب الإسنادي بصوره الثلاثة؛ الاسمي والفعلي، وشبه الجملة، ومن أمثلتها جميعا: (البلاء فيه من فلان/ جبل في الكذب/

صدوق له أوهام / غيره أقوى منه/ فلان أحب إلى فيه / فلان أوثق منه/ فلان تعرف وتنكر / له أوابد/ له غرائب/ وغير ذلك).

وربما جاء التركيب الاسمى مفتتحا بفعل ناسخ من مثل : (ليس بالثقة/ ليس بالحافظ/ ليس بالحجة / ليس بشيء / ليس من أهل الحفظ/ إلخ).

وربما جاء التركيب الاسمى مفتتحا بلا النافية للجنس وهي ملحقة بالحروف الناسخة من مثل : (لا أحد أثبت منه/ لا شيء/ إلخ).

ومما جاء من هذه المصطلحات في صورة تركيب فعلي: (اختلف فيه / ارم به/ تركوه/ تغير/ سكتوا عنه/ طعنوا فيه / طرحوه/ يتكلمون فيه / يروى عنه/ إلخ).

وتفسير كثرة أمثلة هذا النمط التركيبي الإسنادى راجع إلى التنوع الذي يتميز به التركيب الإسنادي الاسمى بتعدد أشكال خبره، وبدخول النواسخ عليه، والتركيب الفعلي بتعدد أشكاله بناء للمعلوم والمجهول، وإثباتا ونفيا، وهو التنوع المناسب لتنوع أحوال الرواة جرحا وتعديلا.

وهذان النمطان الرئيسان وما تفرع عنهما من أنماط تحتهما دليل حاسم على مرونة اللغة العربية.

(٣) القيمة الحضارية لمصطلحات الجرح والتعديل في العربية :

الإسلام يرتقى بالمعرفة الإنسانية.

إن دراسة الجهاز الاصطلاحي لعلم الجرح والتعديل تنتج حقيقة مهمة جدًّا مفادها الإخلاص العظيم للعلم، وتقدير منزلته السامية عن طريق حياطته بعلم كامل يقف أمام حامليه، ورواته للناس بفحص أحوالهم، وبيان صفة كل راو من جهة الجرح والرد واطراح المرويات، أو من جهة التعديل والقبول، واعتماد المرويات.

وهذه أول قيمة من القيم الحضارية الكامنة في هذا الجهاز الاصطلاحي لهذا العلم، ذلك أن حماية العقل المسلم بحماية ما يروي له، أو ينقل إليه من مواد العلم المختلفة بعد حضاري مهم جدا يعكس الروح الحضارية التي أنبتها الإسلام في تربة الثقافة الإنسانية.

ومن جهة ثانية فقد أمد هذه الجهاز الاصطلاحي منهج العلم الإسلامي ثم الإنساني روحا نقدية دعمت ما ورثته مناهج العلوم عن اليونان القدماء، وغذته، وعمقت جذور هذه الروح النقدية، وفتحت أمامها آفاقا جديدة لم تكن موجودة من قبل.

ومن جهة ثالثا فقد أوجد هذا الجهاز الاصطلاحى مثال على قدرة العقل العربي بفضل الإسلام العظيم على الابتكار والتجديد، وتأسيس المعرفة اللازمة لتعميق آثار العلم في الحياة.

ومن جهة رابعة فقد أعطى هذا النموذج شعورا قويا بقدرة اللسان العربي على استيعاب المفاهيم المستحدثة، بما ظهر من مرونتها في التعبير الشكلي أو الصرفي عن مفاهيم الجرح والتعديل في صور وأنماط متنوعة بشكل ظاهر.

ومن جهة أخرى فإن ما تراكم من مصادر الجهاز الاصطلاحي لعلم الجرح والتعديل أثر آخر مهم جدا لما قدمه هذا الفرع المعرفي من دليل على ترقية الإسلام للحضارة والحياة العقلية العربية والإسلامية بوجه خاص والإنسانية بوجه عام.

ولم تقف حدود هذا الأثر الحضاري عند حدود التطبيقات في مجال علم الحديث النبوي الشريف فقط، وإنما تجاوزته إلى عدد آخر من العلوم في الثقافة العربية الإسلامية والإنسانية فأثرت في مناهجها المختلفة.

ومن أظهر الأمثلة على التأثر بمناهج الجرح والتعديل في مجال دراسة اللغة العربية ما يلي:

أولا- تصميم عدد من المعجمات العربية على نتائج علم الجرح والتعديل، وتطبيقاتها على المرويات اللغوية على ما نرى في بناء معجم تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري، المعروف بمعجم الصحاح، وفي معجم تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، حيث ظهر من خلال بنائهما ومقدماتهما التأثير الواضح والمباشر لقيمة بيان أحوال علماء اللغة ورواتها وصولا إلى تقدير مروياتهم في هذا الباب العلمي.

ثانيا- تصميم قطاع من أدبيات فقه اللغة، على ما أحدثه علم الجرح والتعديل في الحضارة العربية، وهو ما نراه بشكل واضح جدا في بناء كتاب (المزهر في علوم اللغة)

للسيوطي، وهو أوسع مصادر فقه اللغة العربية القديمة، حيث استلهم السيوطي منجز علم الحديث ولا سيما في فرع الجرح والتعديل في تقسيماته للكتاب، وتقسيماته لقضاياه ومسائله ومعالجاته التفصيلية.

ومن هنا فإننا نقرر بشكل إجمالي لا شبهة للمجاز فيه أن علم الجرح والتعديل، وجهازه الاصطلاحي يقدم مثالا فريدا على إيجابية العقل المسلم، وقدراته الفائقة في الميدان العلمي الحضاري.



ثالثا
معاجم الغربيين في العربية
(نشأتها وأشهر مصنفاتها)

(مدخل)

من الحقائق المستقرة في تاريخ المعجم العربي أنه نشأ بسبب من خدمة الكتاب العزيز، وبسبب من العناية بحفظ دلالات ألفاظه الكريمة، وحماية لها من التغير، حتى صح في هذا الميدان أن نقرر أنه لولا القرآن ما كانت المعاجم العربية.

وتأمل هذا الارتباط العضوي بين ظهور المعاجم العربية وإرادة خدمة الكتاب العزيز جزء من حفظه الموعود به؛ أي أن المصحف الشريف كان لحفظ النص، ثم كان المعجم لحفظ معاني ألفاظ هذا النص الكريم.

والشواهد التاريخية متواترة تدعم ما نقوله ونقرره؛ إذ توجهت المحاولات القديمة الأولى في مجال المعجم إلى العناية بلفظ الذكر الحكيم وحده من غير مخالطة من لفظ آخر، على ما نرى في المحاولة المعجمية المبكرة جدًّا المعروفة باسم (سؤالات نافع بن الأزرق لابن عباس رضي الله عنهما)، وهو ما يؤكده الدكتور محمد أحمد الدالي فيقول: "وهي مسائل عن معاني ألفاظ من غريب القرآن سأل نافع بن الأزرق (ت ٦٥هـ) عنها ابن عباس (ت ٦٨هـ)، وطالبه أن يأتي بشواهد على ما يفسره من معاني الألفاظ من شعر العرب" [سؤلات نافع بن الأزرق عن عبد الله بن عباس، برواية الختلي والعلاف، تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي، طبعة الجفان والجفاني، سنة ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م، ص ٧].

ويؤكد معنى القيمة التي تمثلها هذه المحاولة المعجمية الأولى فيقول: "وهذه المسائل عظيمة الخطر من الناحيتين: العلمية والتاريخية، وذلك أنها أول ما يعرف من آثار التفسير اللغوي للقرآن، وأول ما يعرف في باب الاحتجاج لمعاني ألفاظ القرآن بالشعر، وأن ما

فيها من تفسير ألفاظ من غريب القرآن ومن شواهد الشعر مروي عن ابن عباس إمام المفسرين وترجمان القرآن" [سؤلات نافع بن الأزرق، ص ٨].

وقد خلصت هذه المحاولة للعناية ببيان معاني عدد من ألفاظ الكتاب العزيز ، وقد اتسمت بعدد من السمات يمكن بيانها من خلال المثال التالي وهي المسألة العشرون [ص٥٨]: "قال فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ﴾ [سورة يوسف ١٢/٨٥].

قال: الحرض: البالي.

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم. أما سمعت طرفة حيث يقول: [من الطويل]

أمن ذكر ليلى أن نأت غربة النوى كأنك حم للأطباء محرض

وهو مثال مسبوق بمسألة في بيان معنى (كظيم)، وهو مثال تلحقه مسألة في بيان معنى (سجر)، ففي هذا المثال اتضح أن هذه المسائل باعتبارها محاولة معجمية قديمة تذرعت بعدد من الخصائص هي:

١- عشوائية المنهج؛ بمعنى أن ترتيب الألفاظ لم يخضع لمنهج معين.

٢- العناية بذكر السياق من خلال الحرص على ذكر الآية المتضمنة للفظ المراد بيان معناه.

٣- العناية بذكر الشاهد المعجمي (وهو هنا الشعر القديم) باعتباره الدليل على صحة المعنى المذكور، وهو التفات مبكر ومهم جدًّا في هذا المجال.

٤- العناية بالوظيفة الأم للعمل المعجمي، وهي وظيفة شرح المعنى أو تعريفه، وبيانه.

٥- النوعية، بمعنى أن هذا المعجم المبكر احتفل بعدد معين من ألفاظ الكتاب العزيز، ولم يجمع كل ألفاظ الكتاب الكريم، وهو ما سوف تتكفل بالزيادة عليه ما يظهر في ما بعد من معاجم غريب القرآن؛ مما يدعم القول بنسبية الغريب من زمن إلى زمن ما.

٦- النقص في الوظائف المعجمية، بمعنى أن ثمة نقصا في عدد من الوظائف المعجمية ظهر في هذه المحاولة من مثل النقص المعلق بوظيفة معلومات الصرف (ما يتعلق بنوع الكلمة)، والنحو، ونحو ذلك.

(١) نشأة التأليف في معاجم الغربيين.

ثم استمرت العناية ببيان معاني ألفاظ الكتاب العزيز حتى ظهر اتجاه معجمي كامل عرف باسم (معاجم غريب القرآن)، ثم تبعه ظهور العناية ببيان معاني ألفاظ حديث النبي صلى الله عليه وسلم؛ باعتبار السنة المطهرة هي الوحي المبين للوحي والمكمل له، والمفصل لما جاء فيه؛ وهو ما عرف باسم (معاجم غريب الحديث).

ثم ظهرت مجموعة من المعاجم جمعت بين دفتيها ألفاظ القرآن الكريم مع ألفاظ السنة الشريفة، ونحن نرى في ذلك أثرا من آثار علم **الأصول**؛ أي علم أصول الفقه، بمعنى أننا نرى أن نشأة معاجم الغريبين في العربية كانت بسبب من النظر إلى أن الكتاب العزيز، والسنة المشرفة هما الأصلان الأعليان للتشريع عند المسلمين، ومن ثم فلا تصح أي عملية استنباطية من غير عناية ببيان ألفاظ هذين المصدرين، ومن هنا جمعت ألفاظ الذكر الحكيم مضمومة إلى ألفاظ الحديث النبوي الشريف؛ خدمة جليلة للعمل الأصولى على سبيل التمهيد، وإن كان ظهور هذا النمط التصنيفي في تاريخ المعجمية كان أثر من آثار علم أصول الفقه الذي أصَّل لحقيقة كون القرآن الكريم والسنة الشريفة هما مصدرا التشريع الأساسيين المتفق عليهما، ولا شك أن السبيل إلى ذلك إنما يكون ببيان معنى الغامض من ألفاظ هذين المصدرين وهو المراد بالغريبين.

(٢) أشهر المصنفات في معاجم الغريبين.

في المدخل الذي صنعه حاجي خليفة في كشف الظنون [كشف الظنون، لحاجي خليفة، مصورة دار الفكر، بيروت سنة ١٤١٠ هـ= ١٩٩٠م، (١٢٠٩/٢)] للغريبين ذكر المصنفات التالية، وهي تمثل عصب ما وصل إلينا من تراث معاجم الغريبين:

أ- الغريبين؛ يعنى غريب القرآن والحديث، لأبي عبيد الهروي المتوفى سنة ٤٠١هـ.

ب- مختصر الغريبين، لأبي المكارم النحوي المتوفى سنة ٥٦١هـ.

ج- المشرع الروي في الزيادة على غريبي الهروي، لابن عسكر ٦٣٦هـ.

د- المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، للمديني المتوفى سنة ٥٨١هـ.

هـ- التنبيه، للسلامي المتوفى سنة ٥٥٠هـ

ومن فضل الله أن يسر سبيل نشر أهم مصنفات معاجم الغريبين، فاعتنى الدكتور محمود الطناحي- رحمه الله ورضي الله عنه- بالغريبين للهروي؛ فأخرج الجزء الأول منه سنة ١٣٩٠هـ= ١٩٧٠م، وهو المنتهي بحرف الجيم، ثم جاء الأستاذ/ أحمد فريد المزيدي فنشره نشرة كاملة في ستة أجزاء بالمكتبة العصرية، بيروت سنة ١٤١٩هـ= ١٩٩٩م.

كما نشر كتاب المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث،لأبي موسى المديني بعناية عبد الكريم العزباوي في جامعة أم القرى بمكة المكرمة حرسها الله في مجلدين كبيرين سنة ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م. وهو تتمة وتكملة للغريبين، استدرك عليه، وأورد ما لم يرد فيه، يقول [١/٤]: "غير أني وجدت كلمات كثيرة شذت عن كتابه (أي الغريبين للهروي) إذ لا يحاط بجميع ما تكلم به من غريب الكلم، فلم أزل أتتبع ما فاته، وأكتب ما غفل عنه".

كما نشر الدكتور وليد محمد السراقبي كتابه (التنبيه على الألفاظ التي وقع في نقلها وضبطها تصحيف وخطأ في تفسيرها ومعانيها وتحريفها في كتاب الغريبين) لابن ناصر السلامي المتوفى سنة ٥٥٠هـ، بالمجمع الثقافي بأبي ظبي، سنة ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٣م.

وبهذا يصح أن نقرر أن لدينا نسخة موسعة ومصححة من أهم معاجم الغريبين في تاريخ المعجم العربي.

(٣) منهجية التيسير.

ليس من غرضنا في هذه العجالة أن نحسم الجدل الدائر حول أولية الاهتداء إلى المنهج الألفبائي الدقيق في ترتيب المعجم العربي، وإن كنا نميل إلى القول بأن أبا عمرو الشيباني ٢٢٤هـ، كان السابق إلى وضع معجمه الجيم مرتبا مداخله خارجيا فقط على الترتيب الهجائي الألفبائي من دون ترتيب داخلي للكلمات في داخل الباب، ونميل إلى القول بأن أبا عبيد الهروي المتوفى ٤٠١هـ صاحبنا، هو من أكمل ضبط هذا المنهج بما

صنعه من ترتيب دقيق راعى فيه الثواني والثوالث مع الأوائل، وليس يصح إلى الآن غير ذلك.

المهم أن ترتيب معاجم الغريبين الكبرى جاء مراعيا التيسير على عموم المستعملين، وهو ما تجلى في إيراد الألفاظ مرتبة على الحرف الأول، بمعنى أن الكلمات المبدوءة بحرف الهمزة أو بحرف الباء.. إلخ، جمعت في باب مستقل، ثم عاد فرتب الكلمات المبدوءة بحرف واحد والمجموعة في باب واحد ترتيبا دقيقا يراعي مع هذا الحرف الأول ما يليه من الحروف الثواني والثوالث على وفاق الترتيب الألفبائي المشرقي (أ، ب، ت، ث، ج.. إلخ) بحيث تر ى في باب الهمزة مثلا الترتيب التالى: الهمزة مع الباء، ثم الهمزة مع التاء، ثم الهمزة مع الثاء، وهذا التيسير ملمح مهم من ملامح العلم عند المسلمين.

ويفتتح المعجم كل باب أو فصل ببيان معاني غريب القرآن الكريم أولا، ثم يثني ببيان غريب السنة ثانيا، وهو ما يدعم التأثير الأصولي في نشأة معاجم الغريبين من جانب آخر.

ومن الأمثلة الدالة على منهج التعامل مع الألفاظ قول الهروي في الغريبين [١/١٨٠]: "ما من رجل له إبل وبقر لا يؤدي حقها إلا بطح لها يوم القيامة بقاع قرقر كأكثر ما كانت وأبشره ؛ أي: أحسنه. وسميت الرياح مبشرات؛ لأنها تبشر بالمطر".

ويتعقب السلامي قول أبي عبيد وروايته فيقرر في التنبيه [١٢١]: "وقد وقع في هذه اللفظة تصحيف، وهو قوله: "وأبشره " وإنما هو "آشره" يعني: أنشطه، مأخوذ من الأشر وهو النشاط والمرح، لا من البشر الذي هو الحسن"، ثم يفيض في تخريج روايات الحديث بما يؤكد رأيه.

ثم يأتي المديني فيزيد مما استدركه على الغريبين في المادة نفسها ما يلي [١/١٦١]: "في حديث الحجاج في المطر "كيف كان المطر وتبشيره"؛ أي: مبدؤه، وأوله، ومن: تباشير الصبح، وهو مصدر بشر؛ لأن طلوع فاتحة الشيء كالبشارة به".

ومن هنا فإنه يصح– ولا يصح غيره– أن نقرر أن حضور القرآن الكريم والسنة الشريفة في المركز من حضارة العرب كان له أثره البالغ في تنمية البحث اللغوي عموما،

والبحث المعجمي خصوصا، وهو ما يدعونا إلى مداومة فحص هذه العلاقة الجوهرية والمحورية بين القرآن الكريم والسنة المطهرة والعلوم التي دارت في مداراتهما.

❋ ❋ ❋

الفصل الثالث

في معجمية الاستنباط
(عمل القلب أو العقيدة، وعمل الجوارح أو الفقه)

أولا

العناية بمصطلحات(عمل القلب) أو العقيدة الإسلامية في المعجمية العربية قديما وحديثا

(مدخل)

لا يجادل أحد في أن الإسلام منذ بداياته اعتنى عناية فائقة بتصحيح النظرة إلى الله سبحانه ولا سيما في البعد المتعلق بتوحيد الألوهية؛ أي في بعد كونه مستحقا وحده سبحانه بالعبادة والاستعانة، وأصبح تقييم الإسلام أولا وقبل أي شيء محكوما بالتغيير الجبار في هذا الميدان، بعد انحرافات غير مرضية طالت النظر إلى الخالق سبحانه.

وقد مر التعبير عن هذه الحقائق بمراحل مختلفة، سميت قديما باسم الإيمان بمعنى أن المؤلفات القديمة التي حملت عنوان (كتاب الإيمان) كانت كتبا تناقش مسائل ما سمى بعد باسم علم الاعتقاد أو علم العقيدة، ومن أشهرها وأقدمها كتاب الإيمان لابن منده.

ثم عبر عن هذا العلم في وقت لاحق باسم علم الوحدانية أو علم التوحيد، وربما شاع التعبير عن مسائل علم العقيدة باسم الوحدانية؛ لأنها أهم مقاصد الرسل جميعا، ولأنها وحدها كانت هي العقيدة المهجورة المكفور بها من أكثر الناس، على ما يقرره الدكتور محمد بن عبد الله دراز، رحمه الله، في كتابه الماتع (المختار من كنوز السنة النبوية، شرح أربعين حديثا في أصول الدين) [طبعة دار العلم، الكويت والقاهرة، سنة ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م، ص ١٠٩].

ثم عبر عنه وعن مسائله باسم علم أصول الدين ثم باسم علم الكلام؛ وفي هذا الطور برزت قضية العناية بإثبات العقائد الدينية على الغير عن طريق الحجج ودفع الشبهات، وهو الذي استقر عليه العمل في مناطق مختلفة من خريطة العلم الشرعى قديما وحديثا، على ما يظهر من مراجعة مقدمات مصنفات تصنيف العلوم عند المسلمين ومعاجم مصطلحاتها من مثل كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (ت ق ١٢هـ) [طبعة مكتبة لبنان سنة ١٩٩٦م، (٢٩/١)].

ثم شاع واشتهر دراسة مسائل التوحيد في تفرعاتها المختلفة تحت اسم جامع هو اسم علم العقيدة، وربما كان سبب شهرة هذا العنوان راجعا إلى استعمال أبى جعفر الطحاوى ت ٣٢١هـ لهذه اللفظة في عنوان كتابه الأشهر في هذا المجال.

ونحن نفسر إخلال المعاجم العربية اللغوية القديمة بإيرادها لأسباب عديدة منها :

أ- شهرة اللفظة، وشهرة معناها على ما نراه من استعمال الطحاوى وشراحه وقد كانت المعاجم القديمة مشغولة بالغريب غير المألوف.

ب- أنها جاءت على وزن قياسى والمعاجم القديمة في العربية لم تكن تنشغل بالصيغ القياسية فرارا من التضخم.

وأصبحت هذه المفردة علما على دراسة الإلهيات والنبوات والسمعيات.

(١) العناية بمصطلحات العقيدة في المعجمية العربية القديمة.

تتبع الدكتور عبد الصبور شاهين مسيرة الكلمة في المعاجم العربية القديمة في مقال قديم له بعنوان (حول كلمة العقيدة) كان نشره بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٣٨٧هـ= ١٩٦٧م [ع ٢٢، ص(٦٨-٧٤)]، وعلى الرغم من مخالفتنا ما توصل إليه من عدم قدم استعمال الكلمة في باب المصطلح العلمى، على ما مثلنا به من أمر عنوان كتاب أبى جعفر الطحاوى ت ٣٢١هـ الظاهر على مخطوطات الكتاب التي اعتمدت وصورت في أكثر من طبعة.

المهم أنه توصل إلى بعض ممن عنى بإيراد الكلمة من المعجميين القدامى من مثل الفيومى المصرى (ت ٧٧٠هـ) صاحب المصباح المنير، والجرجاني (ت ٨١٦هـ) صاحب التعريفات.

وقد أعاد الدكتور عبد الصبور شاهين نشر هذا المقال في كتابه (عربية القرآن) مرتين فيما بعد من دون إضافة تذكر، الأولى في مكتبة الشباب بالقاهرة سنة ١٩٩٩م، والثانية بمكتبة النافذة بالقاهرة سنة ٢٠٠٧م.

والحق قاض بأن ثمة عناية جيدة بمصطلحات هذا العلم تجلت قديما من خلال مسارات ثلاثة هي :

١- في كتب العقيدة القديمة؛ أيا ما كان عنوانها، وقد أخذت هذه العناية شكلين هما:

أ- في فصول قصيرة في مقدمات هذه الكتب، وهو أمر نادر قليل.

ب- في مقدمات أبواب هذه الكتب، وهو الشائع الفاشى، على ما نجد في مقدمات أبواب كتاب أبى جعفر الطحاوي (ت ٣٢١هـ)، وأصول الدين لابن طاهر التميمى البغدادي (ت ٤٢٩هـ)، وتبصرة الأدلة في أصول الدين للماتريدى (ت٥٠٨هـ)، والإيضاح في أصول الدين للزغواني (ت ٥٢٧هـ)، وأبكار الأفكار في أصول الدين للآمدي (ت ٦٣١هـ).

٢- في المعاجم اللغوية المتأخرة من أمثال : لسان العرب لابن المنظور، والقاموس المحيط للفيروزآبادى، وتاج العروس، للمرتضى الزبيدي، باعتبار أن فيها جانبا موسوعيا كثيرا ما عنى ببيان بعض معانى المصطلحات، ومنها مصطلحات علم العقيدة، ومن أمثلة ذلك قول اللسان (وحد) [٣/٤٥٠، طبعة صادر بيروت ١٩٩٠م]: "التوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له"، ولا شك أن هذا التعريف اصطلاحيي خاص بعلم العقيدة.

ويقول في (وحد) [٣/٤٥١]: "الواحد : من صفات الله تعالى، معناه لا ثانى له ". وهو لا شك معنى حادث بعد مجئ الإسلام على الذي شاع واشتهر من أمر شركية الحياة العربية.

٣- في معاجم المصطلحات العربية، وهي المعاجم التي انشغلت بجمع المصطلحات التي ظهرت بعد نهضة المجتمع الإسلامى بأثر من آثار الإسلام العظيم وقد تجلت عناية هذا الفرع بمصطلحات علم العقيدة في اتجاهين هما :

أ- معاجم خاصة بمصطلحات علم العقيدة باعتباره من مشاغل علم الكلام أو أصول الدين على ما مر بنا في المدخل، ومن أشهر هذه المعاجم:

• الحدود في الأصول، لابن فورك الإصبهاني ت ٤٠٦هـ [تحقيق محمد السليماني دار الغرب بيروت ١٩٩٩]، ومن أمثلة المصطلحات التي عرفها وعلق عليها (التوحيد ص ١٠٧، ورحمته سبحانه ١٠٠، والكرامة ص ١٣٠، والكفر ١٠٩، والكسب ٨٥، والمعجزة ١٣٠،... إلخ)

وهي ولا شك مصطلحات تنتمي إلى علم العقيدة، موزعة على أبوابه الكبرى: الإلهيات والنبوات والسمعيات.

• الحدود والحقائق، للشريف المرتضى ت ٤٣٦هـ [بعناية السيد أحمد الحسيني والسيد مهدي رجائي، طبعة قم إيران، سنة ١٤٠٥هـ، ضمن رسائله ٢/٢٥٩-٢٨٩].

ومن أمثلة المصطلحات الاعتقادية المشروحة ما يلي : (الإبداع ٢٦١/ الإله ٢٦٣ / والباقى ٢٦٤ / والتحدى ٢٦٦/ والجزاء ٢٦٧ / والحى ٢٦٨ / والدين ٢٧٠ / والعصمة ٢٧٧/ والقديم ٢٧٩/ والملة ٢٨١/ والمغفرة ٢٨٣ / والواحد ٢٨٨ إلخ).

ويمكن أن تعد – بل هي كذلك – معاجم أسماء الله الحسنى معاجم مصطلحات عقيدة جزئية في موضوعها؛ لأنها تعرض بالبيان لمعانى مصطلحات هي من أكثر مسائل علم العقيدة، مما يدخل في باب الأسماء والصفات،وهذه المؤلفات كثيرة جدا منها ما يلي :

• تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج ٣١١ هـ(أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية ١٩٧٥م)

• التحبير في التذكير، للقشيرى سنة ٤٦٥هـ (د. إبراهيم بسيونى، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٨م)

• المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبى حامد الغزالى (محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن، بالقاهرة سنة ١٩٨٥م).

• شرح أسماء الله الحسنى، للرازى سنة ٦٠٦هـ (مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة سنة ١٣٦٩هـ =١٩٧٦م).

• الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، للأنصارى القرطبى المفسر ت ٦٧١هـ (تحقيق د/ صالح عطية الحطمانى، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازى سنة ٢٠٠١م)

• دقائق الإشارات إلى معانى الأسماء والصفات، لابن القاضى الشافعى ٧٢٤هـ (تحقيق الشيخ عماد الدين حيدر، دار الجنان بيروت ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م).

• شرح أسماء الله الحسنى، لزورق ت ٨٩٩هـ (بعناية محمد ركابى، دار جرش ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م)

• المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحسنى، للكفعمى (تحقيق فارس الحسون قم سنة ١٤١٢هـ).

ولنمثل بمثال واحد من أقدمها يثبت معالجة هذه الأسماء من باب علم العقيدة، لا من باب اللغة، يقول الزجاج في تفسير أسماء الله الحسنى ص ٦٠ فقرة ٧٦ : "الظاهر : هو الذي ظهر للعقول بحججه، وبراهين وجوده وأدلة وحدانيته؛ هذا عن أخذته من الظهور، وإن أخذته من قول العرب : ظهر فلان فوق السطح : إن علا... فهو من العلو، والله تعالى عال على كل شيء، وليس المراد بالعلو ارتفاع المحل؛ لأن الله تعالى يجل عن المحل والمكان ". وفي النص علامات واضحة جدا تجعله معجما في المصطلح الاعتقادى؛ خاصا بالعناية بواحد من أمس المسائل رحما بهذا العلم وهو التعريف بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

ب- في معاجم المصطلحات العامة (وهي المعاجم التي اعتنت بجمع مصطلحات العلوم المختلفة وتفسيرها وبيان معانيها) من مثل :

• مفاتيح العلوم، للخوارزمى (الذي صنع بابا كاملا لمصطلحات الكلام من ص ٢٢ – ٤١ من طبعة فلوتن، القاهرة ٢٠٠٤م)

• مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، المنسوب خطأ للسيوطى الذي صنع بابا كاملا لمصطلحات الاعتقاد ص ٧٣–٧٥ من طبعة د/ محمد إبراهيم عبادة القاهرة ٢٠٠٤م)

ومن المصطلحات التي عرف بها وشرحها ما يلي :(الإيمان / والاعتقاد / والتوحيد / والقضاء / والقدر إلخ).

كما تناثرت العناية بمصطلحات العقيدة في معاجم المصطلحات العامة التي اتبعت المناهج الهجائية الألفبائية؛ كالتعريفات للجرجانى ٨١٦هـ والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوى ١٠٣١هـ والكليات للكفوى ت١٠٩٤هـ وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ق ١٢هـ ودستور العلماء للأحمد نكرى ت ق ١٢هـ.

ومن هذا السرد يتضح لنا حجم العناية التراثية بمصطلحية علم العقيدة الإسلامية لدرجة تبدو كبيرة جدا، لم تجد إلى الآن من يجلى أمرها، فيبين نشأتها المبكرة التي ظهرت بسبب من خدمة هذا العلم وضبط مفاهيمه ولا سيما بعد تفشى المقولات الاعتقادية الفاسدة في أوساط الفرق المختلفة، مما أصبح معه أمر العناية بضبط مصطلح هذا العلم وتحريره مطلبا ملحا وضروريا. هذه العناية القديمة في تفريعاتها المتنوعة والكثيرة، لم تجد من يستثمرها في العصر الحديث !

(٢) العناية بمصطلحات العقيدة حديثا.

إن المتابع للمعجمية العربية المعاصرة ولا سيما في قسمها المختص أو الاصطلاحى يلمح عناية بجمع مصطلحات علم العقيدة وتفسيرها، سارت في المسارات التالية (وسوف نركز في هذه الورقة على المسار الأخير؛ لأهميته):

١ – خدمة المصطلحات العقيدية في المعاجم اللغوية في المعاجم اللغوية العامة، كالمعجم الوسيط والكبير لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، والمعجم العربي الأساسى، للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الذي يعرف العقيدة فيقول (عقد ٨٥٤) : " عقيدة (ج) عقائد : ما يقصد به الاعتقاد دون العمل، كعقيدة وجود الله.../ وحكم لا

يقبل الشك لدى صاحبه ". وانظر تعريف التوحيد (و ح د) ١٢٩٥ حيث يقول " توحيد : مصدر وحد وهو الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له ".

و في هذا السياق يصح أن نحذر من مجموعة المعاجم العربية المعاصرة التي ألفها غير المسلمين؛ حيث لم يكونوا مأمونين في التعامل مع ألفاظ العقيدة الإسلامية، من مثل : قاموس المنجد، للأب لويس معلوف النصرانى الذي ينطلق من رؤى نصرانية في معالجته لمصطلحات العقيدة الإسلامية، وهو ما يحذر منه الدكتور إبراهيم عوض في كتابه : (النزعة النصرانية في قاموس المنجد، طبعة دار الفاروق، الطائف ١٤١١هـ= ١٩٩١ م ص ٢٣ وما بعدها).

٢- خدمة المصطلحات العقيدية بمعاجم خاصة.

وفي هذا السياق يلفتنا معجمان مهمان في هذا السياق خصصهما صاحبيهما لتعريف مصطلحات علم العقيدة عند المسلمين، كما يلي :

أولا – معجم ألفاظ العقيدة، تصنيف أبى عبد الله عامر عبد الله فالح، وتقديم عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، مكتبة العبيكان، بالرياض ١٤١٧هـ، وسنعتمد في عرضه على طبعته الثانية الصادرة في سنة ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م. (في ٥٠٥ص).

ثانيا :- المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، تحرير سعد الفيشاوي وتعريبه، الهيئة العامة المصرية للكتاب، بالقاهرة سنة ٢٠٠٧م (في ٨١٥ص).

(أولا) – معجم ألفاظ العقيدة.

حدد معجم ألفاظ العقيدة هدفه من تصنيف معجمه في مجموعة من الغايات هي:

أ- غاية تعليمية تتوخى طلاب العلم الشرعي، وعامة المسلمين.

ب- غاية علمية تتذرع إلى خدمة هذا العلم الشريف.

ج- غاية عملية ليسد ثغرة، زعم أنها قائمة بسبب مما سماه عدم عناية أحد في القديم والحاضر بتصنيف معجم لهذا العلم، وهو ما رددنا عليه سلفا.

وهي ولا شك غايات نبيلة كفيلة بالنهوض لمثله.

ثم تحدث عن منهجه في ترتيب مداخله / أو مصطلحاته التي جمعها وفسرها، وهو المنهج الألفبائى المشرقى (أ ب ت ث ج ح) من غير تجريد للكلمات، أو من غير ردها إلى جذورها، وهو ما نسميه المنهج النهائى الهجائى الذي يراعى ترتيب الكلمات وفق شكلها النهائى في الاستعمال والنطق، وهو منهج قديم جدا استعمله العرب القدامى في المعجمية العامة على ما نجده في معجم أبى هلال العسكرى ت ٤٠٠هـ (أسماء بقايا الأشياء) ومعجم ابن أيبك الصفدى ت ٧٦٤هـ (غوامض الصحاح).

وفي المعجمية المختصة؛ كالتعريفات للجرجانى ٨١٦هـ والتعريفات والاصطلاحات لابن كمال باشا ٩٦٠هـ والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوى ١٠٩٤هـ.

والغاية من هذا المنهج هي ولا شك التيسير على عموم المستعملين، وهو مبدأ محفوف بالتقدير في المعجمية المعاصرة في بحوث التصنيف المعجمى تحت اسم جامع هو : العناية بمنظور المستعمل.

وقد تميز هذا المعجم بعدد من الميزات المهمة في هذا السياق، منها :

أ- وضوح العبارة الشارحة لمعنى المصطلح، واعتماد الإمكانات اللغوية الكامنة في معانى الأبنية توصلا لبيان المعنى الاصطلاحى، يقول مثلا في تعريف مدخل (الاستعانة ص ٣٦) هي : " طلب العون " وهذا تفسير معنى البناء الصرفي، ثم يقرر أنها أنواع : طلبه من الله متضمنة كمال الذل من العبد لربه، وطلبه من المخلوق إن كان قادرا عليه، وهي جائزة في البر، حرام في الإثم، وطلبه من غير قادر وهو عبث، وطلبه من ميت وهو شرك، والاستعانة بالأعمال المحبوبة كالصلاة وغيرها مشروعة.

ب- التدليل بالأدلة النقلية على كثير مما يورده، كاستدلاله على شرعية الاستعانة بالله سبحانه بقوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [سورة الفاتحة ١/ ٥] وعلى شرعية الاستعانة بالمخلوق في البر بقوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [سورة المائدة ٥/ ١] وعلى حرمة الاستعانة على الشر بقوله تعالى ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [سورة المائدة ٥/ ١] وعلى شرعية الاستعانة بالأعمال الصالحة بقوله تعالى ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [سورة البقرة ٢/ ٤٥]

ج- استعمال تقنية معجمية هي الإحالة وهي تفيد في صنع التماسك المعجمى، والمقصود بذلك أن يحيل أو يعيد القارئ في مادة من مواد المعجم إلى مادة أخرى يرى أن من المفيد الاطلاع عليها لإضاءة الطريق من جانب أو طلبا لعدم تضخم المعجم عن طريق عدم التكرير من جانب آخر.

ومن أمثلة ذلك إحالته في مدخل (التوحيد العلمى الخبرى ص ١٠٩) وفي مدخل (التوحيد الطلبى ص١٠٩) على مدخل التوحيد ص ١٠٨، لأنه قد سبق له التعريف بهما. وكذلك فعل في مدخل (توحيد الحاكمية ص ١٠٩) حيث أحال على مدخل الحاكمية ص ١٣٩-١٤٣

د- العناية بالتوثيق، وهو كثيرا ما يجتهد في توثيق ما يقوله من تعريفات ونقول وتقسيمات بإثبات مصادره في الحواشى السفلى لصفحات معجمه.

ومن مصادره ذات الصلة الوثيقة المباشرة بمعجمه ما يلي:

الملل والنحل للشهرستانى / التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للملطى / والفرق بين الفرق، للإسفرايينى / ومقالات الإسلاميين، للأشعرى /، وشرح أسماء الله الحسنى لسعيد بن وهب القحطانى / وكتب التوحيد في كتب الصحاح / والفصل في الملل والنحل، لابن حزم / وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز الحنفي إلخ.

هـ- إفراد المدخل/ أو المصطلح بسطر مستقل وبحجم طباعى أكبر من بقية الكلمات وهو مما ييسر الوصول إليه.

ومن عيوب المعجم:

وقد وقع المعجم في بعض العيوب المؤثرة، لعا أهمها على الإطلاق هو : الإخلال بعدد ضخم من المصطلحات العقدية، فلم يوردها في معجمه من مثل :

- مصطلح العقيدة نفسه! وهو علم معجمه
- مصطلح الاعتقاد

• مصطلحات (النبى والنبوة والنبوات والعصمة إلخ) ولا يغنى في هذا المقام تعريف الرسول، من غير إحالة على النبى.

ونحن نرجع السبب في هذا النقص على النقص الأول في جمع مادة هذا المعجم ن والمأمول أن يعاود مصنفه جمع مادة المعجم من المصادر التي أشرنا إلى أقسامها هنا لاستكمال هذا النقص المعيب، ولا شك.

(ثانيا) – المعجم العلمي للمعتقدات الدينية.

وهو معجم ثنائى إنجليزي/ عربي؛ أي أنه مرتب المداخل وفق الألفبائية الإنجليزية، ولغة الشروح التي تحت كل مدخل عربية، وهذه أولى عيوب هذا المعجم على الرغم من أهميته؛ ذلك أن المستعمل المتوجه به إليه عربى، فكان الأولى أن يرتب على وفق ترتيب المداخل العربية، ولا يعتذر عن ذلك بأنه تعريب، وإن قلل من مخاطر هذا الترتيب وجود فهرس للمصطلحات والمداخل مرتبة ترتيبا ألفبائيا عربيا مقرونا بأرقام صفحات وجود كل مدخل (ص ٧٧٥-٨١٥).

وقد حدد صانع المعجم غايته بقوله في مقدمة المعجم ص ٥: "وهو موجه لكل مهتم، أو مشتغل بالمسائل التي تتطلب معالجة علمية لقضايا الدين ". وهو بهذا يتغيا غاية علمية بحثية.

ثم تحدث عن كثافة المداخل التي بلغت حوالى ٢٥٠٠ مصطلح أو مدخل تغطى نطاقا واسعا من المصطلحات المتعلقة بقضايا الدين في اشتباكاتها مع الفلسفة والعلوم الطبيعية والدراسات الجدلية والتاريخية.

أما ما يميز ها المعجم فيتمثل فيما يلي :

١- الصبغة الموسوعية التي حرص عليها، التي تجلت في العناية بالتعريف بكثير من الأعلام المشتبكة بقضايا الدين والمعتقدات، والأماكن، والوقائع، والأعياد، والكتب، ومن امثلة ذلك :

• تعريفه للمسيح الدجال Antichrist

• تعريفه لهرمجدون Armageddon وهو المكان الذي يحدده العهد القديم لمعركة نهاية العالم.

• فاطمة Fatima وهي ابنة المصطفي صلى الله عليه وسلم من أم المؤمنين خديجة، والحديث عنها في معجم للمعتقدات له وجاهته ولا سيما إذا عرفنا أن لها صفة قدسية في بعض معتقدات الشيعة !

• مكة Mecca

٣- عرض مصطلحات العقائد الإسلامية مع مصطلحات معتقدات أخرى كاليهودية والنصرانية وغيرهما مما يسهم في دراسة المعتقدات المقارنة.

٤- تحديد المجال الدلالى للمصطلح المعرف، بمعنى الحرص على بيان أن تعريف المصطلح المعين خاص بالسنة أو الشيعة أو غيرهما على الجانب الإسلامى أو بالكاثوليكية أو الأرثوذكسية على الجانب النصرانى إلخ.

٥- الحرص في أحيان كثيرة على صنع إحالات إما طلبا لتماسك مجموعة من المصطلحات التي من المفيد جمعها وقراءتها معا، أو طلبا لاختصار المعجم وعدم تضخمه.

٦- العناية بالبعد التاريخى والمقارن في تحرير كثير من التعريفات،، مثلما نرى مثلا في تعريف مصطلح التوحيد ص ٤٠٢ Monotheism

من أهم عيوبه أنه في عملية التعريب لم يتخلص من الروح التي كتب بها أصلا بحسبانه معجما موجها للقارئ الغربى غير المسلم، وهو ما ظهر في تبنى تعريفات لا يقول بها المسلمون في معتقداتهم وعلومهم من مثل :

• تعريف السنة sunna ص ٦١٠ حيث يعرفها فيقول : تقاليد الإسلام المقدسة والتي وردت في الحديث. والسنة عندنا ليست بهذا المعنى أولا لأنها غير محصورة في الحديث (القول) وإنما تخرج منه إلى الفعل والصفة والتقرير منه صلى الله عليه وسلم، ثم إنها ليست جميعا مقدسة؛ لأن ثمة سنن زوائد، وسنن غير تشريعية.. إلخ.

إن مـن المهـم جدًّا أن نقـرر أن العناية بالعقيـدة الإسلامية باعتبارهـا محـورا لا يمكـن تصور تغافله في إيمان المـؤمنين من جانب، ولا يمكن تصوره في أية دراسة لقيم الإسلام ومبادئه – ولا يمكـن أن تتم مـن دون الانطلاق مـن تقـدير العنايـة التـي أولتهـا المعجمية قديما وحديثا لهذا العلم المهم جمعا لمصطلحاته وتعريفا لها.

* * *

ثانيا
معاجم مصطلحات (عمل الجوارح) أو الفقهية المعاصرة في العربية

(مدخل)

لا ينكر أحد من دارسي الحضارة العربية في الميادين المختلفة ما أحدثه الإسلام من أثر جبار في ترقية الحياة العقلية والعلمية التي ظهرت آثارها باللسان العربي.

وكان مما استقر في باب الحقائق العلمية المتعلقة بدراسات الثروة اللفظية أن الإسلام أوجد تيارا كاملا مستقلا نما باللسان العربي في جانب الألفاظ حتى عرف باسم فريد هو : الكلمات العربية الاسلامية.

وقد فطن القدامى من اللسانيين العرب، فأفرد ابن فارس اللغوى (٣٩٥هـ) بابا بعنوان الأسباب الإسلامية في كتابه (الصاحبى في فقه اللغة) ص ٧٨-٨٦ وهو ما زاده بسطا وتفصيلا السيوطي (٩١١ هـ) في كتابه المزهر في علوم اللغة ٢٩٨/١.

وهو الأمر الذي فحص حديثا وثبت حقيقة متواترة عند اللسانيين المعاصرين على اختلاف توجهاتهم وتنوع اهتماماتهم.

ومن هذه الحقيقة نستطيع أن نقرر أن للإسلام أثرا في رقى النشاط العلمي في باب التصنيف المعجمي عموما والمختص خصوصا،حتى يصح – ولا يصح غيره – أن نقول إن المعاجم التي اهتمت ببيان المصطلحات الفقهية لم تكن لتوجد لولا شريعة الإسلام العظيمة.

وقد اتسع باب التصنيف في المعاجم الفقهية في التراث العلمي عند المسلمين قديما اتساعا ظاهرا ويمكن رصد العلامات التالية في هذا السياق :

١- كانت العناية بالمصطلحات الفقهية في التصنيف المعجمي المختص أمرا ثابتا مستقرا منذ القرن الرابع الهجري.

٢- مثلت المعاجم الفقهية القديمة المذاهب أو المسالك الفقهية المختلفة التي عرفها التاريخ العلمي عند المسلمين في هذا الباب.

فظهر من المعاجم الفقهية التي تشرح ألفاظ الفقه الحنفي : طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية على ألفاظ كتب الحنفية، للنسفي السمرقندى ٥٣٧هـ ،والمغرب في ترتيب المعرب، للمطرزى ٦١٠هـ والحدود الفقهية لمصنفك الحنفي ٨٧٥هـ وحدود الفقه لابن نجيم المصري الحنفي ٩٧٠هـ وأنيس الفقهاء للقونوى ٩٧٨هـ.

كما ظهرت معاجم فقهية تشرح ألفاظ الفقه عند المالكية من مثل : لغات مختصر ابن الحاجب، للأموي المالكي ٨٠٦هـ وشرح حدود ابن عرفة للرصاع ٨٩٤هـ وشرح غريب ألفاظ المدونة للجبي، وغرر المقالة في شرح غريب الرسالة، للمغراوى.

كما ظهرت معاجم فقهية تعالجه من وجهة النظر الشافعي من مثل : الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، للأزهري ٣٧١هـ وحلية الفقهاء لابن فارس ٣٩٥هـ وشرح ألفاظ المهذب لابن البرزى ٥٦٠هـ والنظم المستعذب في شرح غريب المهذب لابن بطال الركبى ٦٣٠هـ واللفظ المستغرب للقلعى ٦٣٠هـ والمغنى في الإنباء عن غريب المهذب لابن باطيش ٦٥٥هـ وتهذيب الأسماء واللغات للنووى٦٧٦هـ وتحرير التنبيه للنووى٦٧٦هـ أيضا، والمصباح المنير للفيومي ٧٧٠هـ.

كما صنفت معاجم فقهية تشرح الألفاظ الفقهية عند الحنابلة من مثل: المطلع على أبواب المقنع للبعلى الحنبلي ٧٠٩هـ.

وكل تلك المعاجم الفقهية التراثية مما وصل إلينا واعتنى بها تحقيقا ودرسا[1] تمتعت بكثير من أصول صناعة المعجم كما يقررها المعاصرون.

(١) اتجاهات التصنيف المعاصر في معاجم المصطلحات الفقهية.

وقد كان لثبات الشريعة واستمرارها وهما الخاصتان الملازمتان لها أثره في استمرار التصنيف في لغة الفقه في العصر الحديث، وبالإمكان تمييز ثلاثة اتجاهات أساسية حكمت مسارات التصنيف في معاجم المصطلحات الفقهية المعاصرة هي كما يلي:

---

(١) انظر في توثيقها وطبعاتها ومناهجها كتاب : تراث المعاجم الفقهية في العربية : دراسة لغوية في ضوء أصول صناعة المعجم والمعجمية للدكتور خالد فهمي، مكتبة إيتراك، بالقاهرة سنة ٢٠٠٣م.

أ- معاجم فقهية خاصة بباب فقهي معين.

ب- معاجم فقهية خاصة بمصطلحات مذهب أو مسلك فقهي مفرد.

ج- معاجم فقهية جمعت المصطلحات الفقهية كلها ومن دون تقيد بمذهب أو مسلك فقهي بعينه،أو بمجال فقهي معين.

وفيما يلي بيان بأشهر هذه المعجمات الفقهية موزعة على الترتيب الذي صنعناه :

(١/أ) معاجم المصطلحات الفقهية الخاصة بباب أو مجال فقهي معين.

وقد عرف التصنيف المعجمي المعاصر عددا من المعجمات التي اعتنت ببيان مصطلحات بعض الأبواب الفقهية من دون غيرها لأغراض تعبدية مخصوصة أو لأغراض علمية، من أمثلتها :

١- قاموس الحج والعمرة من حجة النبي وعمره، لأحمد عبد الغفور عطار (طبعة دار العلم للملايين بيروت ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م).

٢- قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الاسلامية، للدكتور محمد عمارة (طبعة دار الشروق، القاهرة، بيروت سنة ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م)

٣- معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء للدكتور نزيه حماد (طبعة المعهد العالمى للفكر الإسلامى، هيرندن / فيرجينيا سنة ١٤١٤هـ =١٩٩٣م)

٤- مصطلحات الفقه المالي المعاصر : معاملات السوق، تحرير وإشراف يوسف كمال محمد (طبعة المعهد العالمى للفكر الإسلامى، القاهرة ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م)

(ملاحظات على هذه القائمة):

يتضح من تأمل عنوانات هذه المعاجم الفقهية اقتصارها على العناية بمصطلحات أجزاء معينة من لغة الفقهاء، وقد كان هذا الاجتزاء محكوما باعتبارات معينة منها ما هو تعبدي بالمعنى الخاص للتعبد على ما يظهر في مقدمة قاموس الحج والعمرة، يقول مصنفه ص ٨ " والذي حملني على تأليف هذا المعجم أنى رأيته أسرع في الإجابة عن المناسك من الكتب المؤلفة فيها، فهو – يجيب السائل عن مسألته وحدها، أو عن المسائل التي يريدها

في إيجاز يغنيه عن الإسهاب... وجعلته متوسط الحجم ليسهل حمله في اليد أو ليحمله المحرم في عيبته (أي في الحقيبة الصغيرة التي يحملها وفيها احتياجاته الضرورية)".

وهذا غرض نبيل لم يظهر في الأغراض التي صنف من أجلها معاجم الفقه قديما.

ومن الاعتبارات التي أظهرت هذا القسم من معجمات مصطلحات الفقه أيضا الاعتبار العلمي أو المعرفي بمعنى أنها ظهرت تلبية لمطالب ضبط مفاهيم طائفة من المصطلحات التي تعرضت للتشويه أو الاتهام أو الانتقاص ولا سيما بعد أن اتسع استعمالها، وشغب ضد كثير منها المنتمون للفكر الغربي، فكان مثل قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الاسلامية يهدف إلى الانتصاف للفكرة الاسلامية من خلال المعجمية التي تجمع مصطلحات الاقتصاد في هذه الحضارة المتميزة؛ لتواجه مخاطر الافتنان بالفكرة غير الاسلامية التي يروج لها من خلال ما يترجم من معاجم للمصطلحات الاقتصادية !

يقول الدكتور محمد عمارة في مقدمة قاموسه ص ١٦: "إن الباحث في الميدان الاقتصادي وكذلك القارئ في هذا الميدان والذي لا يجد لديه سوى قاموس عربي قد ترجم إلى العربية لابد وأن يرى كل قضايا هذا العلم الاقتصادي وتطبيقاته بعيون المذهبية الاقتصادية الغربية التي تتميز عنها المذهبية الاسلامية في المنطلقات والمعايير والغايات... وهنا تبرز الرسالة الفكرة والمهمة الحضارية لهذا القاموس " الذي يتبنى الفكرة الاقتصادية المتلبسة بالإسلام. وهو ما يعود إلى تأكيده الدكتور طه جابر العلوانى أيضا في تقديمه لمعجم الدكتور نزيه حماد.

ومن جانب كان ظهور هذا النوع من المعاجم الفقهية الجزئية تيسيرا على الاقتصاديين المتعاملين مع الفقه الإسلامى، والفقهاء المتعاملين مع قضايا الاقتصاد إلى فهمها واستيعابها.

وربما تفسر كثرة المعاجم الفقهية في الجانب الاقتصادي بسبب من هجمة المفاهيم الاقتصادية الواردة من الغرب وتبني الأنظمة العربية لفلسفات الغرب الاقتصادية مما استشعر معه علماء الإسلام المعاصرون حاجة الثقافة الاسلامية المعاصرة إلى هذه المعاجم

الفقهية الجزئية المعاصرة لتقاوم بها ما يمكن أن يظهر من مخاطر هذا الهجوم للمفاهيم الغربية في ميدان الاقتصاد في البلدان الإسلامية.

(١/ب) معاجم فقهية خاصة بمصطلحات مذهب فقهي بعينه.

مثلما رأينا في مفتتح هذه المقالة – توزع المعاجم الفقهية التراثية على المذاهب الفقيهة المستقرة، وإن تفاوتت أعدادها من مذهب فقهي إلى غيره، انتصارا للمذهب الشافعي – فقد امتد هذا التيار التراثي حتى العصر الحديث؛ إذ ظهرت معاجم تعنى بالمصطلحات الفقهية الخاصة بمذهب فقهي معين، ومن أشهر أمثلة هذا النوع :

١- معجم فقه ابن حزم الظاهري (من إصدار لجنة موسوعة الفقه الإسلامى، بكلية الشريعة بجامعة دمشق، دمشق سنة ١٩٦٦م)للمنتصر الكتانى.

٢- معجم الفقه الحنبلي، للدكتور محمد رواس القلعه جى (طبعة موسوعة الفقه الإسلامى، بالكويت سنة ١٣٩٣هـ) وهما يعنيان بالمصطلحات مع المسائل.

٣- دليل السالك للمصطلحات والأسماء في فقه الإمام مالك، للدكتور حمدي عبد المنعم شلبي (طبعة مكتبة ابن سينا، بالقاهرة، سنة ١٩٩٠م)

(ملاحظات على هذه القائمة)

يتضح من عنوانات أمثلة هذا القسم من المعاجم الفقهية المعاصرة توجهها نحو تحقيق غايتين متداخلتين معا هما :

أ- الغاية التعليمية التي تسعى إلى التسير على طالبي الفقه المذهبي، فتأتى هذه لنوعية من المعاجم الفقهية لتعين على تحقيق هذه الغاية.

ب- الغاية العلمية التي تتوجه إلى خدمة التراث الفقهي المنتمى إلى مذهب بعينه إما لفتور العناية به كما نرى في معجم فقه ابن حزم، وإما لتيسير الإفادة من تراث معرفي تراكم وامتد خلال العصور، ونتج عن هذا الامتداد تشعب معاني كثير من اصطلاحاته، أو بسبب من الإقبال على طلب مذهب بعينه؛ لأن نظاما معاصرا تبنى مقولاته الفقهية كما حدث مع المذهب الحنبلي.

(١/ج) معاجم فقهية جامعة.

ويمثل هذا الاتجاه أقدم الاتجاهات الثلاثة التي رصدناها هنا إذ ظهرت منذ فترة سابقة على الاتجاهين السابقين. وأشهر أمثلة هذا الاتجاه ما يلي :

١- التعريفات الفقهية، للمفتى محمد السيد عميم الإحسان المجددى البركتى(طبعة مدينة دكة وكراتشي، بباكستان الشرقية سنة ١٣٧٩هـ= ١٩٦٠ م)

٢- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، لسعدي أبو جيب (طبعة دار الفكر، بدمشق، سنة ١٣٩٧هـ= ١٩٧٧م

٣- معجم لغة الفقهاء محمد رواس قلعه جى والدكتور حامد صادق قنيبى(طبعة دار النفائس، بيروت سنة ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م)

٤- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، للدكتور محمود عبد الرحمن عبد المنعم (دار الفضيلة، بالقاهرة سنة ١٤١٩هـ= ١٩٩٩م)

(ملاحظات على قائمة الاتجاه الثالث):

يلاحظ على قائمة هذا الاتجاه سعيها إلى تحقيق الاستيعاب على مستوى جمع المصطلحات الفقهية من دون النظر إلى المذهب الفقهي من جانب، وعلى مستوى اعتبار التصانيف الفقهية في العصور الإسلامية المختلفة.

كما يلاحظ على معاجم هذا الاتجاه التوسع في ضم المصطلحات الفقهية التي تتعرض للمشغلة الأساسية لعلم الفقه باعتباره علما بالأحكام المالية أو الفرعية المستنبطة من أدلتها التفصيلية، مع العناية بعدد من المصطلحات الأصولية والدينية العامة؛ بحيث نستطيع أن نقرر أن المعاجم الفقهية في هذا الاتجاه سعت نحو تحقيق الصبغة الموسوعية.

(٢) غلبة منهجية التيسير على مناهج ترتيب المصطلحات في المعاجم الفقهية المعاصرة.

المتأمل للمناهج التي اتبعها مصنفو المعاجم الفقهية المعاصرة في اتجاهاتها الثلاثة يلاحظ توزعها على المدارس التصنيفية التالية :

أ- مدرسة الترتيب الهجائي الألفبائى وفق منطوق المصطلح في الاستعمال.

ب- مدرسة الترتيب الهجائي الألفبائى الجذري.

ج- مدرسة الترتيب الموضوعي.

ونسبق فنقرر أن القراءة الإحصائية لنماذج المعاجم الفقهية المعاصرة التي عينها البحث هنا دالة على رجحان كفة استعمال المنهجية التيسيرية على المستعملين، بمعنى انه إذا كانت المعاجم الفقهية الموزعة على الاتجاهات الثلاثة يبلغ مجموع عددها أحد عشر معجما، فإن تسعة منها طبقت منهج الترتيب الألفبائى وفق منطوق المصطلح في الاستعمال من دون تجريد أو رد إل الجذور أو الأصول، على حين طبق معجمان اثنان فقط منهج الترتيب الموضوعي في ترتيب المصطلحات أو الألفاظ الفقهية.

وكانت النسبة المئوية لتطبيق منهجية التيسير ٢٧,٧٪ تقريبا.

و النسبة المئوية لتطبيق منهجية الترتيب الموضوعي ١٨,٢٪ تقريبا.

و النسبة المئوية لتطبيق الترتيب الألفبائى الجذري ١٪ تقريبا.

(٢/أ) منهج الترتيب الألفبائى وفق شكل استعمال المصطلح الفقهي.

رتب أصحاب المعاجم الفقهية المعاصرة المصطلحات فيها وفق الترتيب الهجائي الألفبائى المشرقي : (أ/ب /ت/ث/ج/ح...) على حسب الحرف الأول المكون للمصطلح من غير تجريد أور د للجذور أو الصول.

وقد سار على هذا المنهج من معاجم الاتجاه الأول :

١- قاموس الحج والعمرة، لأحمد عبد الغفور عطار

٢- قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الاسلامية، للدكتور محمد عمارة.

٣- قاموس المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، للدكتور نزيه حماد.

وسار عليه من معاجم الاتجاه الثاني :

١- معجم فقه ابن حزم الظاهري.

٢- معجم الفقه الحنبلي.

و سار عليه من معاجم الاتجاه الأخير :

١ - (معجم) التعريفات الفقهية، للمجددى.

٢- معجم لغة الفقهاء، للدكتور محمد رواس قلعه جى والدكتور حامد صادق قنيبى.

٣- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، للدكتور محمود عبد الرحمن عبد المنعم.

وقد فطن أصحاب هذه المعاجم جميعا إلى ما يحققه تطبيق هذا المنهج الترتيبي من تيسير على المستعملين، وعبروا عن هذا الوعي في مقدمات هذه المعاجم المختلفة، ومما يدل على ذلك قول أحمد عبد الغفور عطار (ص ٩) " ورتبت كلمات المعجم حسب ترتيب حروف الهجاء، ولم أجرد الكلمة من المزيد ولم أعدها إلى أصلها بل أبقيت الكلمة كما تنطق؛ **لأن تجريدها إلى الأصل... قد يعسران** على أكثر القراء" وهو ما عبر عنه الدكتور محمد عمارة في (ص ٢١) حيث يقول :" فلقد آثرنا ترتيب مواده على النحو الذي ييسر الاستفادة منه والانتفاع به لأوسع جمهور ".

وهو ما نص عليه المجددى البركتى بقوله ص ١٤٧ :" وبعد فهذا معجم يشرح الألفاظ المصطلح عليها بين الفقهاء.. مرتبة على الحروف الهجائية؛ ليسهل تناولها وتعاطيها ".

وهو ما نص عليه الدكتور محمد رواس قلعه جى والدكتور حامد صادق (ص ٦) والدكتور محمود عبد الرحمن عبد المنعم (ص ١٠)

(٢/ب) منهج الترتيب الألفبائى الجذري (التجريدي).

رتب معجم واحد من المعاجم الفقهية المعاصرة التي رصدتها هذه المقالة – المصطلحات الفقهية التي جمعها وفق مراعاة الأصول بعد تجريدها من الزيادات وردها إلى الأصول، وهو معجم القاموس الفقهي، لسعدي أبو جيب؛ يقول (ص ٩) " تتخلص خطة العمل فيما يأتي : تقديم الفعل الأصلي للكلمة... ". ولم يتضح السر وراء استعمال هذا المنهج، ويبدو لنا أنه أراد ألا يشعث مشتقات الأصل الواحد في مواضع متفرقة؛ طلبا

لاجتماعها في حيز واحد، وهو بعض ما يحققه هذا المنهج الترتيبي التجريدي، بحيث نضمن اجتماع الكلمات التالية في حيز واحد وهي (أبر / أبر بالتشديد / التأبير) ومثل ذلك في (أثم / وأثم بالتشديد / التأثيم / تأثم / أثام / الإثم / الأثيم / المأثم)

وعلى الرغم من اشتراط هذا المعجم – كما جاء في خطة العمل (ص ٩) تقديم الأفعال على الأسماء فإن ثمة فرقا وقع في تطبيق هذا المبدأ على ما نرى مثلا في وضع مصطلح (التأثيم) قبل (تأثم) !

(٢/ج) منهج الترتيب الموضوعي.

عرفنا فيما سبق أن ثمة معجمين طبقا ترتيب المصطلحات الفقهية الواردة فيهما وفق تجميع كل مجموعة يربطها رابط من معنى متحد في حيز واحد، وهو ما يسمى في التصنيف المعجمي بمنهج الترتيب الموضوعي الذي يراعى وضع كل مجموعة من الألفاظ يجمعها حقل معنى واحد في فصل مستقل ، وهذان المعجمان هما :

- دليل السالك للمصطلحات والأسماء في فقه الإمام مالك.
- مصطلحات الفقه المالي المعاصر : معاملات السوق

حيث رتب دليل السالك المصطلحات في أقسام ثلاثة هي :

١- المصطلحات الفقهية وضمن هذا القسم وزعت المصطلحات كما يلي (المصطلحات العامة / مصطلحات الأبواب الفقهية / الألفاظ المتفقة المبنى المختلفة المعنى)

٢- المؤلفات وضمن هذا القسم وزعت المصطلحات كما يلي : (الأمهات والدواوين / المتون و المختصرات وشروطها / المؤلفات الأخرى)

٣- الأعلام وضمن هذا القسم توزعت مادته كما يلي : (الأعلام التي تنطق مصحفة / الأسماء التي يخلط بينها / باقي الأعلام)

وواضح من هذا المنهج الترتيبي بروز غايتين أصليتين تقفان وراءه وهما الغاية التعليمية التي تتوخى خدمة طلاب الفقه المالكي والغاية العلمية البحثية التي تسعى نحو إزالة كثير من صور الالتباس التي تحيط بعدد من المصطلحات.

وقد أحسن الدكتور حمدي شلبي صانع هذا الدليل عندما صنع فهرسا هجائيا ألفبائيا غير تجريدي في آخره للتيسير على المستعملين.

أما مصطلحات الفقه المالي المعاصر فقد حدد محرره الغاية من ترتيبه موضوعيا بغاية علمية معرفية معتبرة بقوله (ص ١٥) : " وخطتنا تعتمد في البداية على : تقديم المصطلحات من خلال هيكل النظام الاقتصأي الإسلامى لأن ذلك يبين بوضوح مكانها كجزء من خلال كل، فتظهر الصلة العضوية بينها وبين غيرها من المصطلحات " ثم يقول (ص ١٧) " وهدفنا تقديم معجم لمصطلحات الاقتصاد الإسلامى مرتب حسب الموضوع ".

وقد توزعت مصطلحات هذا المعجم على أربعة أقسام كما يلي :

١-مصطلحات المشكلة الاقتصادية (الموارد / الحاجات)

٢-مصطلحات الإعمار = الإنتاج (المال / العمل)

٣-مصطلحات الرزق = توزيع الدخل (الرزق المكتسب (التوزيع الوظيفي) / الرزق الحسن (التوزيع الشخصي).

٤-مصطلحات السوق = نظرية القيمة.

ولم يغب عن ذهن محرر المعجم الغاية التيسيرية على المستعملين وهو ما تجلى في صناعة فهرس ألفبائى غير تجريدي في ختام المعجم، وهو وعى برز من بداية المعجم حيث تقول المقدمة (ص ١٧) :" ثم يرتب في الفهرسة مع الترتيب الموضوعي على أساس الحروف الأبجدية (الألفبائية)؛ فتيسر للباحث الحصول على المصطلح مباشرة في صفحته، وفي نفس الوقت يستطيع – إن أراد – أن يتبين صلته بالموضوع ككل ".

ولا يخفي ما في هذه الغايات جميعا من روح إسلامية أصيلة تسعى لتحقيق التيسير، وهو أصل حاكم في التصور الإسلامى، وتسعى كذلك لبناء هيكل مفاهيمي منضبط يمكن صاحبه من خدمة الفكرة الاسلامية ومقاومة غيرها.

(٣) امتداد يعرف قيمة التراث ويرعى تواصل الأمة الحضاري والمعرفي.

من الملاحظات الأساسية على منهجيات ترتيب المصطلحات الفقهية في المعاجم الفقهية المعاصرة أنها جاءت امتدادا للمنهجيات التي اتبعتها المعجمية العربية العامة والمختصة على السواء، فاتجاه ترتيب المصطلحات وفق كل المصطلح من غير تجريد سبق استعماله وتطبيقه في المعجمية المختصة التراثية على ما نجد أمثلة عليه في التعريفات للجرجاني ٨١٦هـ والتعريفات والاصطلاحات لابن كمال باشا ٩٦٠هـ. كما سبق استعماله في المعاجم الفقهية القديمة على ما نجد مثالا له في معجم لغات مختصر ابن الحاجب، للأموي ٨٠٦هـ.

صحيح أنه شاع استعماله حديثا بدرجة واضحة لاعتبارات العصر ولاعتبارات المبالغة في التيسير.

من جانب ثان فقد عرفت المعجمية القديمة تطبيق المنهج الألفبائى التجريدي منذ زمن مبكر جدا إلى أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجريين من أيام معجم الجيم لأبى عمرو الشيبانى ٢٢٤هـ ثم تطويره على يد أبى عبيد الهروى صاحب الغريبين ٤٠١هـ والزمخشرى في أساس البلاغة ٥٣٨هـ.

كما عرف تطبيقه في المعجمية المختصة كذلك منذ زمن مبكر جدا.

ومن جانب أخير فإن منهج الترتيب الموضوعي سبق استعماله في المعجمية المختصة قديما كما يظهر في مفاتيح العلوم للخوارزمي ٣٨٧هـ وفي المعاجم الفقهية التراثية كما عند الازهرى ٣٧٠هـ في الزاهر، وابن فارس ٣٩٥هـ في حلية الفقهاء، والنسفي ٣٧٠هـ وطلبة الطلبة، وغيرهم كثيرون.

ونحن نرى في هذا الامتداد أثرا مهما لتواصل الأمة الاسلامية معرفياوحضاريا، ولتراكم التاريخ العلمي فيها، بسبب من خدمة الكتاب العزيز.

كما نرى في انتشار منهجية الترتيب الهجائي غير التجريدي ميلا ظاهرا إلى الإنعام في التيسير والمبالغة فيه، وهو استثمار جيد لأصل إسلامي عريق، نلمح آثار الصحوة الاسلامية في تفشيه وانتشاره المعاصر في الميدان العلمي عموما والمعجمي خصوصا.

(٤) امتداد العناية بالمصطلحات الفقهية في غير المعاجم الفقهية في العصر الحديث.

ولم يقف أمر العناية بالمصطلحات الفقهية جمعا وترتيبا وتعريفا عند حدود معاجم المصطلحات الفقهية المعاصرة باتجاهاتها المتنوعة، وإنما ظهرت تجليات أخرى لهذه العناية في ميدان قريب الصلة بالمعجمية، ونقصد به ميدان الموسوعات الفقهية المعاصرة وسنمثل على هذه العناية بأشهر موسوعتين في العصر الحديث وهما :

١- موسوعة الفقه الإسلامى (التي يصدرها المجلس الأعلى للشيءون الاسلامية، بالقاهرة، الذي بدأ في إصدارها سنة ١٣٨١هـ = ١٩٦١م).

وقد رتبت مداخلها هجائيا ألفبائيا من غير تجريد واعتنت في مفتتح كل مدخل بتعريف المصطلح الفقهي عند المذاهب المختلفة.

ومن أمثلة ذلك تعريفها لمصطلح الآبق (١/٣) بعد مدخل الآبد، حيث عرفته لغويا ثم عرفته عند الحنفية بأنه " انطلاق العبد تمردا " أي خروجا عن الطاعة، ثم وواصلت تعريفه عند المالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية والشيعة والزيدية والإباضية (١/٣-٤).

٢- الموسوعة الفقهية (التي أصدرتها وزارة الأوقاف والشيءون الاسلامية بالكويت سنة ١٤٠٠هـ= ١٩٨٠م)

وقد رتبت مداخلها على الشائع من مناهج الترتيب المعاصر كسابقتها ففي باب الهمزة مثلا تتوالى المصطلحات كما يلي : (أئمة / آباء / آبار / آبد / آبق / آخر / آجن، الخ) والموسوعة حريصة في بداية كل مدخل على تعريف المصطلح لغة واصطلاحا، ومن أمثلة ذلك تعريفها لمدخل (الآجن) (١/٩٤) بقولها " والمراد به في الفقه ما تغير بعض أوصاف أو كلها (تقصد الماء) بسبب طول المكث ".

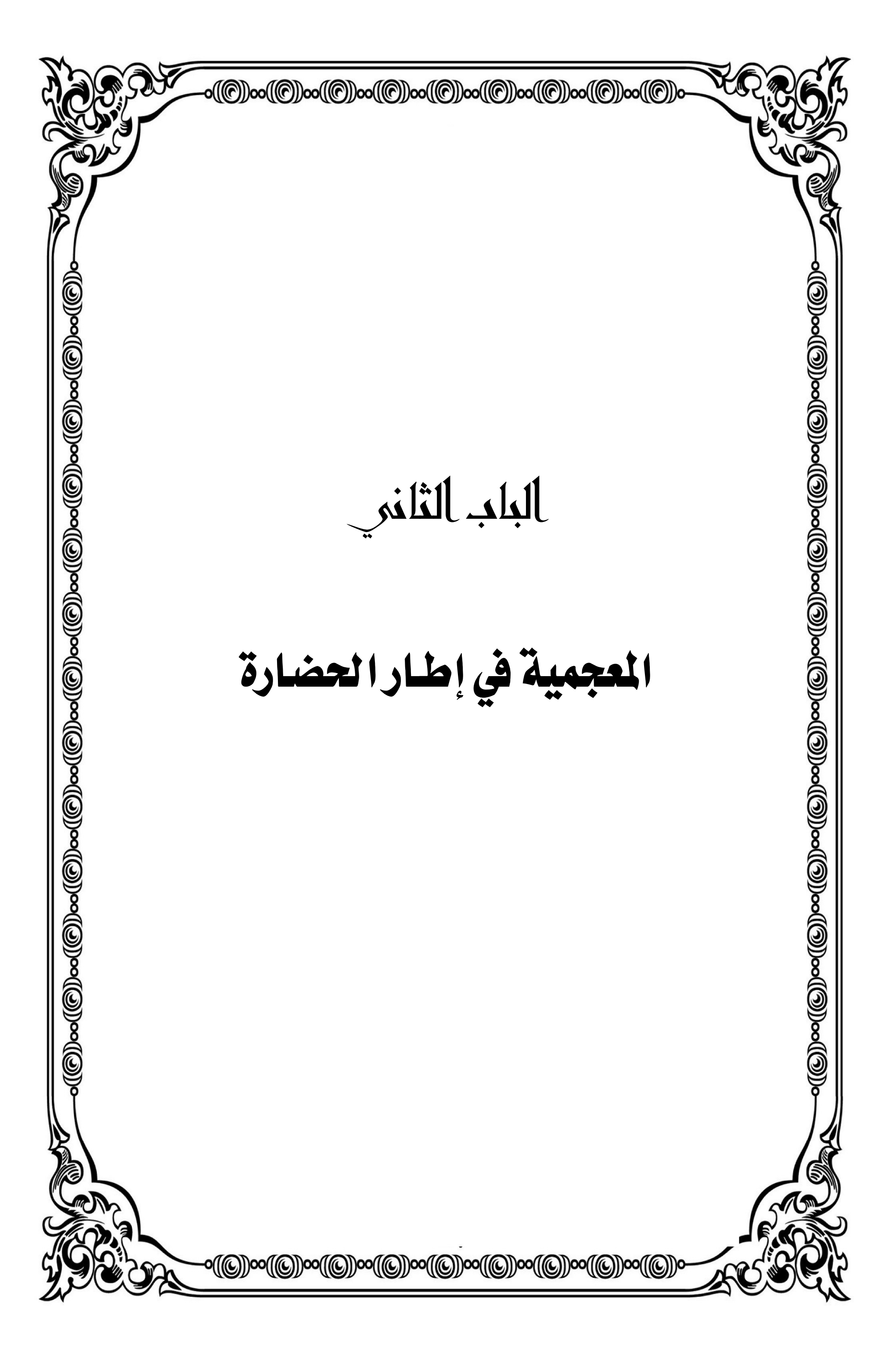
إن هذه العناية بالاصطلاحات الفقهية في المعاجم الخاصة بها أو في غيرها من الموسوعات لتدل أكبر دلالة على ما يتمتع به علم الفقه من الأهمية التي تعكس حاجة

المسلمين في كل عصر إليه. ومقصودنا هنا بيان العناية بمعاجم المصطلحات الفقهية المعاصرة وتلبيتها للحاجات المعرفية الطارئة، وهو المفهوم من العنوان السابق.

وتدل كذلك على نموه، والحاجة الماسة إلى تطويره، وتطوير خدمة مصطلحاته، وهو بعض ما تجلى في هذه القراءة للمعاجم الفقهية المعاصرة[1].

***

(١) المقصود هو معاجم المصطلحات الفقهية، لا المعاجم الفقهية بمعنى المدونات الفقهية التي تجمع الآراء والمسائل لفقيه من الفقهاء أو لمذهب فقهي من المذاهب.



الباب الثاني

المعجمية في إطار الحضارة

الفصل الأول
في معجمية الحضارة (الأصول)

أولا
معاجم مصطلحات علم المخطوط العربي
وقيمتها الحضارية

(مدخل)

ما زال التقدم العلمي حتى – وهو يرتاد آفاقا جديدة يكشف عن أبعاد جديدة لحقيقة ثابتة راسخة هي الأثر الجبار الذي أحدثه الإسلام في الحضارة الإنسانية وبخصائص وموائز مختلفة في غاياتها عن غيرها من الحضارات التي عرفها البشر في الأزمنة والأمكنة المختلفة.

ولقد كشف العصر الحديث عن علم جديد، وإن بدت بعض إشارات قديمة إلى بعض قضاياه ومسائله – وهو علم المخطوط العربي، يقول الدكتور / عبد الستار الحلوجي: "إن التراث العربي المخطوط أطول عمرا وأضخم عددا وأشد تنوعا وأقوي انتشارا وأكثر أصالة من التراث المخطوط لأية أمة أخرى" [نحو علم مخطوطات عربي، للدكتور عبد الستار الحلوجي، دار القاهرة سنة ٢٠٠٤م، ص ١٥].

وقد تأسس هذا الحكم على معايير زمانية ومكانية وحضارية " أضفت عليه قيمة لا نظير لها، فهو الذاكرة الحية لأمة امتد تاريخها على خمسة عشر قرنا من الزمان، ووضعت أقدامها في مشارق الأرض ومغاربها، وأمدت الحضارة الإنسانية بزاد ثرى في مختلف فروع المعرفة، وتفرد تراثها بعلوم لم يسبقوا إليها، ولم يلحقوا فيها ".

ويعرف علم المخطوط بأنه : " الدراسة المختصة بتناول جميع جوانب المخطوط باستثناء محتواها، كما يوصف بأنه ذلك العلم الذي يركز كليا على الخصائص المادية للكتاب المخطوط باليد ".

ويستنبط الدكتور / الحلو جي [نحو علم مخطوطات عربي ص١٧، وانظر تطبيقه لهذا المفهوم في المخطوط العربي له، الدار المصرية اللبنانية، والقاهرة سنة ٢٠٠٢م] في غير ما مصدر من مؤلفاته أن علم المخطوط العربي يتناول بالدرس ستة محاور أساسية هي :

١- تاريخ المخطوط.

٢- دراسة المخطوط كوعاء من أوعية المعلومات.

٣- تقييم المخطوط.

٤- الحفظ والصيانة.

٥- الفهرسة والضبط الببليوجرافي.

٦- التحقيق والنشر.

وبعيدا عن الجدل الذي قد يثور حول هذا المفهوم – فإننا نرى أن جمع مصطلحية علم المخطوط العربي؛ أي مجموعة المصطلحات المعبرة عن مفاهيم هذا العلم وتصوراته – أمر حديث جدا من جانب، وأمر مهم جدا لاعتبارات متعددة، وهو أمر يكشف عن العناية الفائقة التي أولتها الحضارة العربية الاسلامية للكتاب المخطوط للدرجة التي نستطيع أن نقرر معها أن قراءة المنجز الحضاري للأمة العربية الاسلامية في مجال المخطوطات تقود إلى تقرير الحقيقة التي تقول إن علم المخطوطات كان التطبيق العملي لمثل قوله تعالى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة العلق ٩٦/ ١-٤] وبإمكاننا أن نقرر أن تلاوة مثل قوله تعالى ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ ﴾ [سورة القلم ٦٨/ ١] حق تلاوتها قاد إلى هذا الذي كان من أمر هذا العلم؛ إذ كان لهذا القسم الإلهي أثر ظاهر في عناية العرب بمظاهر هذا العلم.

(١) مصادر مصطلحية علم المخطوط عند العرب.

لا شك أن علم المخطوط العربي بني جهازه الاصطلاحي عن طريق ما نسميه بالمصطلحات الرحالة؛ أي بنقل عدد من ألفاظ العلوم المختلفة التي أسهمت في بناء

هيكل هذا العلم المعرفي، وهي على جهة التعيين ماثلة في الست محاور التي اقترحها الدكتور / عبد الستار الحلو جى فيما سبق هنا.

ومن ثم فإننا نستطيع أن نقرر أن بناء معجم لمصطلحات هذا العلم ينبغي أن تعتمد المصادر التالية :

أولا – ما حفظ لنا عبر التاريخ الطويل من مخطوطات، بأشكالها وخطوطها المختلفة.

ثانيا – مصنفات الفهارس والبرامج المختلفة التي احتفظ بها لنا التاريخ العلمي العربي.

ثالثا – مصنفات علم الرسم والكتابة وآلاتها.

رابعا- مصنفات المحدثين المسلمين ولا سيما في أبواب الكتابة عن الشيوخ إثباتا وكشطا وتضبيبا وتصحيحا وطمسا الخ.

خامسا – مصنفات صناعة الإنشاء، وديوان الكتابة وديوان الخراج لعنايتها في بنائها العلمي بما يلزم الكاتب من أدوات كتابته، وطرق البرى وأنواع المداد، وصنوف الخطوط الخ.

من مثل مصنفات : القلقشندى وابن فضل الله العمري والنويرى وغيرهم.

سادسا – المصنفات المعاصرة في أثر الحضارة العربية وتاريخها من مثل ما كتبه : آدم متيز وجوستاف لوبون، والعقاد وغيرهم.

سابعا- المؤلفات المعاصرة في علم الكتاب العربي، من مثل ما ألفه : محمد محمد أمان وأيمن فؤاد سيد وجورج عطية وعبد الله الحبشي ومحمد ماهر حمودة وغيرهم.

ثامنا- المؤلفات المعاصرة في علم المخطوط العربي من مثل ما كتبه عبد الستار الحلو جى وأحمد شوقي بنبين وغيرهما.

تاسعا – المؤلفات المعاصرة في تحقيق النصوص العربية، من مثل ما كتبه : برجشتراسر وعبد السلام هارون ورمضان عبد التواب وغيرهم.

عاشرا – المعاجم المعاصرة في علوم التأليف والبحث العلمي والتوثيق وعلم المكتبات.

حادي عشر – المصنفات المعاصرة التي تدرس قضايا الترميم والصيانة للمخطوطات القديمة وعلم الخط.

ثاني عشر – مجموعة معاجم المصطلحات المتعددة العلوم عند العرب، كمفاتيح العلوم للخوارزمي والتعريفات للجرجاني وغيرهما.

فهذه المصادر الموزعة على اثنتي عشرة مجموعة هي في تصورنا المادة اللازمة لصناعة معجمات لمصطلحية علم المخطوط عند، ووهي مجموعة قابلة للزيادة ولا شك عند التفصيل الذي لا يناسب المقام هنا.

ونحب أن نقرر أن عددا من مجموعات هذه المصادر غائب عن المعاجم التي صنعت في العصر الحديث للعناية بمصطلحات علم المخطوط.

(٢) معاجم مصطلحات المخطوط العربي المعاصرة.

كان لتطور علم المخطوط العربي في العصر الحديث، وظهور تخصص مستقل يناقش مسائله، ويدرس قضاياه – أثره في ظهور الحاجة إلى معجمية مختصة لمصطلحات،تعنى بجمعها، وترتيبها، وضبطها، وتحريرها، وتدقيق مفاهيمها وتصوراتها.

ومن الحق أن نقرر أن ظهور معاجم لمصطلحات هذا العلم سبق إليها العلماء في الغرب، ثم تبعهم العلماء العرب على إقلال لا يناسب قيمة هذا العلم والتفوق العربي فيه.

وقد عرف التصنيف المعجمي المختص في العصر الحديث ثلاثة معاجم اعتنت بجمع مصطلحات علم المخطوط العربي وشرحها وتعريفها هي كما يلي :

أ– مصطلحات علم المخطوط، لدينيس موتزيريل Denis Muzerelle الذي أصدره في باريس سنة ١٩٨٥م، وهو معجم فرنسي عنوانه :

(vocabulaire codicologique)

يقول عنه الدكتور أحمد شوقي بنبين ومصطفي طوبى أراد له صانعه " أن يكون موجزا يقتصر على شرح الكلمة شرحا مختصرا على غرار شروح الألفاظ في القواميس اللغوية، وهو أول معجم ظهر في التراث الإنساني في هذا المجال ".

ب- تقاليد المخطوط العربي : معجم مصطلحات فنية مع ببليوجرافيا، للمستشرق البولوني آدم جاسيك Adam Gacek، طبعة بريل بلين وبوستون وكولن سنة ٢٠٠١م وهو معجم عربي / انجليزي.

ج- معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجى) للدكتور أحمد شوقي بنبين ومصطفي طوبى، الخزانة الحسنية بالرباط، صدرت آخر طبعاته وهي الثالثة سنة ٢٠٠٥م

وهناك محاولة معجمية أخرى يبدو أنها صنعت على سيبل التجريب صنعها محمد شبوح بعنوان : (نحو معجم تاريخي لمصطلح ونصوص صناعة المخطوط العربي) نشرت ضمن أعمال مؤتمر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى الثالث بلندن ١٤١٨هـ=١٩٩٩م في صيانة وحفظ المخطوطات الاسلامية.

(٣) وظائف معجمات مصطلحات علم المخطوط العربي.

إن احد المعايير المهمة الحاكمة في صناعة المعاجم ما يسمى بالوظيفة التي يسعى صانعوها إلى الوفاء بها، وقد سعت معجمات مصطلحات علم المخطوط العربي إلى تحقيق الوظائف التالية :

أولا – الوظيفة الحضارية :

المقصود بها أن يكون المعجم هنا أداة كاشفة عن مدى ما قدمته الثقافة الاسلامية المتلبسة باللسان العربي من عطاء خاص متعلق بتراث الأمة العربية المخطوط، وأن امتداد تاريخهم في كتابة علومهم ومعارفهم – أصاب أنواع المادة المكتوب عليها، وأنواع الخطوط المستعملة، وأنواع الأحبار وألوانها، والرسوم والجداول التوضيحية، والتزيين والزخرفة وأنواع القلم وكيفية بريها، وصناعة التجليد، وحفظ المخطوط، وصيانته إلى

غير ذلك من موضوعات كانت مشغلة لأمة معرفية أنتجت ابتكارات وعلوم سعدت بها الإنسانية.

وقد التفت إلى هذه الوظيفة أحمد التوفيق في تقديمه لمعجم أحمد شوقي بنبين ومصطفي طوبى (ص ٧) : " يقف من يستعمل هذا المعجم... على هذه المادة كمرآة لحضارة صنعت وسمت كل ما صنعت "، وهو ما يؤكده آدم جاسيك في أول سطر عندما يقول أن من خصائص الحضارة العربية الاسلامية الأساسية – ولا شك عنايتها بالكتب، وهو أمر يرقى إلى درجة اليقين عنده، ثم يقرر أن الوضع المركزي للكتاب في الثقافة العربية يعد من جذور الإسلام نفسه، وإليك نص كلامه (ص ١٣ = XIII):

"one of the principal characteristics of Arab civilization undoubtedly the cult of books. this central position of the book in Arabic culture has its roots itself"

ثانيا – الوظيفة الاصطلاحية / المعرفية:

بجانب ما تقوم به معجمات مصطلحات علم المخطوط العربي من كشف عن الوجه الحضاري الرائع لهذه الأمة العربية الاسلامية – فإننا لا يمكن أن ننكر أن أية معجمات مختصة تتمثل وظيفتها الكبرى في ضبط مصطلحات العلم وتحريرها وشرحها وتعريفها وعناية بمفاهيمها وتقريب تصوراتها للإدراك.

وهذه الوظيفة الاصطلاحية هي الأساس ولا شك وهو ما لمسه صانعو هذه المعجمات ونصوا عليه، يقول الدكتور مصطفي طوبى في مقدمته لمعجم مصطلحات المخطوطات العربي (ص ١٨) : " أصبح وضع معجم في علم المخطوطات ضربة لازب في الوقت الراهن " وهذه الوظيفة من الظهور المنطقية بحيث لا تحتاج إلى التوقف كثير أمامها.

ثالثا – طلب استقرار علم المخطوط العربي :

هذه وظيفة تبدو مثيرة للغرابة إلى حد كبير، ذلك أن المعجمات المختصة عموما تعكس وجها من وجوه النضج والاستقرار للعلم الذي تجمع مصطلحات وترتيبها وتحررها وتعرفها.

ولكن الأمر هنا يعتريه شيء من الاختلاف إذ يشيع في الأدبيات المعنية بدراسة علم المخطوط العربي والتعريف به جدل لم يحسم إلى الآن حول طبيعة هذا العلم، ومحاوره، وما ينضوي تحته وما لا ينضوي بصورة فيها تفاوت ملموس بين الدارسين، ولذلك سعت بعض المعجمات المصنفة في العناية بمصطلحات هذا العلم إلى أن تصنع هذه المعجمات دورا في استقرار مفاهيم هذا العلم ونضجه وترسيخ المحاور التي تدخل في نطاقه، وهو ما يعبر عنه تعبيرا واضحا الدكتور أحمد شوقي بنبين قائلا (ص ١٢) : " والإقدام على انجاز هذا المعجم يعتبر نوعا من المخاطرة؛ لأن علم المخطوطات بمفهومه العلمي الحديث الذي يمكنه أن يمدنا بما نحتاج إلي من ألفاظ ومصطلحات هو علم جديد لم يتبلور بعد بل ما زال في مرحلة الطفولة "

ولست أشك في أن هذه المعجمات ستحقق خطوة ملموسة في استقرار مفاهيم هذا العم الحديث.

رابعا- الوظيفة التاريخية :

يعرف المهتمون بالمخطوطات العربية أنها خضعت لتطورات كثيرة، على امتداد تاريخ مزدهر من العناية بالكتاب، وهو ما يشير إلى تنامي ظهور مصطلحات مع مرحلة تطورية خضع لها المخطوط العربي؛ بمعنى أن عددا من مصطلحات التجليد مثلا لم تكن موجودة إلى أن بدأت مرحلة تجليد المخطوطات مواكبها ظهور عدد من مصطلحات ترصد مفاهيم هذه المرحلة.

وهو ما يعكس من جانب مهم مرونة اللسان العربي الذي استطاع باعتراف المعجميين المختصين أن يمد الجهاز الاصطلاحي لعلم المخطوط بما يحتاج إليه في كل مرحلة من مراحل تطوره.

ومع هذه الوظائف المهمة جدا فان ثمة عددا آخر من الوظائف الصغرى التي عنيت بها هذه المعجمات من مثل :

أ- بيان معلومات الضبط والهجاء.

وظهور هذه الوظيفة أمر منطقي لاعتبارات مختلفة منها أن عددا من معاجم مصطلحات المخطوط ظهرت في غير اللسان العربي – مما تمس الحاجة معه إلى بيان طريقة نطق المصطلحات وهو ما التزمه آدم جاسيك في صدر تعليقه على المصطلحات التي أوردها في معجمه مستعملا طريقة الكتابة الصوتية؛ لضبط النطق ومن أمثلة ذلك عنده :(دهن / Duhn) ص ٤٨ و(شاهد / Shahid) ص ٨٠ (النسخة الملفقة /

– Al-Nuskhah al mulaffaqah) ص ١٢٩ وهو ما حرص عليه أيضا الدكتور أحمد شوقي بنبين والدكتور مصطفي طوبى.

ب-بيان معلومات البنية (المعلومات الصرفية)

وقد تعلق الأمر ببيان النوع الصرفي أو ذكر جموع بعض الكلمات للحاجة إلى ذلك، ومن أمثلة ذلك عند آدم جاسيك ص ١٥ باب : (ج) أبواب / bab:pl.abwab). وص ٦٧ (سطر : أسطر / سطور satr (pl.astur,astar , suture)

(٤) منهجية الترتيب.

غلب المنهج الألفبائى على أنظمة ترتيب المصطلحات في معاجم مصطلحات علم المخطوط العربي، والعلة المذكورة – وهي صادقة – هي التيسير على المستعملين.

والحق أن ترتيب المصطلحات ألفبائيا وفق شكلها النهائي في الاستعمال من غير اعتبار الرد إلى الجذور أو الأصول أرقي في باب التيسير على المستعملين، وهو ما فعله الدكتور أحمد شوقي بنبين والدكتور / مصطفي طوبى، ونبها عليه في مقدمات معجمها.

أما آدم جاسيك وإن رتب المصطلحات ألفبائيا إلا أنه راعى أصول المصطلحات أو جذورها التي انحدرت منها وهو ما قلل من التيسير من جانب ولم يراع طبيعة بعض المصطلحات المركبة والأعجمية وهو ما انتقده فيه معجم مصطلحات علم المخطوط العربي.

ولم يذكر آدم جاسيك علة لهذا الترتيب الجذري، واكتفي قائلاص ١٤ = XVI أنه رتب المعجم طبقا للألفبائية على جذور الكلمات.

"the glossary is thus arranged alphabetical according to root of the word which is given in Arabic script "

(٥) استدراكات.

لاشك أن ظهور هذه المعجمات دليل في يد دراسي العربية على مرونتها وقدرتها على مواجهة التطورات المعرفية.

ولا شك أننا نقدر الجهد الرائع الذي اضطلع به أصحاب هذه المعجمات ولا سيما المعجم العربي في المجال، وهو ما يدعونا إلى التنبيه على عدد غير قليل من المصطلحات، ومن المعلومات التي يرجى أن يستدركها الفاضلان الدكتور / أحمد شوقي بنبين والدكتور مصطفي طوبى، وفيما يلي مجموعة من الملاحظات الاستدراكية :

١- خلو المعجم من السمة الموسوعية، بمعنى أنه خلا من إيراد أي من المعلومات الموسوعية المتعلقة بالأعلام أو المؤلفات شديدة الارتباط بمصطلحات علم المخطوط من مثل : ابن درستويه / وابن البواب والسمعانى / والقلقشندى الخ. ومن مثل : أدب الكاتب / كتاب الكتاب / وصبح الأعشى الخ.

٢- خلو المعجم من مصطلحات الضبط في العربية من مثل

- الشدة / الضمة / الفتحة / الكسرة.

٣- خلو المعجم من مصطلحات كثيرة لها علاقة بمادة علم المخطوط العربي من مثل : (مرتبة على منهج المعجم) :

- أما بعد (= فصل الخطاب) : وهي العبارة التي ينتقل فيها الكاتب إلى موضوع كتابه بعد انتهاء صدر الكتاب.

- البرى (برى القلم) : وهو إعداد القلم وتجهيزه للكتابة عن طريق ضبط سنه بسكين بطريقة معروفة.

- سجية الرسم (طبيعة الكاتب في كتابته) : وهي طريقة الكاتب المألوفة في كتابته، وهي تفيد في فحص الكتب المزورة، ويمكن أن تضاف وسيلة لبيان توثيق نسبة المخطوطات إلى أصحابها إن ذكر أنهم كتبوها بخطوطهم.
- فصل الخطاب (انظر : أما بعد)
- فقر منتخبة : نصوص مقتبسة من نص آخر.
- قطع الكلمة : هو توزيعها على سطرين وهو مما يستقبح في عرف الكتاب.
- المنظومة = نوع من التأليف يدون المعارف في صورة نظمية يغلب أن تكون رجزا.
- النسخة المجددة : وهي النسخة الناقصة التي يكتبها ناسخ معين ثم يأتي فيكملها ناسخ غير الأول.

ومما اقترح زيادته كذلك :

- النسخة المورثة / والنسخة اليتيمة.

ومما يصح زيادته على بعض تعريفاته ما يلي :

زيادة : ما يلي في آخر مدخل التعليقة ص ٩٤ :

" وهي آخر كلمة في الصفحة توضع أسفل الصفحة وهي هي التي تبدأ بها الصفحة اليسرى من أعلى لغرض ترتيب أوراق المخطوط، وهي شكل قديم يقوم مقام الترقيم ".

وأقترح زيادة ما يلي في آخر التعليق على المعنى التوقيع ص ١٠٦ " وهو : رد مركز دال على عنى كثير بلفظ قليل، يمثل إجابة على الكتاب ".

واقترح زيادة ما يلي في آخر التعليق على معنى الخاتم ص ١٣٩ " وأول من ختم الكتب النبي صلى الله عليه وسلم حين علم أن الملوك لا تقبل إلا إن الكتب كانت مختومة " [عن الرسالة العذراء ١٣٩]

ويضاف معنى آخر هو : خاتم الكتاب : ربط الكتاب منعا من اطلاع حامله.

كما وقع بعض الملاحظات المتعلقة ببعض علامات الاضطراب المعجم من مثل :

-تعريف البيكار (ص ٦٤) بأنه أداة تستعمل في رسم الأشكال الهندسية في الكتاب ويقال له البركار.

ويقول في تعريف البركار (ص ٥٨) : " آلة ذات ساقين ترسم بها الدوائر "، وهم تعريفان مختلفان بعض الاختلاف.

وأصول الصناعة كانت تقتضى أن يعرفها عند أول مرة ترد ثم يذكرها في صورتها الثانية من غير شرح ويستعمل نظام الإحالة المعجمية في الموضع الأول إلى الموضع الثاني، وفي الموضع الثاني لا يشرح ويحيل على الموضع الأول.

ويعلق على معنى التحبيس بما يشعر أنه خاص بالغرب الإسلامى فيقول ٧٢ : هو المصطلح الذي استعمل في الغرب الإسلامى للتعبير عن الوقف. وهذا غير دقيق إذ الحبس (بضمتين) مستعمل في معنى الوقف عند المشاركة، ففي الأم للشافعي باب للحبس أي للأوقاف !

لا يستعمل المعجم العربي التصلية مصدرا في الصلاة مطلقا وإنما يستعمل اسم المصدر (الصلاة) في هذا المعنى دفعا لتوهم المعنى المتعلق بتصلية النيران، وهم يستعملون الصلاة اسما ومصدرا منعا للبس، ومن ثم فالصواب بدلا من مدخل التصلية ص ٩٠ أن يكون المدخل (الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم) ويرد في باب الصاد !

اقترح أن يزيد في التعليق على مدخل الطين ص ٢٣٧ " ويستعمل في ختم الكتب وربطها "

وقع اضطراب في ترتيب المداخل التالية (٣٦٠) :" النسخة العلمية / النسخة المفككة/ النسخة المنصورية / النسخة العالية "

وحسبنا هنا أن نثمن جهاد هؤلاء العلماء الكبار في الكشف عن وجه حضاري رائع طالما أعطى الإنسانية وحنا عليها.

***

ثانيا
معاجم مصطلحات البحث والتأليف
في العربية المعاصرة

(مدخل)

لم يكن مدهشا أن يقرر فرانتز روزنتال أن المسلمين كان لهم إسهام جبار في ميدان التأليف العلمي، وهذا الرأي الذي افتتح به كتابه (مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ص ١٥) جاء مدعوما بما توصل إليه كثير من العلماء الغربيين من أمثال فون كريمر.

وبالإمكان أن نقرر أن وجود جهاز مصطلحي أو مدونة مصطلحات عربية للتأليف والبحث العلمي عند العرب – كاف في هذا السياق لإثبات تفوق الحضارة العربية الاسلامية في باب التأليف والبحث العلمي منذ وقت مبكر مقارنة بما عرفته فيما بعد الحضارة الغربية.

وهذه الحقيقة جاءت نتيجة منطقية للعناية المبكرة التي أولاها الإسلام العظيم لتدبر نصه الأكبر الحاكم في الثقافة العربية وهو الكتاب العزيز، فضلا عن العناية المبكرة التي تجلت في الحث على القراءة والبحث والتأمل على مستوى النصوص المشرعة في القرآن الكريم والسنة المشرفة وعلى مستوى الواقع منذ زمان مبكر جدا يعود إلى عصر النبوة.

(١) العناية بمصطلحات التأليف والبحث العلمي في الحضارة الاسلامية قديما.

ظهرت عناية الثقافة العربية الاسلامية بمصطلحات التأليف والبحث العلمي في ميادين متنوعة يمكن إجمالها فيما يلي :

أولا – معاجم المصطلحات المتعددة العلوم (أو ما نسميها باسم معاجم المصطلحيات العربية) من مثل : مفاتيح العلوم للخوارزمي، والتعريف للجرجاني،

والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوى، وجامع العلوم للأحمد نكرى وكشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوى.

ثانيا – مصنفات تصنيف العلوم، ذلك أن هذه المصنفات غايتها التعريف بالعلوم المختلفة، وبطرائق تصنيفها، ومن أشهر ما عرفه التأليف العربي في هذا الباب المعرفي : إحصاء العلوم للفارابي، وطبقات العلوم لصاعد، وترتيب العلوم، لساجقلى زاده.

ثالثا– مصنفات الفهارس والببليوجرافيا العربية، التي اعتنت برصد الإسهام العلمي عبر التاريخ من مثل : الفهرست، للنديم، ومفتاح السعادة، لطاش كبرى زاده، كشف الظنون، لحاجى خليفة

رابعا– مصنفات علم الحديث (الدراية)؛ لما فيها من عناية فائقة بطرق تحمل العلم وأدائه وكيفية نقد المتن وغيرها من المسائل المهمة جدا في التأليف والبحث العلمي، من مثل : تدريب الراوي، للسيوطي، والجامع، للخطيب البغدادي، والإلماع، للقاضي عياض.

خامسا – مؤلفات أصول الفقه ومعاجمه؛ لاهتمامها بالمجتهد وشروطه، وهي كثيرة تملأ المكتبة العربية من مثل : الحدود للباجى، والتعريفات الدقيقة لزكريا الأنصاري، وبيان كشف الألفاظ التي لابد للفقيه من معرفتها، للامشى الحنفي، المنسوب خطأ للأبذى المصري.

ولا يمكن التغافل هنا عن مؤلفات علم الأصول والجدل والمناظرة والمنطق، لعنايتها جميعا بطرائق الاستدلال، ونقص الأدلة، وعكسها، وبيان بطلان الباطل منها، ورد أقوال الخصوم. وكلها من لوازم عمل الباحث في التأليف والبحث العلمي.

سادسا – مؤلفات تحقيق التراث وإعداد البحوث ومناهجها، ومؤلفات أصول التوثيق ونشر الكتب وعلم المكتبات والوثائق، وعلم المخطوط العربي، وهي كثيرة جدا ومتنوعة تنوعا خصبا.

واعتماد ما ورد في هذه المصنفات كاف في إخراج معجم غزير المادة لمصطلحية البحث العلمي عند العرب، وهو ما يعكس الوجه الحضاري الرائع للثقافة العربية الاسلامية في عطائها المعرفي للإنسانية في هذا المجال الخطير.

وقد كان لغياب كثير جدا من هذه المصادر عن المعاجم المصنوعة حديثا لمصطلحات التأليف والبحث العلمي عند العرب – أثر ظاهر في إخلالها بعدد كبير من هذه المصطلحات لم تظهر فيما بين أيدينا من هذه المعاجم المعاصرة.

وفيما يلي أمثلة لمصطلحات التأليف والبحث العلمي العربية توافرت فيما رصدته من المصادر التي تعد أصلا لازما لصناعة أمثال هذه المعجمات، وهي من مصدر واحد فقط هو معجم التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوى المصري (ت ١٠٣١هـ) [التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت/ دمشق، ط١، سنة ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م، (ص ٤٥/٣٣٥/٥١١/٥٣٩/٦٣٣)]:

- آداب البحث = صناعة نظرية؛ لاستفادة كيفية المناظرة، وشروطها صونا عن الخبط في البحث، وإلزاما للخصم وإفحاما.
- الدخيل = وقولهم : هذا الفرع دخيل في الباب؛ أي : ذكر استطردا أو لمناسبة، ولا يشتمل عليه عقد الباب
- العرض = وله معان منها : استظهار الكتاب حفظا، ومقابلته بنسخة صحيحة؛ لتصحيحه وضبطه.
- الغصب = في آداب البحث : منع مقدمة الدليل، وإقامة الدليل على نفيها قبل إقامة المعلل الدليل على ثبوتها سواء لزم إثبات الحكم المتنازع فيه ضمنا أم لا.
- المبادئ = هي التي تتوقف عليها مسائل العلم، كتحرير المذاهب، وتقرير المباحث، فللبحث أجزاء مترتبة بعضها على بعض، وهي المبادئ والأواسط والمقاطع والمقدمات التي تنتهي الأدلة والحجج إليها.

وهذه أمثلة قليلة جدا لما تحتفظ به لغة العرب في هذا المجال المهم، مما يمكن الإفادة منه، وهو ما كان لغيابه الأثر السلبي في معاجم مصطلحات التأليف والبحث العلمي العربية المعاصرة.

(٢) معاجم مصطلحات التأليف والبحث العلمي العربية المعاصرة:

اجتهد المعاصرون من علماء العربية في قطاع كبير من قطاعات العمل المعجمي ولا سيما المختص أن يبتكروا أنواعا من المعاجم لم تلق العناية اللائقة بها قديما من جانب، أو أن يدفعوا بهذه المعاجم بعضا من الاتهامات أو الأخطاء الشائعة في مجال معرفي معين.

هذه الصورة هي التي حكمت ظهور معاجم مصطلحات التأليف

والبحث العلمي العربية المعاصرة، يقول الدكتور / أحمد جاسم النجدي : "من الأفكار الشائعة بين كثير من الباحثين فكرة تشير إلى أن منهج البحث – علم اقتبسناه من الغربيين ضمن ما اقتبسناه في بداية عصر نهضتنا من علوم وفنون. ولم يكن اقتبسنا هذا العلم مقتصرا على خطواته ومبادئه فقط، بل شمل كثيرا من مصطلحاته الدالة على خطوة من تلك الخطوات، أو مبدأ من تلك المبادئ بعد ترجمتها إلى لغتنا واستعمالها بمدلول يدل على تلك المبادئ والخطوات" [مصطلحات البحث والتأليف الأدبي عند العرب، للدكتور أحمد جاسم النجدي (ضمن: كتاب لمورد: دراسات في اللغة، بغداد ١٩٨٦م)، ص١١٩].

ويؤكد الدكتور / عبد الله بن محمد أبو داهش أن الدافع وراء عنايته بجمع مصطلحات البحث العلمي – هي أنها متفرقة في غير ما مكان مما يفوت فرص الإفادة منها.

وقد عرف التصنيف المعجمي العربي المعاصر معجمين لمصطلحات التأليف والبحث العلمي، هما كما يلي :

(أ) (معجم) مصطلحات البحث والتأليف الأدبي عند العرب، للدكتور أحمد جاسم النجدي ١٩٨٦م، صدر ضمن كتاب المورد بعنوان : دراسات في اللغة، تحرير / طراد الكبيسى، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد سنة ١٩٨٦م (ص ١١٧-١٤٤).

(ب) معجم مصطلحات البحث العلمي، للدكتور عبد الله بن محمد أبى داهش، سنة ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م / صدر عن مكتبة العبيكان، الرياض سنة ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م ص ١٩١.

(١/٢) وظائف مهمة.

وفحص الأهداف التي حكمت ظهور هذين المعجمين يعكس عنايتهما **بتحقيق الوظائف والأغراض** التالية :

أولا – الوظيفة الحضارية؛ أي البرهنة على تقدم العلم في الثقافة العربية الاسلامية في ميدان البحث والتأليف، من خلال جمع مصطلحاته واستعمالها برهانا على عطاءات هذه الحضارة وسبقها في ميدان البحث العلمي ومناهجه مقارنة بغيرها من ثقافات الألسنة الأخرى.

وهذه الوظيفة هي التي حكمت ما صنعه الدكتور / أحمد جاسم النجدي وظهرت صراحة في تقديمه كما مر بنا.

ثانيا – الوظيفة المعرفية / العلمية، ويقصد بها العناية بالمفاهيم

و التصورات التي تحملها هذه المصطلحات، ولا سيما بعد تقادم العهد بها، يقول الدكتور / النجدي (ص ١١٩) : " وفائدة أخرى يفيدنا إياها جمع هذه المصطلحات القديمة وإظهارها، ذلك أن بعض من يطالع كتابا من كتبنا الأدبية القديمة – قد يمر بالمصطلح فيتبادر إلى ذهنه المعنى اللغوى للمصطلح، أو المعنى الشائع له الذي قد يكون مخالفا لمعناه الاصطلاحي عند القدامى، ومن ثم يفهم النص الذي يقرؤه على غير وجهته الصحيحة؛ وبهذا يقوم البحث (يقصد معجم مصطلحات التأليف والبحث العلمي) بمساهمة نحسب لها فائدتها في تيسير قراءة النص ".

وهو ما يؤكده الدكتور / عبد الله أبو داهش في صدر مقدمته لمعجمه في مصطلحات البحث العلمي (ص ٧) حيث يقرر أنه : " لم يكن في عدة الباحث وأدواته ما يفي بمعاني المصطلحات العلمية الواردة في هذا المعجم؛ مما دعا لجمعها وترتيبها ".

ثالثا – الوظيفة التربوية والأخلاقية، ويقصد بها أثر هذين المعجمين في المبادئ التي تتسرب إلى أنفس المستعملين من تأمل كثير جدا من المداخل / المصطلحات التي تحمل قيما تربوية وأخلاقية، ولا سيما أن عددا ضخما من مصطلحات التأليف والبحث العلمي تتعلق بآداب البحث وأخلاق العلم وسمات الباحث وآداب التلقي، وأخلاق النقل.

(٢/٢) منهجية ترتيب المصطلحات في معاجم مصطلحات التأليف والبحث العلمي :

لم يكن غريبا أن يرتب الدكتور / أبو داهش مصطلحات معجمه في مصطلحات البحث العلمي وفق المنهج الهجائي الألفبائى النهائي؛ أي من غير اعتبار للحروف الجذور أو الأصول، وهو المنهج الأشهر من معيار التيسير، ولا شك أن ذلك يعكس وعيا معجميا معاصرا من جانب ويعكس وعيا بضرورة توفير مبدأ التيسير في العمليات المختلفة في البحث والتأليف.

ومراجعة المصطلحات التالية، وهي منقولة حسب ورودها عنده – دالة على هذا المنهج المتبع) مداخل باب الباء)

- الباب = جزء من المحتوى العلمي في الكتب أو البحوث العلمية... ص ٩٨
- الباحث = المؤلف المستقصى ذو صفات العلمية... ص ٩٨
- البحاث = كالباحث..ص٩٨
- البحاثة = المصنف العالم ذو القدرة على التدوين والتأليف... ص ٩٩
- البحث = بذل الجهد في موضع ما وجمع المسائل التي تتصل به...ص ٩٩
- البسملة = ما تفتتح به البحوث العلمية... ص ٩٩
- البشر = إزالة بعض المكتوب بالسكين بطريقة معينة...ص ١٠٠
- البطاقة = ورقة مصممة بشكل معين تستعمل في جمع المادة العلمية... ص ١٠٠

فهذه المصطلحات التي تدخلنا في بعض تعريفاتها منقولة بترتيبها من المعجم المشار إليه وهي تدل على المنهج الذي وصفناه والعلة الظاهرة من هذا المنهج هي التيسير بل الإنعام في التيسير ولا شك.

وهذا المنهج هو الذي يدعم الوظيفة العلمية التي هدف إليها صانع هذا المعجم ٠

أما الدكتور / أحمد جاسم النجدي فقد خالف ولم يرتب مداخل / أو مصطلحا(معجمه) وفق المنهج الألفبائى،و إنما جاءت مداخله عشوائية لا تخضع لمنهج ترتيبي في الظاهر، كما يلي : (الأصول / التأليف / الباب / الترجمة / الثبت / التحرير / الدفتر / الديوان / الرسالة / المعارضة / التعليق / المقابلة / الكتاب / المظان / النسخ / أنشد).

ولعل عدم انشغال الدكتور النجدي بالترتيب على الرغم من قلة المصطلحات التي أوردها – راجع إلى اهتمامه بما سميناه بالوظيفة الحضارية؛ أي اهتمامه بإعادة الاعتبار لمنهجية البحث العلمي عند العرب من خلال مجموعة من مصطلحات التأليفوالبحث تكون قادرة على تصحيح التصور المغلوط المتعلق بعلاقة العرب القدامى بالبحث العلمي.

وتسمية هذه المحاولة معجما تحمل شيئا غير قليل من التجوز والتوسع، وإلا فهي في الحقيقة محاولة مبدئية، تنتمي لما يسمى بتوائم المفردات ترمى إلى التدليل على غاية محددة.

(٣) الطريق ما زال طويلا .

وتأمل هاتين المحاولتين على ما أصابهما من نقص يفتح الباب واسعا للقول بأن الحاجة إلى معجمات تعنى بمصطلحات التأليف والبحث العلمي في العربية – ما تزال ملحة جدا، لاعتبارات كثيرة لعل أهمها أن غايات التأليف والبحث العلمي عند العرب مختلفة تماما عن الغايات المتواترة عند غيرهم، وهو الأمر الذي يتعرض لكثير من الضبابية بتأثير من غول الثقافة الغربية، ومن شأن العناية بمعاجم مصطلحات التأليفوالبحث العلمي عند العرب أن يعيد تصحيح التصورات والمفاهيم المرتبطة بهذا الميدان التي ظلت على امتداد التاريخ الإسلامى مرتبطة بقيم التوحيد والربانية والإعمار وتزكية الأنفس والتراحم، وهو ما غاب غيابا ظاهرا عن ميادين البحث العلمي في الحضارة الغربية المعاصرة.

ثالثا
معاجم مصطلحات الوثائق والأرشيف في العربية
مصادرها ووظائفها

مدخل : التوثيق من الدين !

ربما صح في هذا المفتتح أن نستدعى معا تراثا ضخما من النصوص المتنوعة والغزيرة والراقية تقود إلى ما تقدم في مدخل هذه الورقة والنظر إليه على أنه أشبه شيء بالقانون المستقر الحاكم في الثقافة العربية والإسلامية؛ بفعل الحراك الجبار الذي فجره القرآن الكريم، وما ظهر في محيط خدمته، ورعايته، وهو الأمر الذي يؤكده الدكتور / محمد ماهر حمادة بقوله : " ولقد أحدث ظهور الإسلام وانتشاره ثورة في كل نواحى حياة العرب، ونقلهم الله تعالى به من الظلمات إلى النور على يدى سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه...و لقد ازداد احتياج المسلمين إلى المواد للتسجيل احتياجا كبيرا جدا، بسبب انتشار التعليم والمراسلات الحكومية والسجلات الرسمية، وتأليف الكتب" [المواد التي استعملها المسلمون في الكتابة، الدكتور ماهر محمد حمادة، ص ٥٨، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، ع ٩، لسنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م].

وهذه الأسباب المرصودة في العبارة السابقة ليست حصرية بطبيعة الحال، وإنما هي أمثلة لعدد من الأسباب التي دعت إلى التوثيق.

والتوثيق في المعرفة المعاصرة علم يرعى: " تنظيم الوثائق والبيانات، وحفظها بما في ذلك تحديد مكانها، والتعرف عليها، واقتنائها، وتحليلها، وتخزينها، واسترجاعها، وتقديمها، وعرضها وتسهيل تداولها، وتقديم المعلومات للمستفيدين" [معجم المصطلحات الأرشيفية، لبيتر فالن، ترجمة غسان منير سنو الدار العربية للعلوم، سلسلة المجلس الدولى للأرشيف رقم ٧، بيروت سنة ١٩٩٠م ص ٧٢-٧٣، مصطلح ١٤١].

وأمر المعرفة العربية والإسلامية بهذا المفهوم قديم جدا شاهد على عراقة المنجز الإسلامي والعربي في هذا الميدان بدرجة كبيرة مزدهرة ومتقنة.

ولا سبيل بحال للمقارنة بين وضع التوثيق في التاريخ العربي عبر مرحلتين هما : عصر الجاهلية، وعصر الإسلام؛ ذلك أن ما أنتجه الإسلام وتطور به في اتجاه خدمة العلم، وتوثيق الحياة ربما صح أن يكون أعظم منجز عرفته الإنسانية على امتداد تاريخها كله كما وكيفا.

ومع هذا السبق المرصود للمنجز العربي والإسلامى قديما في مجال خدمة علم التوثيق والأرشفة – فإن ثمة تأخرا ظاهرا يحيط بالمنجز العربي المعاصر في الميدان نفسه، وهو التأخر الذي انسحب بظلاله على تأخر العناية بمصطلحية الوثائق والأرشيف في اللسان العربي في التاريخ المعجمى المعاصر.

(١) مصادر مصطلحات الوثائق عند العرب.

وفي ما يلي محاولة تسعى إلى رصد المصادر الأساسية التي تعد المنبع اللازم الرجوع إليه لجمع مادة معجم مصطلحات الوثائق والأرشيف العربية، ويمكن تقسيمها إلى **مصادر الأولية، ومصادر مركزية**، وفيما يلي بيان **للمصادر الأولية** وما يندرج تحتها :

(١/١) المصادر الأولية :

أولا- المصنفات التاريخية:

فإذا كان علم الوثائق معنيا في المقام الأول بكل ما يتعلق بالوثيقة في بعدها المادى والمضمونى – فإن القول بأن أول المصنفات لزوما لصناعة معجم لمصطلحات الوثائق هي المصنفات التاريخية يعد أمرا منطقيا وطبيعيا في الوقت نفسه، يستوى في هذا مصنفات التاريخ العام أو الخاص، الموسعة أو المختصرة، أيا ما كانت مناهجها التصنيفية؛ ذلك أن الحضارة العربية والإسلامية تملك مكتبة تاريخية جبارة ومدهشة ومتنوعة، وهي بدورها تحتفظ بعدد هائل من الوثائق التاريخية والقانونية بالمعنى الواسع، وفي هذا السبيل يلزم صناعة قوائم موسعة ومفصلة بالمكتبة التاريخية العربية تمهيدا لفحص ما تحويه من ألفاظ خادمة للوثائق المحفوظة بها.

وفي هذا السياق نذكر بالموسوعات التاريخية الكبرى العامة من مثل: تاريخ الطبرى، والكامل في التاريخ لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن كثير، والطبقات الكبرى لابن

سعد، والمجموعات المتنوعة في تاريخ الطبقات المختلفة، كتاريخ العلماء في الميادين المختلفة، والمجموعات المتنوعة الخاصة بتواريخ الأمصار، والفتوحات إلخ، ولا يمكن إغفال مصنفات السيرة النبوية المشرفة، وما صنف في إدارة الدولة في ذلك العصر، وما بعده.

ثانيا – مصنفات علم التحديث = (علم الحديث : الدراية):

ذلك أن علم الحديث النبوى الشريف في فروع الدراسة يعنى في جزء كبير من مفرداته بتوثيق الحديث، وطرق تحمله، وحفظه، وتدوينه، وفحص سنده، وتوثيق أحوال رواته، ومناهج مصنفاته، وتحليلها، ومناقشة أحواله ضبطا وتمريضا، ودراسة كتبه المختلفة.

وفي هذا الإطار تقف المجموعة التالية زاخرة بعدد هائل من مصطلحات التوثيق والحفظ يمكن أن تكون زادا رائعا في الطريق نحو صناعة معجم عربى لمصطلحية علم الوثائق والأرشيف: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع، للخطيب البغدادى، والكفاية في علم الرواية له أيضا، وتوجيه النظر إلى أصول الأثر، لطاهر بن صالح الجزائرى.

ويتفرع عن هذا النوع من المصادر اتجاه ظهر حديثا اعتنى في المقام الأول بما يمكن أن يسمى : مدخلا معاصرا لتوثيق السنة، وهو فرع نما وتطور وتنوعت مؤلفاته المعاصرة؛ لأسباب عديدة معرفية أكاديمية من جانب، وحركية ودعوية بسبب من تنامى ظاهرة الصحوة الإسلامية المعاصرة التي اشتبكت في بعض جوانبها بمزاعم المستشرقين حول صحة السنة وتوثيقها.

وفي هذا السياق ترد مجموعة ضخمة من المؤلفات المعاصرة التي تفرعت لخدمة هذا الباب العلمى زخر بعدد وافر من الألفاظ الدائرة في فلك خدمة الوثائق من مثل : المدخل على توثيق السنة للدكتور رفعت فوزى، وتدوين الحديث لمناظر أحسن الكيلانى والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامى للدكتور مصطفي السباعى، وحجية السنة، للدكتور عبد الغنى عبد الخالق، والسيدة عائشةو توثيقها للسنة، لجيهان رفعت فوزى، وغير ذلك كثير جدا.

ثالثا- مصنفات الرسائل من عصر النبى صلى الله عليه وسلم إلى ما بعد ذلك من العصور ، من مثل:

كتاب ابن طولون الدمشقى : إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين والمصباح المضئ في كتاب النبى لابن حديدة.

وقد تطورت هذه المصنفات مع الزمن، فظهرت مدونات مختلفة جامعة لأنواع الوثائق، وهو بعض ما ترى أمثلة له في صنيع الدكتور محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية في العصر النبوى وعصر الخلفاء الراشدين، وجمهرة خطب العرب ورسائلهم لزكى صفوت وغيرها.

كما ظهرت في العصر الحديث مدونات أخرى للتوقيعات، وهي بعض مما يمكن أن يندرج تحت مصطلح معروف في علم التوثيق هو (إحاطة) وهو المكتوب الذي يحوى أمرا أو طلبا؛ بغرض الإعلام به، وأجمع مدونة ظهرت حتى الآن هي : جمهرة توقيعات العرب، للدكتور محمد محمود الدروبى، والدكتور صلاح محمد جرار.

رابعا- مصنفات علم الكتابة والإنشاء عند العرب، وهي المصنفات التي ظهرت؛ كأثر من آثار خدمة إدارة الدولة، فيما عرف باسم دواوين الإنشاء، ترعى الكتابة وفنونها المختلفة، وأدواتها، وما يلزم العاملين في مجالها، ولعل أهم عمل موسوعى عرفته الثقافة العربية هو كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندى، ويأتى بعده في الأهمية كتاب نهاية الأدب للنزيرى، بما ضمه من أبواب تعنى بصناعة الكتابة والإنشاء والصناعات الدائرة في فلكها.

خامسا- مصنفات وظائف الدولة الإسلامية، وهو وجه تصنيفي عرف في الثقافة العربية اعتنى برصد أسماء الوظائف العربية التي عرفتها الدولة الإسلامية، من مثل معيد النعم ومبيد النقم، للسبكى، وسكردان السلطان لابن أبى حجلة التلمسانى، وتخريج الدلالات السمعية على ما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصناعات والعمالات الشرعية للخراعى التلمسانى، والتراتيب الإدارية للكتانى وغيرها .

سادسا- الأدبيات الكثيرة في عدد من العلوم المساعدة التي تعنى بعض بحوثها بعلم الوثائق من مثل : علم المخطوطات، ومصنفات المصادر اللغوية والأدبية والتاريخية إلخ ولاسيما في البحوث التمهيدية المتعلقة بقضايا تدوين التراث وحفظه، وعلم الخط، وفلسفة العلم عند المسلمين في البحوث الخاصة بمواد الكتابة، وصناعة الأحبار، والورق، وبعض بحوث علم الكيمياء المتعلقة بصياغة المواد الوثائقية، وبعض البحوث الخاصة بمقاومة الحشرات، ومقاومة آثار الرطوبة، وهو باب ضخم جدا يحتاج إلى صبر حقيقى، وإلى تضافر الجهود للقيام بعبء أدائه، واتساع الأفق لا يفوت شيئ ضار ببنية مصطلحات هذا العلم ولا سيما أن مصطلحات الوثائق منسربة في بنية علوم كثيرة جدا بما فيها الفقه في أبواب التوثيق.

(٢/١) المصادر المركزية لمصطلحات الوثائق في العربية.

لقد حاول هذا المقال أن يشير إلى أن التوافر على صناعة معجم عربى واسع لمصطلحات علم الوثائق؛ الذي عرفت الحضارة الإسلامية قدره منذ زمان طويل، وأسهمت في تطويره تاريخيا – يحتاج إلى فحص عدد ضخم من مصنفات عدد من العلوم المساعدة الدائرة في فلك هذا العلم فيما مر من فقرات.

ولكن الحق يقرر أن ثمة مصادر أخرى اقرب رحما بهذا العلم، ويقود فحصها على خدمة مصطلحية علم الوثائق بشكل ظاهر، وهي التي نسميها هنا المصادر المركزية، وهي كما يلي :

أولا- الدراسات المعاصرة في علم الوثائق نفسه

فعلى الرغم من حداثة هذا العلم في التاريخ المعاصر فإن عدد لا بأس به من الدراسات قامت للتعريف به، ولتأسيس مبادئه، وبيان مسائله.

صحيح أن هذه الدراسات المعاصرة عرفت بعضا من إسهام العرب والمسلمين في تقدم علم التوثيق لكنها معرفة كانت تأتى دائما على سبيل التمهيد، ولكن الجهد الأكبر كان متوافرا لبيان الإسهامات الغربية في الميدان، وهذه البحوث أو تلك لازمة على طريق صناعة معجم لمصطلحات الوثائق.

وفي هذا السياق ترد أسماء لها وزن في خدمة علم الوثائق في العربية المعاصرة من مثل الدكتور حسن على حسن الحلوة والدكتورة سلوى على ميلاد والدكتور قاسم السامرائى والدكتور زينب محمد محفوظ هنا والدكتور جمال إبراهيم الخولى والدكتور سالم الألوسيوالدكتور عبد اللطيف إبراهيم على والدكتور محمود عباس حمودة والدكتور توفيق إسكندر ومحمد ماهر حمادة وغيرهم. وقد جاءت مؤلفاتهم لتحمل عناوين تعرضت لقدر من التطور نحو التعريب الخالص وأشهرها متدرجة من الانحسار إلى الانتشار : الأرشيفستيقا، ثم علم الدبلوماتيك ثم علم الوثائق.

ثانيا- معاجم مصطلحات علم المكتبات:

ظهر علم الوثائق بما هو فرع من تخصص علم المكتبات، صحيح أن عددا من أقسام المكتبات في الجامعات العربية حرصت على إبراز تفرده عندما أظهرته ونصت عليه في عنواناتها لتظهر أقسام المكتبات والوثائق، وهو العطف الدال على التمايز والاستقلال من جهة من دون أن ينفي هذا العطف المقصود بطبيعة الحال التداخل العلمى والفنى بين التخصصين اللذين يجمعها رحم واحدة.

وقد عرفت المكتبة العربية عددا طيبا من معاجم مصطلحات علم المكتبات هي من لوازم العناية بمصطلحات علم الوثائق، من مثل : معجم المصطلحات المكتبية للدكتور محمد أمين البنهاوى (١٩٧٠م) ومعجم علوم المكتبات والمعلومات للدكتور ياسر عبد المعطى والدكتورة تريسالشر (٢٠٠٣م)

وفي هذا السياق لا يصح إلا جمع كل المحاولات المعجمية المبكرة من عمر خدمة هذا العلم في العصر الحديث؛ بمعنى أنه يلزم جمع ما صنع من قوائم لمصطلحات هذا العلم من مثل قائمة المصطلحات المكتبية التي صنعها أمثال : يوسف أسعد داغر وفوزى راجى أبى حيدر وفضلو رزق (١٩٦١م) ثم شعبان عبد العزيز خليفة (١٩٦٦م/١٩٦٧م) وكذلك ما نقل عن اللغات الأجنبية من مثل ما صنعه محمد أحمد حسين والدكتور أحمد كابش والدكتور محمود الشنيطى (١٩٦٥م)، إلى غير ذلك.

ثالثا- معاجم المصطلحات متعددة العلوم عند العرب :

ومما هو معروف أن الثقافة العربية عرفت تراثا ظاهرا جمع مصطلحات العلوم المختلفة التي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية، وقد ضمت عددا ضخما من مصطلحات التوثيق؛ بطبيعة التداخل المعرفي الذي يربط علم الوثائق بعدد كبير من العلوم، وهو ما ظهر في توزع عدد كبير من مصطلحات هذا العلم على قوائم مصطلحات هذه العلوم المتداخلة معه.

وقد عرف التصنيف المعجمى المختص في العربية قائمة طويلة جمعت مصطلحات العلوم المختلفة من مثل : مفاتيح العلوم للخوارزمى، والتعريفات للجرجانى، والتعريفات والاصطلاحات، لابن كمال باشا، ومقاليد العلوم في الحدود والرسوم المنسوب للسيوطى، والكليات للكفوى، وكشاف اصطلاحات العلوم، للتهانوى وغيرها.

رابعا- معاجم مصطلحات علوم مصطلح الحديث :

وهو ما ثبت لنا سلفا أن علم مصطلح الحديث من أهم العلوم الإسلامية التي اعتنت بعدد ضخم من بحوث علم التوثيق.

والمكتبة العربية زاخرة بعدد كبير من معاجم المصطلحات الحديثية قديما وحديثا؛ من مثل: معجم مصطلحات الحديث النبوى لمجمع اللغة العربية بالقاهرة وقد سبق لنا أن عالجنا أمر هذه المعاجم في عدد سابق من أعداد مجلة الوعى الإسلامى.

خامسا- معاجم مصطلحات الفقه الإسلامى :

عرف الفقه الإسلامى؛ بما هو مهم برعاية أحوال الإنسان في شمول منحدر من شمول الشريعة – أبواب – تعنى بالتوثيق من مثل أبواب البيوع والعقود والمكاتبة إلخ، وهو ما دار في فلكها عدد من مصطلحات الوثائق.

وللدكتور خالد فهمى كتاب جمع فيه معاجم مصطلحات الفقه، ودرسها وصنفها.

سادسا- معاجم مصطلحات علم المخطوط

وإذا كان علم المخطوط يتداخل مع علم الوثائق تداخلا ظاهرا فإن ثمة عناية واضحة بعدد من مصطلحات الوثائق وردت بما هي جزء أصيل في بنية مصطلحية علم المخطوط عند العرب، وهو ما يحتم أن تكون معاجم مصطلحات علم المخطوط من المصادر المركزية لمصطلحات علم الوثائق، وفي التاريخ المعاصر ظهر بعض هذه المعاجم من مثل : معجم شوقى بنين، وآدم جاسيك وغيرهما. ولنا مقال سابق عنها في مجلة الوعى الإسلامى.

(٢) الإسهام المعاصر في معجمية مصطلحات علم الوثائق والأرشيف في العربية.

لقد ظهرت ملامح للعناية بمصطلحات التوثيق في العربية المعاصرة جاء بعضها مترجما لنصوص معجمية أجنبية، وجاء بعضها الآخر عربى الوضع ابتداء؛ لم يخف أنه أفاد من المعاجم الغربية، ولكنه قرر أنه لم يهمل المنجز العربي في هذا الميدان ولا سيما في منظوره التراثى العريق وفيما يلي بيان لمحاولتين معاصرتين في مجال معجمية مصطلحات علم الوثائق :

١ - قاموس الوثائق والأرشيف، للدكتور سلوى على ميلاد (دار الشروق،جدة الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م) وهو معجم ثلاثى اللغة؛ أي أن المدخل المصطلح جاء بالعربية ثم شرح، وعرف بالعربية مع ذكر المكافئ الترجمى بالإنجليزية والفرنسية؛ أي أنه معجم عربى / إنجليزى / فرنسى.

وقد ضم ستة وثلاثين ومئتين (٢٣٦) مصطلحا توزعت على خدمة مسائل علم الوثائق المختلفة من الحفظ والصيانة والترميم والحفظ والتحليل إلخ.

وقد أحسنت صانعة المعجم عندما رتبت مداخل المعجم على رعاية المصطلح في صورته النهائية المستعملة في بنية العلم في الصورة المعاصرة، من دون مراعاة لمبدأ التجذير (أو الرد إلى الجذور) وهو ترتيب ينطلق من منظور معتبر في المعجمية المعاصرة يعرف بمنظور التيسير على المستعمل.

وهو مبدأ محمود من وجهة النظر الإسلامية التي ترعى أصولها العامة المستقرة فكرة التيسير على الخلق.

ومع التقدير الواجب لهذه المحاولة فإن ثمة قصورا يتمثل في إخلال هذه المعجم بعدد من مصطلحات علم الوثائق والأرشيف من مثل : (إبادة الحشرات / والتبخير / وتأطير /و ترميم)، وغير ذلك كثير. ولكن إذا نظر إليه في ضوء أن هذا المعجم هو من المحاولات المبكرة أمكن الاعتذار له بهذا.

٢- معجم المصطلحات الأرشيفية، لبيتر فالن، ترجمه وفهرس له غسان منير سنو (الدار العربية للعلوم، بيروت سنة ١٩٩٠م) وكان صدرت طبعته الأولى كما يظهر من مقدمته الإنجليزية سنة ١٩٨٤م ثم طبع ثانية سنة ١٩٨٨م)

وهو معجم متعدد اللغات؛ صحيح أنه يقدم المداخل والشروح أساسا بثلاث لغات هي الإنجليزية والفرنسية والعربية على الولاء والترتيب؛ ولكن يقدم مكافئات ترجمية للمصطلحات أو المداخل باللغات الهولندية والألمانية والإيطالية والروسية والإسبانية؛ مما دفعنا إلى تصنيفه معجما متعدد اللغات Multi Dic.

وقد احتفظت هذه الطبعة العربية بالترتيب الأصلي، أي بترتيب المداخل أو المصطلحات وفق الترتيب الالفبائى للإنجليزية والفرنسية، ولولا كشاف المصطلحات العربية الذي صنعه غسان منير سنو ص ٢٦١-٢٧٨ لشق على المستعملين العرب الإفادة منه.

وقد ضم ستة وثمانين وأربعمئة مدخلا أو مصطلحات، وهو ما يعكس التطور الذي حققته المصطلحية الوثائقية في الغرب مقارنة بما في العربية المعاصرة.

والتوجه الآن لصناعة معجم حديث يجمع مصطلحية هذا العلم سيضمن مضاعفة عدد هذه المداخل؛ لاعتبارات كثيرة حققت تطور علم الوثائق والأرشيف، مما انعكس بالضرورة على بنية جهازه الاصطلاحى.

(٣) وظائف مصطلحات علم الوثائق.

يحكم البحث المعجمى والمصطلحى في فروعه المختلفة تأريخا ونقد وتصنيفا الدوران في فلك الوظيفة؛ بمعنى أن معيار الوظيفة المنوط بالأعمال المعجمية القيام بها حاكم في أشكال العناية بالصناعة المعجمية العامة والمختصة.

والعناية القديمة والحديثة المتنامية بمصطلحية علم الوثائق تحقق عددا بارزا من الوظائف؛ يمكن إجمال أهمها فيما يلي :

أولا- الوظيفة اللسانية:

والمقصود بهذه الوظيفة انعكاس تطور المصطلح الوثائقى على تنمية بنية اللسان العربي في مناطق متنوعة، والحق أن تنامى العناية بمصطلحية علم الوثائق والأرشيف قائد إلى إفادة العربية من زوايا مختلفة منها :

١- تنمية الثروة اللفظية، وتحقيق الغنى على مستوى الذخيرة اللغوية، مما يزيد ثراء المعجم العربي المختص مع مرور الزمن.

٢- البرهنة على مرونة النظام اللغوى العربي ولا سيما في قدرتها على توليد ألفاظ جديدة للدلالة على مفاهيم مستحدثة من جانب، ولقدرتها على استيعاب عدد من الألفاظ الأجنبية بعد تطويعها لنظام أبنتيها الصرفية.

٣-خدمة مشروع المعجم التاريخى للعربية، وذلك بملاحظة ميلاد الألفاظ الوثائقية، والتاريخ لهذا الميلاد مع مرور الزمن، وبملاحظة موت بعض آخر من هذه الألفاظ؛ نظرا لتطور العلم في غير فرع من فروع علم الوثائق.

٤-الإسهام في تطوير دراسات تطور الأساليب اللغوية والتراكيب.

ثانيا- الوظيفة المعرفية والتعليمية

والمقصود بهذه الوظيفة ما تقدمه المصطلحات الوثائقية من خدمات لتقريب مسائل العلم، وتيسيرها، وتداول مفاهيمها، ويظهر في هذا السياق أن صناعة بعض المصطلحات العربية لعلم الوثائق ولاسيما تلك المنقولة عن المنجز الغربى تعين على

توطين المعرفة الوثائقية في الثقافة العربية المعاصرة؛ سعيا إلى تطوير النظرية التوثيقية العربية الممتدة الجذور تراثيا.

هذا بالإضافة إلى ما تحققه العناية بمصطلحات هذا العلم من الارتقاء بعملية تعليم علم الوثائق.

ثالثا- الوظيفة التاريخية والحضارية

إن المستقر في النظر إلى الوثائق بما هي مادة تمثل أصلا في كثير جدا من العلوم المختلفة يقود إلى الإقرار بأن العناية بخدمة الجهاز الاصطلاحى لعلم الوثائق تحقق خدمات جليلة للدراسة التاريخية والحضارية والاجتماعية، وتطور الإنسان خلال التاريخ، كما تعين على تطوير عدد كبير من الدراسات اللغوية، والدراسات القانونية في جوانب متعددة متعلقة بلغة الوثائق، وتراكيبها، وصحتها، ومادتها، وخطوطها، والمواد التي كتبت بها إلخ.

وهو الأمر الذي يقود إلى نهضة وظيفة الوعى بحياة الإنسان وترقيه في سلم الحضارة، وتحقيق الإعمار.

رابعا- الوظيفة الدينية

ذلك أن علم الوثائق بجهازه الاصطلاحى يمكن أن يعين على تطوير بعض بحوث دراسات المتن الخاصة بالحديث النبوى في باب الوضع والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآثار الصحابة رضى الله عنهم، وفحص الفتاوى التي وردت عن الأئمة، ولاسيما فيما يحوم حوله الشك في أصالة نسبته من عدمها.

كما تعكس عملية نقل عدد من مصطلحات علم الوثائق من الثقافات الأجنبية الروح الإسلامية المستقرة في الأمة من أن الحكمة ضالة المؤمن آني وجدها فهو أحق الناس بها.

(٤) المصطلح الوثائقى بما هو وسيلة لقياس الإسهام العربي والإسلامي.

من الدراسات المهمة المتصلة بعلم المصطلح دراسة أنماط العرب والمسلمين في بناء صرح هذا العلم القديم الجديد؛ وذلك بفحص المصطلحات الوثائقية من جهة تأصيل

لغتها، وظهورها، وهو الأمر الذي يقود إلى الإقرار بأن ثمة ظهورا بارزا للمنجز الغربى يظهر من خلف المصطلحات الوثائقية التي دخلت إلى بنية اللسان العربي ببنيتها الصوتية الأجنبية بعد إجراء بعض التعديلات عليها، وهو ما يمكن أن نسميه التعريب بالنقل الصوتى للكلمة الوارد في لغتها وهو ما يظهر في :

المصطلح	في قاموس سلوى ميلاد	في معجم بتير قالن
الأرشيف	ص٩ م٨	ص٢٦ م٣٦
بارو (طريقة إصلاح) للوثيقة	ص١٦ م٣٢	ص٣٠،٦٢ م١١٦
دوسيه (ملف)	ص٢٨ م٧٩	ص٨٤ م١٦٩
الكلاسير (حافظة)	ص٤٦ م١٦٣	-

ولكن الحق قاض بأن نقرر أن الحضارة العربية الإسلامية أسهمت في إقامة صرح علم الوثائق في صورته المعاصرة، وهو ما يمكن ملاحظته من خلال عدد غير قليل من المصطلحات التي استقرت في الجهاز الاصطلاحى لهذا العلم، وجاءته من أصول عربية، وهو ما يظهر في :

* **الإضبارة** : وهو مصطلح دال على طريقة من طرق الحفظ بالأربطة.

* **الدفتر** : سجل الأراضي، وقد دخلت إلى العلم من العربية،وإن لم تكن عربية الأصل.

* **الفهرس** : قائمة مرتبة، وهي من الفارسية لكن دخلت إلى العلم من العربية.

وهو الأمر الذي يمكن رصده أيضا من خلال التأريخ لظهور العمليات التوثيقية المختلفة.

إن قراءة ملامح الوعى الذي أحرزه العرب المسلمون وبخاصة في فترات مدهم الحضارى دالة على عظمة ما قدموه لحركة العلم في ميدان الوثائق والأرشيف، ولم يكن

ذلك الجهد الذي بذلوه بمعزل عن الدين العظيم الذي حرر عقولهم ونهض بحياتهم؛ ذلك أن الدين قام على أصل جامع حاكم تشريعيا على الأقل يرعى التوثيق، ويدعو إليه، بنصوص ثابتة تدعو إلى الحفظ، وإلى التدوين، وهي نصوص محكمة ومتواترة كما يظهر من قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾ وبقوله : ﴿ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ (سورة البقرة ٢/٢٨٢) وفي هذا الأجزاء من الآية الكريمة حشد من مصطلحات الوثائق هي :

الكتابة / الأجل / الكاتب / الشهيد = الشاهد، مما يصح معه أن نقرر أن القرآن الكريم وتفاسيره المختلفة أحد أهم مصادر علم الوثائق عند العرب وهو كاف أن ينهض بهذا العلم في المجال العربي، لو أحسن استثماره.

وهو ما يؤكد أن آية عملية للنهضة أيا ما كان مجالها أو ميدانها يجب عليها أن تنطلق دائرة حول الكتاب العزيز، بما هو محور الوجود الحضارى والعلمى والثقافي لهذه الأمة.

وهي الحقيقة التي نهضت بسلف الأمة عندما استوعبها، ووعاها وآمن بجدواها.



الفصل الثاني
في معجمية الحضارة (التطبيقات)

أولا
معاجم ألفاظ الحضارة في العربية المعاصرة
مناهجها، ووظائفها، وقيمتها

(مدخل)

يوشك لفظ الحضارة أن يكون وصفًا جامعًا للمنجز الإنسانى على الأرض، وهو لفظ يختزن دلالات الترقى والتقدم والإعجازواغتيال التوحش ويعني التربية وما يدور في فلكها من معاني التهذيب.

ومن ثم فإن ادعاء أن العربية تملك رصيدًا وافرًا من ألفاظ الحضارة يلزمه مقدمة صادقة أن العربيةشاهدة على حضارة عريقة أنتجها أصحابها على امتداد التاريخ، ولا شك أن الإسلام العظيم كان المفجِّر الأول لصناعة هذه الحضارة في ميادين الحياة المختلفة والمتنوعة بما أنتجه الصانع العربي المسلم، وأنجزته معارف هذا العربي المسلم.

صحيح أن العرب منذ أن دانوا لله تعالى بالإسلام، وتابعوا رسول الإسلام محمدًا صلى الله عليه وسلم قدّموا للإنسانية نتاجًا وافرًا من المستحدثات والأدوات، والآلات، والإبداعات، والفنون، وهو ما نجد أسماءه وافره مبثوثة في المعجمات التي صنعها المعجميون العرب على امتداد هذا التاريخ المعجمى العريق، ولاسيما ما كان من هذه الألفاظ في ما يعرف بمعجمات الموضوعات والمعانى.

ولكن العناية المعاصرة بألفاظ الحضارة في الثقافة العربية، سواء كانت بجهد فردى أو جماعى – كانت لإثبات قدرة اللغة العربية على استيعاب منجز العصر، ومستحدثاته،

ومخترعات الأمم المتقدمة، مما يقطع الطريق على كل الذين يحاربون التمكين للعربيةوهو ما نلمسهواضحا في تقديم بدر الدين أبى غازى مقرر لجنتى ألفاظ الحضارة، والفنون بين يدى (معجم ألفاظ الحضارة والفنون، طبعة الممجع اللغوى، بالقاهرة سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ص:هـ) عندما قرر أن للغة قدرة ظاهرة على استيعاب مستحدثات العصر، وهو ما يبرهن على إمكان تطويع اللغة لمواجهة كل مستحدثات الحضارة الحديثة"

وهي غاية نبيلة تسهم في مقارنة بقايا الفكر الاستعمارى الذي طالما دأب على تأخير رتبة اللسان القومى بين أبناء الوطن في خطر مناطق استعمالها في أروقة العلم، وأجهزة إدارة الدولة.

وهذا المقال يفتح هذا الملف ليعين على فهم واحد من أصول هويتنا في مرحلة دقيقة من عمر الدولة المصرية، وحياتها، وهي تستقبل مرحلة جديدة وخطيرة تستلزم التنبه إلى لسانها القومى، وأهمية العناية به، وتذليل العقبات في سبيل سيادته في العلم والإعلام والثقافة والحياة جميعًا.

(١) العربية وألفاظ الحضارة: تاريخ عريق وتراث ممتد.

إن فحص تراث العربية في مجال الدرس اللغوى تنظيرًا وتطبيقًا يجد تنبها مبكرًا إلى أثر الإسلام العظيم في ترقى اللسان العربي في مجال الثروة اللفظية بما فتح هذا الدين العظيم من ميادين الحضارة علمًا وصناعة وفنا لدرجة أن بعضًا من أصحاب المعاجم العربية تنبهوا إلى هذا التأثير الإيجابى، يقول الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩هـ في كتابه (فقه اللغة وسر العربية) (٢/ ٥٢٤ – ٥٢٥ طبعة مكتبة الخانجى، بالقاهرة بتحقيق الدكتور خالد فهمى سنة ١٩٩٨م) : "فصل... في أسماء عربية يتعذر وجود فارسية أكثرها"، وعدد منها ألفاظ: " الزكاة" و"الحج" و"المحراب" و"المنارة" وغيرها.

وهي كما نرى موزعة على مفاهيم جديدة أحدثها الإسلام في جملة ما أوجده من التشريعات، وموزعة على ما أنجزه الإنسان المسلم من حضارة بفعل ما فجره الإسلام في النفوس التي آمنت، وترجمته في صورة منجز حضارى؛ في العمارة وغيرها.

وهذا الارتباط بين ثورة الحضارة المدونة بالعربية وبين الإسلام أمر مستقر في النظر العلمى شرقًا وغربًا، وهو مازال مستمرًا إلى اليوم، يقول آدم جيسك في مقدمة كتابه (تقاليد المخطوط العربي، النسخة العربية، طبعة معهد المخطوطات العربية، بالقاهرة سنة ٢٠٠٨م (١٥/١): "الحضارة العربية الإسلامية حضارة كتاب، والكتاب فيها ذو قداسة خاصة، اكتسبها من الدين الإسلامى ذاته، وتحديدًا كتاب هذا الدين (القرآن الكريم) الذي لا ينافسه أي كتاب آخر لدى العرب والمسلمين.

"هذه المكانة العالية التي تشغلها الكتاب حفزت المجهود على إنتاجه مبكرًا حتى ليمكن القول إنه وهذه الحضارة قرينان بدآ معًا، فما كان القرن الهجرى الأول (السابع الميلادى) ينتصف حتى جرى القلم بالمعرفة، ورأينا صحائف وكتبا تتوالى".

على أن ما يهمنا التنبيه عليه أن هذا التراكمات المعرفية المدونة في صورة مادية، هي الكتب يعنى في أيسر صورها، وأوضحها،وأصرحها سرعة هذه اللغة، ونشاطها، وقدرتها الظاهرة على تلبية احتياجات الهجوم الحضارى الذي صنعه الدين العظيم من أسماء، ومفردات للتعبير عن هذه المنجزات الحضارية.

وإذا كان تاريخ المعجمية العربية العامة مووصفا بالازدهار والعراقة، بسبب من تقدّمها الزمنى، وبسبب من تنوع مناهجها – فإن الحكم نفسه صالح لكى يطلق على تاريخ المعجمية العربية المختصة.

وهو ما يعنى أن العربية استطاعت أن تلبى مسرعة حاجات الوضع الحضارى الذي أوجده وضع الأمة العربية الجديد في ظلال القرآن الكريم، ذلك أنه منذ القرن الرابع الهجرى بدأ تنامى ظهور معجمات لغوية مختصة اعتنت بجمع الألفاظ الحضارية الدالة على المستحدثات المعرفية والتطبيقية معًا.

وقد اتخذت هذه العناية بألفاظ الحضارة الصور الثلاثة التالية:

أ – فصول وأبواب كاملة في المعجمات الموضوعية.

ب – فصول وأبواب كاملة في المعجمات الاصطلاحية المتعددة العلوم (معاجم المصطلحيات).

جـ- معجمات كاملة أرادت لمعالجة طوائف من الألفاظ الحضارية، بحيث استقلت معجمات خاصة الألفاظ فن بعينه.

(٢) ملامح العناية بألفاظ الحضارة في تاريخ المعجمية العربية قديمًا.

وإذا كانت الحضارة في واحد من أشهر تعاريفها هي : كل مظاهر الرقى العلمى والفنى والأدبى، فإن الحضارة العربية الإسلامية التي ازدهرت وعبر اللسان العربي عن هذا الازدهار في نطاقها الزمنى القديم وجدت كما سبق أن قلنا معجمات رصدت ألفاظ هذه المظاهر الحضارية.

وفيما يلي محاولة لرصد بعض علامات هذه العناية بألفاظ الحضارة:

أولاً: في المعجمات الموضوعية:

عرف تاريخ المعجمية العربية نمطًا من المعجمات جمع الألفاظ وصنفها تحت موضوعات يجمع بينها رابط دلالى معين.

وقد كان هذا النمط أسبق من غيره من معجمات الألفاظ المرتبة صوتيًا أو ألفبائيًا أو وفق الأبنية في تاريخ التصنيف المعجمى عند العرب.

وفي معجم الغريب المصنف لأبى عبيد القاسم بن سلام الهروى المتوفى سنة ٢٢٤هـ أبواب كاملة تُظهر ما توصل إليه العرب، واستقر في نطاقهم الجغرافي الممتد من مظاهر الحضارة من مثل:

أ- كتاب اللباس، ويضم ستة عشر بابًا تحتوى أسماء الملابس وأنواعها، وطرق نسجها، ومعالجتها إلخ.

ب- كتاب الأطعمة، ويضم سبعة وعشرين بابًا تحتوى أسماء أنواع الطعام، وكيفيات طبخها، ومعالجتها إلخ. وربما أمكن أن نلحق به بابا أورد فيه المعجم أسماء الخمور والأشربة.

ج- كتاب الدور والأرضين، وفيه أسماء الأبنية والمراكب التي هي المواصلات بلغة العصر الحديث وغير ذلك.

د- كتاب السلاح بأنواعه المختلفة.

وهذه الكتب أو الأقسام بما تحتويه داخلها من ألفاظ كثيرة موزعة على أبواب أو فصول صغرى متكررة في كثير من معجمات الموضوعات التي تلت معجم الغريب المصنف من مثل: مبادىء اللغة، للخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢١هـ، وفقه اللغة وسر العربية للثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩هـ والمخصص، لابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨هـ.

وإذا كان هذا المعجم الموضوعى الأخير (المخصص) هو أوسع معجمات الموضوعات مادة بإطلاق، فإن فقه اللغة وسر العربية للثعالبى يعد أصرح المعجمات الموضوعية عناية بألفاظ الحضارة في العربية.

وفيما يلي بيان علامات ذلك:

جمع الثعالبى في أكثر من باب ما يشعر بوعيه بطبيعة ما بين حقول ألفاظ الحضارة ولا سيما المادية من تقارب، فقد جمع ألفاظ اللباس وما يتصل به، والسلاح وما ينضاف إليه، وسائر الأدوات وما يأخذ مأخذها في حيز واحد هو الباب الثالث والعشرون (٢/٤٠٨ – ٤٤٩من طبعة مكتبة الخانجى سنة ١٩٩٨م بتحقيقى) ويلمس قارىء هذا الباب بفصوله المختلفة ما أنجزته الحضارة العربية من مظاهر الترقي في وسائل العيش المتنوعةٍ مما يتوزع على مجالات الملابس وما يدور في فلكها من أثاث وفرش وحلى وزينة، وعلى مجالات السلاح بأنواعه والأوعية وغيرها من أدوات.

ثم يفرد الثعالبى في الباب الرابع والعشرين للأطعمة والأشربة (٢/٤٥٠ – ٤٦٥).

وقراءة الثعالبى وفحصه تقدّم خدمة جليلة لتحليل الوضع الحضارى الذي وصلت إليه الأمة العربية بعد انفتاحها المنظم على العالم حولها بفضل فتوحات الإسلام، ذلك أنه يمكن مقارنة مظاهر التحضر مثلا في أبواب الأطعة والملابس والزينة والأدوات والأوانى والعطور وغير ذلك التي ابتكرها العرب وتلك التي نقلوها عن غيرهم من الأمم المجاورة، ووضعت لها العربية أسماء وألفاظا بما كان قبل مجيئ الإسلام العظيم.

ففي الفصل الرابع من الباب التاسع والعشرين (٢/٥٢٦ – ٥٣٠) يرصد الثعالبى الألًفاظ الحضارية التي عرفها الفرس ونقلها العرب بعد أن وضعوا لها تسميات بلسانها.

وقد توزعت هذه الألفاظ الحضارية على القوائم التالية:

أ- ألفاظ الأوأي: (الكوز/ الإبريق/ والطست/ والخوان/ والطبق/ والسُّكرّجة).

ب- ألفاظ الملابس: (السّمور/ والسنجاب/ والقاقمُّ/ والديباج/ والسندس).

ج- ألفاظ الجواهر: (الياقوت/ والفَيروزج/ والبلور).

د- ألفاظ المخبوزات: (السميذ/ والدرمك/ والجردق/ والكعك).

ه- ألفاظ الطبيخ: (السكباح/ والدوغباج/ والنارناج).

و- ألفاظ الحلاوات: (الفالوذج/ والجوزينج/ واللوزينج).

ز- ألفاظ الأشربة و(العصائر): (الجلاب/ والسكنجين/ والجلنجين).

ح- ألفاظ الأفاويه (التوابل): (الفلفل/ والكرويا/ والزنجبيل).

ط- ألفاظ الرياحين والزهور: (النرجس/ والمرزنجوش/ والياسمين/ والمسك/ والعنبر/ والكافور/ والصندل).

وقد قصدت قصدًا إلى ما يمكن أن يعد تطِويلاً لأقرر أن العربية في تراثها المعجمى اعتنت بجمع ألفاظ مظاهر الحضارة في هذه العصور القديمة، وقد توقفت أمام مظاهر الحضارة التطبيقية المادية في تجليات ما يستعمله الإنسان على طريق تحقيق جودة الحياة في ميادينها المادية المختلفة، وهو ما ظهر في معجمات ألفاظ الحضارة الحديثة التي رٍأت أن مجاليها الكبرى، وانعكاساتها الظاهرة إنما تكمن في (الثياب وما يتعلق بها/ والمنزل والأدوات المنزلية/ والفنون التشكيلية والسينما) إلخ على ما فعله معجم ألفاظ الحضارة الحديثة للمجمع اللغوى بالقاهرة.

ثانيا: في معاجم المصطلحات

فيما مر ظهرت عناية أصحاب المعاجم الموضوعية بقطاع عريض من ألفاظ مظاهر الحضارة في تجلياتها التطبيقية والصناعية التي عرفها العرب، وجودوا بها مناطق حياتهم، واستوعبتها العربية، وعبرت عنها منذ ترقى العرب وتحضرهم قديمًا.

وفي الوقت نفسه أظهرت العربية قدرة فائقة في التعبير عن مظاهر الترقى الفنى والأدبى والعلمى، واستوعبت المفاهيم الجديدة، ووضعت لها ألفاظًا جديدة مستعملة طرقًا متنوعة.

وقد تجلت هذه القدرة اللغوية للعربية فيما حفظه لنا الزمان من قوائم مطوّلة لأفاظ مظاهر الترقى الحضارى في ميادين العلوم والآداب والفنون، وهو ما ظهر في قطاع عريض من الأعمال المعجمية التي كان شغلها الشاغل جمع هذه الألفاظ أو المصطلحات، وتعريفها.

وفي المعاجم التي جمعت مصطلحات العلوم والفنون والآداب تميزت طائفة منها بترتيب ألفاظ العلوم هذه مجاليًا، بمعنى أن عددًا من هذه المعجمات جمع كل مجموعة من ألفاظ مجال بعينه، أو علم بعينه في حيز خاص.

ومن أشهر هذه المعجمات التي صنعت هذا (مفاتيح العلوم، للخوارزمى الكاتب المتوفى سنة ١٨٧هـ)و(مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، المنسوب للسيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ).

وفحص منهجية مفاتيح العلوم دالة على وعى مبكر جدًا بدوائر المعرفة التي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية، ذلك أنه قسم معجمه على قسمين هما:

أ – قسم جمع ألفاظ الشريعة والعلوم العربية، وقد ضم الفقه وعلم الكلام والنحو والعروض والشعر والأخبار أ، التاريخ.

ب – قسم جمع علوم العجم أو الحكمة أو العملية،وقد ضم الفلسفة والطب والمنطق والهندسة والموسيقاوالحيل أو الميكانيكا والكيمياء.

وفي القسم الثاني تعيينا دليل قاطع على قدرة العربية على استيعاب المجز الحضاري الوافد من الغرب بمظاهره المختلفة علميا وفنيا.

والأمر نفسه ظاهر في قائمة فصول معجم (مقاليد العلوم) التي جمعت قوائم الألفاظ موزعة على واحد وعشرين علما.

ثالثا – في معجمات مختصة مستقلة.

ومن جهة أخرى عرفت المعجمية العربية قطاعات كثيرة متنوعة استقل كل قطاع بجمع ألفاظ كل علم على حدة في شكل من أشكال تطوير العمل المعجمي دال على ازدهار المنجز الحضاري للأمة العربية المسلمة.

لقد عرفت المعجمبة العربية المختصة معجمات لألفاظ الآداب والفنون والعلوم المختلفةمما يغطي مساحات شاسعة لمظاهر الترقيالعربي الإسلامي.

وثمة دراسات كاملة وقفت أمام عدد من قطاعات هذا العمل المعجمي من مثل الدراسات التي قامت لدرس معاجم الطب والصيدلة ومعاجم ألفاظ الفقه وأصول الفقه والتصوف وغيرها.

والتوقف أمام هذه الملامح الثلاثة السابقة يوضح لنا أن العربية والتاريخ الممتد من مجيئ الإسلام إلي ما قبل العصر الحديث لم تعجز عن التعبير عما جدٌ من مستحدثات حضارية في المظاهر المتمدنة جميعا سواء في تلك التي ابتكرها العقل العربي المسلم أو تلك التي نقلتها الحضارة العربية من غيرها من الحضارات من خلال الترجمات المختلفة عن اللغات.

وقد عكست هذه الملامح الثلاثة السابقة أن الروح العربية طامحة إلي تجديد الحياة وتجويدها وتطوير سبل العيش وتنمية سلوك الحياة المادية في البيت والمجتمع وفي الطعام والشراب والملابس وفي الزينات وفي مواجهة المخاطر وفي مواجهة العدو وفي سبل المتعة والترفيه.

وهو وجه مهم يعكس طبيعة الفكرة الإسلامية المتوازنة التي تلبي مطالب الجسد جميعا وتلبي رغبات الروح أيضا.

وهو وجه مهم أيضا يعكس طبيعة هذه الفكرة الإسلامية المنفتحة علي الحياة الحريصة علي تجويدها وتحسينها وتيسيرها وهو الوجه الذي حاولت طوائف كثيرة في مراحل التراجع الحضاري أن تطمس ملامحه التي كشفت ملامح العناية بألفاظ الحضارة في المعجمية التراثية ووضاءتها وبريقها الذي كان ساطعا.

(٣) امتداد العناية بألفاظ الحضارة في العربية في العصر الحديث.

ارتبطت النهضة الحديثة في البلدان العربية بإعادة إحياء اللسان وهو ما بدا طبيعيا من كل حركات التحرر الوطني التي أدركت في المشرق والمغرب العربيين جميعا أن استعادة الذات العربية لوهجها الحضاري الذي كان انطمس بفضل عوامل كثيرة منها الاستعمار الغربي الذي كان من آلياته إضعاف اللغة الوطنية واغتيال قدراتها العلمية وتعيينها.

ومن عجب أن تري مناقشة وإسهاما لعدد من القضايا المتعلقة باللغة العربية في تراث رواد حركات التحرر الوطني في عموم الوطن العربي تري ذلك في الإنتاج الفكري للأفغاني ومحمد عبده ومحب الدين الخطيب وحسن البنا والعقاد وتراه في الإنتاج الفكري للبشير الإبراهيمي ولابن عاشور ولعبد الله كنون ولمالك بن بني ولغيرهم من أعلام المجاهدين المعاصرين.

وقد واكب ذلك وبرهن عليه تنامي العناية بخدمة ألفاظ الحضارة الحديثة وسوف تقف هذه الورقة أمام ملامح هذه العناية المعاصرة مركزة القول علي شريحة من ألفاظ الحضارة الحديثة في العربية وهي تلك المتعلقة بالمجالات التطبيقية أو العملية في ميادين العلم والفن.

وسوف تختار الورقة عددا من المعجمات المعاصرة التي تفرغت لجمع لألفاظ الحضارة الحديثة في اللسان العربي مراعية جهود الأفراد وجهد المؤسسات العلمبة المعنية بخدمة ترقية اللغة العربية في الشرق والغرب العربيين جميعا٠

وفيما يلي رصد لهذه المحاولات المختارة مرتبة زمنيا:

أولا: عمل المؤسسات اللغوية في المشرق العربي:

أ- معجم الفاظ الحضارة الحديثة ومصطلحات الفنون لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

ب- معجم الموسيقا لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م.

ج- معجم التربية الرياضية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م ٠

ثانيا : عمل المؤسسات اللغويه في المغرب العربي

أ- معجم الطحانة والخبازة والفرانة للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ومصلحة التعريب التابعة لمكتب التسويق والتصدير بالدار البيضاء.

ثالثا: عمل الأفراد :

ا- معجم الآلة والأداة وما تتبعها من الملابس والمرافق والهنات لمعروف الرصافي بغداد ١٩٨٠م٠

ب- المعجم العربي لأسماء الملابس للدكتور رجب عبد الجواد ابراهيم دار الافاق العربيه بالقاهره ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م ٠

وهذه القائمة النوعية من معجمات ألفاظ الحضارة الحديثة في اللغة العربة، مجرد عينة أريد من وراء اختيارها الدلالة على تنوع العناية بهذه الطائفة من الألفاظ العربية الدائرة في حقول الحضارة الحديثة، والدلالة على استغراق هذه العناية لجغرافيا الوطن العربي شرقًا وغربًا، والدلالة على شمولها لجهاد الأفراد والمؤسسات معًا.

وتمثل هذه القائمة دليلاً عمليا جديدًا على نجاح اللغة العربية في اختبار قبول التحديث، وهو النجاح المسبوق بنجاحات قديمة موثقة تاريخيًا، مسبوق بنجاح مبهر آخر لهذه اللغة فيما نقلته وترجمته من علوم وفنون وآداب وافدة من اللغات الإغريقية والسريانية والفارسية في القرون الهجرية الأولى.

ومن المهم جدًا أن نقرر أن العمل في مجال خدمة ألفاظ الحضارة الحديثة معجميًا ولغويًا ينمو ويتطور مع الأيام، وهو ما يمكن التدليل عليه بعمل مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي أصدر سنة ١٩٨٠م معجمه لأفاظ الحضارة الحديثة ومصطلحات الفنون جامعًا بين دفتيه مجموعة من الألفاظ الموزعة على الحقول الحضارية التالية : الثياب وما يتعلق بها، المأكولات، المنزل والأدوات المنزلية/، والأماكن وما يتعلق بها، والمكتب وأدواته، والمركبات وما يتعلق بها، والحرف والصناعات والمواد المستعملة فيها، والتربية الرياضية وألفاظ من التصوير والنحت، والرسم، والخزف إلخ.

وأحد أشكال هذا النمو والتطور المرصود كان في تحويل بعض قوائم ألفاظ بعض حقول الحضارة الحديثة السابقة إلى معجمات كاملة مستقلة؛ فمثلا يجد قارىء معجم ألفاظ الحضارة الحديثة عددًا من المداخل المتعلقة بالموسيقا، وهو الذي نما وتطور ليكون معجما كاملا للموسيقا يتضمن الألفاظ المتعلقة بالآلات الموسيقية المختلفة، والأشكال الموسيقية المتنوعة.

وإذا كان معجم بألفاظ الحضارة الحديثة صنع حقلا يضم ألفاظ التربية الرياضية جمع واحدًا وخمسين مدخلاً، فإن المجمع اللغوى نفسه طور هذا ليظهر معجمًا كاملاً مستقلاً لألفاظ التربية الرياضية الذي أصدرته لجنة ألفاظ الحضارة.

ففي هذين المثالين دليل ظاهر على وعى العربية المعاصرة ومتابعتها وتعاطيها مع التطور الذي يصيب الحياة في مجالات التحضر المتنوعة.

وهو ينعكس على تنامى ظهور الألفاظ العربية في هذه المجالات جميعًا.

(٤) منهجية ترتيب المداخل في معاجم.

ألفاظ الحضارة في العربية المعاصرة : (تنامى خطاب التعبير).

يكاد يسيطر على المعجمية المعاصرة الركون إلى استعمال منهجية ترتيب المداخل أو الألفاظ وفق النظام الألفبائى.

وهذه السيطرة مردُّها إلى ارتباط تطبيقات هذا المنهج بمنظور مستقر في صناعة المعجم هو رعاية المستعمل الذي يوافقه هذا الترتيب ليسره وسهولته. وهو اليسر الذي يعنى تحقيق أمرين معا هما:

توفير المجهود.

وتوفير الوقت.

والغالب على بناء معاجم ألفاظ الحضارة الحديثة هو اتباع المنهج الألفبائى أي : ترتيب الكلمات حسب أوائلها ابتداء من الألف وانتهاء بالياء، وفق الترتيب المشرقى لهذه الحروف.

وهو المنهج الذي تراه في ترتيب مداخل معجم ألفاظالحضارة الحديثة ومعجم الطحانة والخبارة والفرانة، والمعجم العربي لألفاظ الملابس.

وإنعامًا في تطبيقات منهجية التيسير لجأت هذه المعجمات إلى ترتيب ألفاظها وفق منطوقها؛ أي من دون اللجوء إلى الترتيب وفق منهجية التجذير، أو مراعاة الجذور، وهو المنهج الذي يحقق ما يلي:

- التوسع في التيسير.

- والتخلص من المشكلات العلمية الناشيءة عن منهجية الترتيب وفق الرد إلى الجذر، من مثل: التخلص من أحرف الزيادة، والتضعيف، ومعرفة أصل الألف إن وجدت إلخ.

- والتخلص من المشكلات العلمية الناشيءة عن الألفاظ المعربة عن اللغات الأخرى؛ وعدم وجود آلية لاستخراج جذر لها.

غير أن عددًا من معاجم ألفاظ الحضارة الحديثة لجأت إلى ترتيب ألفاظها وفق الألفبائية اللاتينية؛ أي أن المداخل وردت مرتبة وفق اللغة الإنجليزية مرتبة وفق النظام الألفبائى الإنجليزى، بلا مسّوغ علمى، ولا يُعتذر في هذا المجال بأن جمهرة ألفاظ الحضارة في حقل الموسيقا والتربية الرياضية واردة من الحضارة الغربية، ومن لغات أجنبية؛ ذلك أن كثيرًا من الألفاظ الحضارية في هذين الحقلين ناشىء من المعجمية التراثية عن طريق إعادة إحياء مفردات قديمة حُمِّلت بدلالات معاصرة فنية أو حضارية.

وأصل رعاية منظور المستقبل، وهو المواطن العربي كان يقتضى ترتيب ألفاظ الحضارة في هذين المجالين، وفق الترتيب الألفبائى العربي.

(٥) معاجم ألفاظ الحضارة في العربية في العصر الحديث قيمتها ووظائفها.

إن ثمة فوائد كثيرة لظهور معجمات ألفاظ الحضارة، ولا سيما في هذه المرحلة التي يعيد العالم العربي اكتشاف نفسه من جديد، وهو الاكتشاف الذي سيلزمه ولاشك إعادة تقييم ممتلكاته، ومواهبه، ومعارفه جميعًا.

ولا تقف الفوائد عند حدود الإفادة العملية مما ضمته هذه المعجمات من ألفاظ، ومصطلحات موزعة على مجالات الحضارة المختلفة، وهي في حد ذاتها قيمة مقدرة، ولكنها تتجاوز لتغطى مساحات أخرى من الوظائف والغايات.

وفيما يلي محاولة لرصد عدد من أظهر الوظائف التي يمكن أن تفي بها هذه المعجمات المعاصرة لأفاظ الحضارة الحديثة.

أولاً: الوظائف اللسانية / أو اللغوية.

والمقصود بهذه الوظيفة الدلالة على قدرة العربية بما هي لغة عريقة – على استيعاب ما يجد من مستجدات الحضارة في ميادينها المختلفة.

وهو الأمر الذي نلح عليه في مواجهة حالة من التشكيك في قدرة اللسان العربي في ظل هجمة المعارف الحديثة من جانب، وفي ظل أصوات عالية تدعو إلى تعلم هذه المعارف باللغات الأجنبية، وهو الأمر الذي لا نجد له صدى في القوميات المختلفة؛ إذ تحرص كل قومية على توطين العلم والمعرفة الحديثة بلغاتها الوطنية.

ومجموع ما ورد في هذه المعجمات الخاصة بألفاظ الحضارة الحديثة، وقسم كبير منها بحكم الوضع الحضارى المتقدم للغرب وارد من هذه اللغات الغربية، استطاعت اللغة العربية أن تعبر عنه، وتخلق الصيغ العربية المناسبة للدلالة على هذه المفاهيم بطرق متنوعة تقريبًا، أو إعادة إحياء لألفاظ قديمة بعد تحميلها بدلالات جديدة.

لقد برهنت هذه المعجمات بما ضمته من ألفاظ الحضارة الحديثة الوافدة على قدراتها الوافرة صوتيًا وصرفيًا ودلاليًا على مواجهة تطور الحياة، وترقيها.

ثانياً: الوظيفة الدينية والحضارية.

وقد دلت قراءة هذه المعجمات بما احتوته من ألفاظ متنوعة، موزعة على ممجالات الحضارة المختلفة على مسألة مهمة جدًا نحب أن نلح عليها، ألا وهي تصور الفكرة الإسلامية للحياة والكون، ذلك أن فحص مفردات هذه المعجمات أن الإسلام يرعى قيم الترقى والتمرس للحياة الإنسانية، ويتعاطف مع مظاهر التجويد والتحسين ترعى

صناعة الجودة للحياة الإنسانية في بعديها المادى بما يؤازره من تطبيقات صناعية، والروحى بما يؤازره من فنون وآداب وألعاب وترفيه وتهذيب إلخ.

إن انفتاح المعجم الحضارى، وحفاوته بمظاهر الترقى لجوانب الحياة المختلفة دال على شمول الفكرة الإسلامية التي تعبر عنها اللغة العربية، وتعطى جهازها الصوتى والصرفي على الفصائل مع هذه النظرة الشاملة المستوعبة المتوازنة للحياة الإنسانية.

كما أن هذه المعجمات أشارت من طرف آخر إلى أن التصور الإسلامى يرحب بالمنجز الحضارى المتنوع من دون النظر إلى طبيعة صانعه، أو عرقه، أو دينه، أو لونه، وهو ما يعكس قبولا واقعيًا للآخر، والنقل عنه، والإفادة من منجزه، والاعتراف به، وتقديره.

ثالثًا: الوظيفة المعرفية والتاريخية.

في واحدة من زوايا النظر إلى المعجم المختص يدور أمره على كونه مخزنًا للمعرفة والعلم، ذلك أن المصطلحات وما تحتها من مفاهيم تمثل تلخيصًا مكثف لما أنجزه الإنسان في رحلة الكشف العلمى، بحيث غدت هذه الألفاظ أو المصطلحات عناوين على مبتكرات العلماء على امتداد التاريخ.

ومن هنا فإنه بالإمكان أن يتعامل مع المعجمات الجامعة لألفاظ الحضارة سواء القديمة منها أو الحديثة باعتبارها مصادر مهمة لإعادة كتابة تاريخ العلم في مجالات مختلفة.

وهذا الملمح لم ينتبه إليه أحد -فيما يظهر- من علماء تاريخ العلوم، والحق أن هذا الجانب يسهم في حسم كثير من الدعاوى في هذا الميدان، وهو حاسم كذلك في إعادة الاعتبار للعلم العربي الذي تنكرت له الأدبيات الغربية في مجال تاريخ العلوم.

ثم إن هناك أمرًا آخر يتعلق بحلم إنجاز المعجم التاريخى للعربية، ذلك أن المصادر المعجمية القديمة والحديثة يمكن أن تعد مصادر لمتابعة العمل نحو إنجاز المعجم التاريخى للغة العربية.

معنى ذلك أن ملاحظة الألفاظ الدالة على المنجزات الحضارية على امتداد العصور التاريخية من خلال حضورها في المعاجم عهدًا بعد عصر سيسهم في تزويد مشروع والحضارية العربية على امتداد التاريخ.

رابعًا: الوظيفة الإجتماعية والنفسية

لقد أدرك الدارسون والمؤرخون أن حركات الاحتلال الغربى تركت آثارًا مدمرة على النفس العربية كان من نتائجها فقدان هذه النفس العربية وفي لغتها الوطنية.

وقد حاول زعماء التحرر الوطنى أن يعيدوا إلى النفس العربية بعضًا من هذه الثقة المفقودة التي تعرضت لغير قليل من علامات الاغتيال.

ومن الممكن أن تسهم معاجم ألفاظ الحضارة الحديثة بما تضمنه من ألفاظ ومفاهيم كثير منها استوعبته اللغة العربية وعبرت عنه بامتياز – في استعادة الشخصية العربية لثقتها في نفسها، وإعادة تأسيس الإيمان بقدراتها، ومعارفها، وقدرة لغتها على التعاطى مع مستجدات الحضارة الحديثة.

وفي ذلك إعانة ظاهرة على تقديم الدعم النفسى لهذه النفس العربية، ومحاصرة علامات فقدان الثقة.

وفي الوقت نفسه تستطيع هذه المعاجم أن تدعم الحراك الاجتماعى نحو توطين ثقافة الإنتماء للسان القومى، وتوسيع شريحة المؤمنين بقدرة هذا اللسان على استيعاب العلوم الحديثة، مما يسهم في دعم دعوات التعلم والتعليم بها.

خامساً: الوظيفة التربوية والإقناعية.

إن جزءًا من نجاح معاجم ألفاظ الحضارة الحديثة في الوفاء بوظائفها الاجتماعية والنفسية تعيينًا مرهونا بما تسهم به في تحقيق الإقناع بقدرات اللغة العربية على التعامل مع المعانى الجديدة، والمفاهيم الحديثة والمبتكرات والمخترعات الوافدة.

وفحص المعاجم الحضارية الحديثة فحصا دقيقًا متأنيًا ولا سيما على مستوى أشكال صناعة المصطلحات تعريبا ونقلا، أو اشتقاقًا ونحتًا قائد تحقيق الإقناع بجدوى تعريب

العلوم الحديثة، لأن الجهاز الصرفي والمصطلحى للغة العربية قادر على النجاح في هذا السبيل؛ لإعتبارات واقعية وتاريخية معًا.

وإذا تحقق أمر هذا الاقناع امكن بعده ان نحقق نجاحات على مستوى الوظيفية التعليمية والتربوية، لانه سيهيئ الاجواء على قبول تعلم العلوم الحديثة الوافدة باللغة الوطنية القادرة ساعتئذ على التعبير عنها، والتعامل معا.

إن جزءاً من الازمة العربية المعاصرة ناتج خوف قديم من العجز الذي صوره غير فريق على أنه من خصائص العقل العربي.

وهو الأمر الذي تحطم على صخرة تاريخ المعجمية العربية قديماً، وتحطم على صخرة ما أنجزته المؤسسات العلمية والأفراد معا من معاجم معاصرة لألفاظ الحضارة الحديثة.

***

(ثانيا)

معاجم مصطلحات الاقتصاد الإسلامى المعاصرة

أهدافها وخصائصها

(مدخل)

كان لهيمنة الاقتصاد الغربي الذي حرك وسار في خلفية حملات الغزو للبلدان الاسلامية في العصر الحديث – أثر كبير في سيادة قضاياه وتطبيقاته وهو جزء مهم لازم في إطار قراءة بعض أوجه الاضطراب والخراب الذي أصاب البنية الاجتماعية في البلدان الاسلامية.

وهو ما قاد كثيرا من أعلام الثقافة الإسلامية إلى أن يروا في غلبة النموذج الاقتصادي الغربي وجها من وجوه التبعية، وأن الحركة نحو الاستقلال الحضاري تبدأ من بيان مواز للاختلاف بين الاقتصاد الإسلامى وغيره، وأن يروا في صنع معجم لمصطلحات الاقتصاد الإسلامى خطوة لابد منها في " السبيل إلى وضع لبنة في صرح الاستقلال الحضاري لأمتنا، عندما يصنع وييسر للعقل العربي والمسلم سبل إدراك ما لحضارتنا من خصوصية في المعاني والمضامين والمفاهيم في حقل الاقتصاد، فيسهم بذلك في تحرير العقل الاقتصادي من إسار التبعية وأسر التغريب" [قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الاسلامية، للدكتور محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة وبيروت، ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م، (ص١٧)].

وهذه الرؤية ليست رؤية فردية دعا إليها إحساس مبهم بالخطر بل كان إحساسا مجمعا عليه، يدلل على ذلك توصيات المؤتمر العالمى الأول للاقتصاد الإسلامى المنعقد في مكة المكرمة في ٢١-٢٦/٢/١٣٩٦هـ = ٢١-٢٦/٢/١٩٧٦م الذي حرص على بيان أنه من المهم ترسيخ مفاهيم الإسلام الاقتصادية التي ترى في أن الكون كله لله وفي أن المال مال الله وفي أن الإنسان مستخلف على ما تحته من نعم الله. وأن واحدا من سبل ترسيخ هذه المفاهيم :" وضع معجم لمصطلحات الاقتصاد الإسلامى بمختلف اللغات"! [انظر هذه

التوصيات في : النظام الاقتصادي في الإسلام : مبادئه وأهدافه للدكتور أحمد العسال والدكتور فتحي أحمد عبد الكريم، مكتبة وهبة ١٤٢١هـ= ٢٠٠١م، (ص ١٦٧-١٦٨)].

(١) الإسهام المعاصر في خدمة مصطلحية الاقتصاد الإسلامي.

لا شك أن ثمة محاولات مبكرة في العصر الحديث نهضت بعبء التعريف بمبادئ الاقتصاد الإسلامى وبأهدافه وغاياته، وبيان ما يميزه عن غيره من أنواع الاقتصاد الوضعي، وفي هذه الطريق اتضحت مجموعة ضخمة من مصطلحات الاقتصاد الإسلامى.

وفي هذا السياق لا يمكن التغافل عن أسماء لها خطرها وحضورها في هذا الميدان المهم أسهمت مع غيرها في خدمة مصطلحية الاقتصاد الإسلامى؛ أي مجموعة مصطلحات هذا العلم التي تشكل مفاهيمه.

ومن أشهر علماء الاقتصاد الإسلامى المعاصرين : أحمد محمد العسال وحسين حامد حسان وحسين شحاتة ورفيق المصري، وسعيد آل لوتاه وشوقي دنيا وسليمان الراجحى، وعبد الحميد البعلى، وعبد الحميد الغزالى، وعبد الستار أبوغدة، وعبد لله المنيع، وعلى الخفيف وعلى السالوسى وعيسى عبده، ومحمد عمر شابرا، ومحمد نجاة الله الصديقى، ومصطفي الزرقا، ونزيه حماد، ونظام يعقوبى، ويوسف القرضاوى ويوسف كمال. وكثيرون غيرهم من أجيال أساتذة الاقتصاد الإسلامى الذين جاءوا بعد هؤلاء.

على أن ما يعنينا هنا بعد – الإشارة السريعة هذه إلى إسهام هؤلاء في خدمة مصطلحية الاقتصاد الإسلامى – هو التعريف بالمعاجم المعاصرة التي استقلت للعناية ببيان معاني مصطلحات الاقتصاد الإسلامى، وتقديم تعريفات وافية تعين على إدراك مفاهيمه وتصوراته.

وقد برز في هذا السياق ثلاثة معاجم هي كما يلي (مرتبة وفق تاريخ صدورها)

١ – قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية للدكتور محمد عمارة (طبعة دار الشروق، القاهرة / بيروت، سنة ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م في ٦٣٦ص مع فهارس للمصطلحات).

٢- معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، للدكتور نزيه حماد، (طبعة المعهد العالمى للفكر الإسلامى، هيرندن / فيرجينيا، سنة ١٤١٤هـ= ١٩٩٣ م في ٣٠٨ص مع تقديم للدكتور طه جابر العلوانى مع فهارس للمصطلحات والمراجع).

٣- مصطلحات الفقه المالي المعاصر : معاملات السوق، بتحرير وإشراف يوسف كمال محمد، (طبعة المعهد العالمى للفكر الإسلامى، القاهرة، سنة ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م في ٢٨٥ ص، مع كشافات موضوعية، وفهارس هجائية وتقديم).

(٢) أهداف معاجم مصطلحات الاقتصاد الإسلامي المعاصرة.

يدرك من – يفحص مادة هذه المعاجم الاقتصادية أنها ظهرت لتحقيق عدد معين من الأهداف المعرفية والعملية والحضارية، وهو ما ظهر من ثلاثة الأسماء الذين صنعوها فهم جميعا أبناء بررة للفكرة الاسلامية، وأبناء بررة للاقتصاد الإسلامى.

وفيما يلي رصد لمجموعة من الأهداف التي حرصت هذه المعاجم على الوفاء بها هي على الإجمال :

أ- العناية بإظهار فارق ما بين طغيان البعد المادي على الحياة المعاصرة الذي ترسخه مفاهيم الاقتصاد الوضعي وبين النظر إلى المال باعتباره مال الله الذي استخلف عبيده في إدارته، وهذه العناية محاولة للانتصاف للاقتصاد الإسلامى ودعوة للتحول إليه في التطبيقات المعاصرة.

ب- إعادة تقديم مفاهيم الاقتصاد الإسلامى عبر مصطلحاته للجماهير المعاصرة بعد أن غيبتها أنظمة كثيرة تبنت نظريات اقتصادية غير إسلامية حتى غدت مبادئ الاقتصاد الإسلامى تعانى الغربة في الأوطان المسلمة؛ ذلك أن المعاجم " في منظور إسلامية المعرفة تعتبر من الأدوات الأساسية المساعدة في بناء النسق المفاهيمى في العلوم التي تؤلف في مجالها " على تعبير الدكتور طه جابر العلوانى في تقديمه لمعجم المصطلحات الاقتصادية للدكتور نزيه حماد (ص ١٦).

ج- إعادة بناء الجسور بين العلوم المعاصرة وامتداداتها التراثية بعد عمر من القطيعة المعرفية أو شبهها التي حاول الغزو الغربي صنعها في تاريخ الأمة الاسلامية المعاصرة

عندما حرص في أنظمته التعليمية وأنظمته الحاكمة التنفيذية على فصل الأمة عن تاريخها المعرفي بخصائصها المائزة وهو ما نجح في كثير من المواطن في تحقيقه حتى غدا القول بحاجتنا إلى إعادة الكشف عن هويتنا أمرا صحيحا إلى أبعد الحدود.

د- تقديم نماذج عملية يمكن احتذاؤها والنسج على منوالها في كثير من الميادين المعرفية التي عانت من مثل ما عانى منه الاقتصاد الإسلامى من التغريب والتشويه.

هـ- كسر حالة التبعية الحضارية في الميدان الاقتصادي عن طريق بيان استقلال النظرية الاقتصادية الاسلامية.

و- إعادة تقديم المفاهيم الاقتصادية الاسلامية في صورة عصرية تيسر الإفادة من الأدبيات الاقتصادية الاسلامية التراثية، وهو واحد من أهم أهداف المعجمية الاسلامية المختصة المعاصرة في الميادين المختلفة.

ز- المساعدة في تقديم تصور مترابط للحقول التي تشكل ميدان علم الاقتصاد عند المسلمين بحيث تترابط هذه الحقول بفلسفة الإسلام الكبرى في تعبيد الكون لله، وبيان أن الإنسان مستخلف في أرض الله سبحانه، وأن المال من ضمن ما لله سبحانه في الكون وأن الإنسان مستخلف في هذا المال، وعليه أن يديره وفق الضوابط التي شرعها الله سبحانه.

ح- المساعدة – على المدى الطويل – في بناء مكنز لمصطلحات الاقتصاد الإسلامى ولا سيما بعد تقديم معاجم ترتيب مداخلها / ومصطلحاتها وفق منهج موضوع دلالي، وليس هجائيا على ما سوف نرى في معجم الدكتور يوسف كمال رحمه الله تعالى.

ولا يصح هنا الاستشهاد بالجزء الذي تضمنه مكنز الفيصل (١٤١٥هـ= ١٩٩٤م) عن مصطلحات الاقتصاد الإسلامى، حيث ضم ثلاثمئة مصطلح فقط، وهو عدد قليل جدا عما يتوقع أن يضمه مكنز لمصطلحات الاقتصاد الإسلامى، على ما يقرر الدكتور هانئ محي الدين عطية [نحو منهج لتنظيم المصطلح الشرعي: مدخل معرفي معلوماتي، طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامى، بالقاهرة سنة ١٤١٧هـ= ١٩٩٧م، (ص ١٧٠)].

ومن ناحية أخرى فأمثال هذه المعاجم تسهم في عملية تطوير أمثال هذه المكانز المستمرة؛ كل فترة من السنوات؛ لتضم مصطلحات جديدة في كل عملية للتحديث.

ط- المساعدة في دراسة شمول الشريعة الاسلامية عن طريق فحص المصطلحات الرحالة المتنقلة إلى الاقتصاد الإسلامى من حقول معرفية مختلفة عقدية وعبادية وأخلاقية واجتماعية وغيرها؛ لتتضافر الأدلة على استحالة نجاح العلمانية الشاملة أو الجزئية في البلدان الاسلامية.

ك- تقديم المفاهيم الاقتصادية المعاصرة وتقديمها في ضوء المعرفة الاقتصادية الاسلامية، لبيان حجم المخاطر القائمة والمتوقعة ومحاصرتها، جانب والإفادة من الجديد واستثماره إن أمكن بعد فحص عدم معارضته لأصول النظر الاقتصادي الإسلامى.

ل- إيجاد مصطلحات جديدة لمفاهيم اقتصادية إسلامية تراثية تعين على طرح المفاهيم هذه في صورة عصرية واضحة من جانب، والتغلب على الفجوات المعجمية لما يظهر من مفاهيم اقتصادية معاصرة موضع مصطلحات ملائمة تعين على تأمل أمرها من شكل المصطلح الخارجي، ثم الحكم عليه برده أو قبوله.

م- المساعدة في بناء تراكم معرفي أو قاعدة علمية تعين على إعادة تقديم الاقتصاد الإسلامى وتيسر عملية تعليمه بين المشتغلين به تعليما وتعلما.

فهذه مجموعة من الأهداف الأساسية التي تسعى مجموعة المعاجم هذه على تحقيقها.

(٣) منهجية ترتيب المصطلحات في معاجم مصطلحات الاقتصاد الإسلامي المعاصرة.

وقد حكمت هذه الأهداف السابقة منهجية ترتيب المصطلحات في معاجم مصطلحات الاقتصاد الإسلامى المعاصرة، فظهر منهجان حكما هذا الترتيب هما :

أ- منهج الترتيب الألفبائى الهجائي غير التجريدي

ب- منهج الترتيب الموضوعي.

و قد جاء على المنهج الألفبائى معجمان هما :

١- قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الاسلامية، للدكتور محمد عمارة.

٢- ومعجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، للدكتور نزيه حماد

وقد كان الوعي بأهمية هذا المنهج حاضرا في هذين المعجمين، حيث حرصا على توفير التيسير للمستعملين انطلاقا من وعى معجمي يرعى ما يسمى في المعجمية المعاصرة بمنظور المستعمل، ويرعى من جانب آخر مهم جدا خلقا إسلاميا يتمثل في التيسير على الخلق، واستثمار تطبيقاته في هذا الميدان.

وقد ظهر هذا الوعي بفوائد هذا المنهج الألفبائى غير التجريدي في بعض ما قدم به بين يدى بعض المعاجم التي طبقته، يقول الدكتور محمد عمارة في مقدمة معجمه (ص٢١): " فلقد آثرنا ترتيب مواده على النحو الذي ييسر الاستفادة منه والانتفاع به لأوسع جمهر من الباحثين والقراء ".

ثم يعود فيقرر (ص٢٢) : " ولعل في هذا التيسير ما يعين على أن ينهض هذا القاموس بالرسالة الفكرية والحضارية التي ابتغيناها من وراء وضعه إن شاء الله "

أما الاتجاه الثاني (ب) فقد رتبت المصطلحات فيه ترتيبا راعى بناء نظرية اقتصادية إسلامية بمجموعة المصطلحات التي تصرفت وهو منهج قديم في المعجمية العربية، سمى أحيانا باسم معاجم المعاني وأحيانا باسم معاجم الموضوعات.

وقد رتبت المصطلحات وفق حقول أو موضوعات أربعة كما يلي :

١- مصطلحات الخلافة (المشكلة الاقتصادية) : النعم = الموارد / والحاجات.

٢- مصطلحات الإعمار (الإنتاج) : أقسام المال / العروض.

٣- مصطلحات الرزق (توزيع الدخل).

٤- مصطلحات السوق (نظرية القيمة).

وقيمة هذا المنهج أنه يعطى المستعمل صورة هيكلية للنظام الاقتصادي تظهر الصلة العضوية بين المصطلحات المختلفة.

ولم يضح المعجم بالتزام هذا المنهج في الترتيب بالمبدأ العام الحاكم في المعجمية الاسلامية المختصة المعاصرة وهو ما سميناه بمبدأ التيسير على الخلق، حيث حرص

صانع المعجم ومحرره الدكتور يوسف كمال رحمه الله على أن يزيله بفهرس للمصطلحات مرتبة على الترتيب الهجائي غير التجريدي.

وقد حرصت المعاجم الثلاثة مشغلة مقالنا هذا على استعمال طريقة شائعة مفيدة في تعريف المصطلحات، تسمى في أدبيات علم المعجم باسم طريقة التعريف المحكم؛ أي تعريف المصطلح بذكر السمات الدلالية المميزة له، والقسمات الفارقة بينه وبين غيره، مع العناية في أحيانا كثيرة بجانب ذلك باستعمال طريقة الشرح بالأمثلة مع العناية ببعض المعلومات الموسوعية التي تعين على أداء هذه المعاجم أهدافها.

ومن الأمثلة التي تجلى ذلك :

يقول الدكتور محمد عمارة في تعريف مصطلح (الاحتكار) ص ٣٣ : [الاحتكار : لغة : الجمع والإمساك والاحتباس. والحكرة : اسم للاحتكار. والاحتكار شرعا - : اشتراء قوت البشر والبهائم وحبسه انتظارا لغلاء سعره. ولقد اختلف في المدة التي إذا بلغها الاحتكار استوجب المحتكر عقاب الاحتكار الدنيوي، فقيل : إنها أربعون يوما، قيل : هي شهر، وقيل هي أكثر من سنة. أما الإثم الأخروي فغير متوقف على مدة بعينها إذ تكفي فيه نية الاحتكار وفي الأحاديث النبوية : " من احتكر للمسلمين طعاما ضربه الله بفقر وإفلاس "، و"بئس العبد المحتكر، إن أرخص الله الأسعار حزن، وإن أغلاها فرح، إن سمع برخص ساءه، وإن سمع بغلاء فرح " و" يحشر الحكار وقتلة النفس في درجة واحدة ".

ففي هذا التعريف حرص الشارح على بيان ما يلي :

١ - السمات الدلالية المائزة التي تبين عنى الاحتكار بما في ذلك المدة المعتبرة التي يصير فيها حابس الطعام محتكرا.

٢- الحكم الشرعي وهو الحرمة المغلظة وترتب العقوبة دنيا وآخرة.

٣- الأدلة الشرعية التي تقوم مقام الشواهد المعجمية وأكثر.

٤- المعنى اللغوى في مفتتح التعريف للإعانة على إدراك المعنى الاصطلاحي بعدما تخصص من المعنى اللغوى العام.

ومتابعة ما ورد تحت المدخل نفسه عند يوسف كمال رحمه الله يدلل على سقوط الأنظمة الاقتصادية المعاصرة في مواجهة الاحتكار مقارنة بالإجراءات الوقائية ثم العقابية لحماية المجتمع من آثار الاحتكار في الاقتصاد الإسلامى.

وقد قام أصحاب معاجم مصطلحات الاقتصاد الإسلامى على توثيق مادة معاجمهم فراجعوا إلى عدد كبير من المصادر الأصيلة التي توزعت على أربعة أنواع هي :

١- معاجم مصطلحات تراثية (كالتعريفات للجرجاني ومفاتيح العلوم للخوارزمي/ والمصباح المنير للفيومي وتحرير التنبيه للنووى والتوقيف للمناوى الخ).

٢- المصنفات الفقهية المختلفة تراثية وغير تراثية موزعة على المذاهب الفقهية المتعددة بما فيها الموسوعات وأعمال المؤتمرات الفقهية الخ

٣- المعاجم العامة اللغوية القديمة والحديثة.

(٤) حاجة الاقتصاد الإسلامى إلى معاجم جديدة وإلى تطوير معاجمه الموجودة.

والحق يقتضى أن نقرر أن الاقتصاد الإسلامى بما يواجهه من تحديات في حاجة إلى معاجم تعنى بمصطلحاته تعريفا وشرحا وتمثيلا وفي حاجة إلى تطوير ما هو موجود منها بزيادة مداخله ومراجعة مادته، وتحديثها، وخدمته بما هو مستقر في المعجمية المعاصرة؛ لتيسير استعمالها.

وقد كان لغياب عدد من المصادر التراثية المعنية بالمصطلح الاقتصادي الإسلامى أثره في غياب عدد كبير من هذه المعاجم المعاصرة فيما يلي أمثلة لها:

- الاستيفاء، أخل به عمارة = وهو العلم بقوانين يعرف بها ضبط مداخل أموال الديوان وإخراجاتها لكيفيات المحاسبات وكمياتها.
- التلجئة، أخل به عمارة = وهو تسليم الضعيف ضيعته إلى قوى ليحامى عليها.
- الحشري، أخل به عمارة ونزيه حماد : وهو ميراث من لا وارث له.

- العريضة، أخل به عمارة ونزيه حماد : وهو شبيه بالتأريخ.

وهذه أمثلة أردنا من وراء إيرادها بيان الحاجة الماسة إلى استمرار التطوير والتحديث من جانب والحاجة إلى إيجاد معاجم جديدة ترعى مطالب المصطلح الاقتصادي الإسلامى؛ لتبرهن على وضاءة وجه طالما غبرته رياح الهيمنة الغربية المخاصمة لديننا وأمتنا وأوطاننا.

***

(ثالثا)

المصطلحات العسكرية في الحضارة الإسلامية
مصادرها ووظائفها

(مدخل):

أنتجت الحضارة الإسلامية نظرية عسكرية متفردة الجوانب منذ اليوم الذي فرض الله سبحانه فيه الجهاد والقتال، وكان نزول قوله تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [سورة الحج ٢٢/٣٩] مفتتحا واضحا بعد زمان طويل من الدعوة التي ترفع شعار كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة، وهي حقبة امتدت لتغطى مساحة البعثة المكية كاملة، وامتد ظلالها مدة سنتين بعد الهجرة النبوية المشرفة تقريبا يقول القرطبى في الجامع(٦٨/١٢) " لما هاجر نزلت ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ﴾... وهي أول آية نزلت في القتال " [تفسير القرطبى ٦٨/١٢، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٨٧م] افتتح بها عهد الإعداد له.

وهو أمر واضح جدا في تتبع المعاصرين، حيث يقرر العلامة يوسف القرضاوى أن الإذن بالقتال كان الطور الذي جاء بعد مرحلة جهاد الصبر على الأذى ومنع القتال يقول في كتابه فقه الجهاد ٢٢٩/١ " ثم كانت الهجرة إلى المدينة، وانتقل الجهاد من صورته المكية (الصبر) إلى صورة أخرى : صورة الصدام المسلح الذي فرض على الرسول والمسلمين فرضا، وهم كارهون له، ولكنهم مضطرون إليه كما قال تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ ﴾ [سورة البقرة ٢١٦/٢] " [فقه الجهاد ٢٢٩/١ للدكتور يوسف القرضاوى، مكتبة وهبة بالقاهرة سنة ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م].

منذ هذا التاريخ البعيد تشكلت أبعاد النظرية العسكرية الإسلامية بنطاقاتها المختلفة من أصول حاكمة وأخلاق مقيدة، ومعرفة منظمة وواكب هذا التطور والتشكل جهاز اصطلاحي كاشف عن هذه الحدود والأبعاد، وهو الأمر الذي يظهر أن تاريخ ظهور

مصطلحات العسكرية الإسلامية يبدأ من الإذن بالقتال وإن كان ثمة ألفاظ عسكرية ورثها من الحقبة الجاهلية ولكن وهبها من روحه الإسلامية، وصبغها بصبغته ومبادئه.

(١) مصادر مصطلحية العسكرية في الحضارة الإسلامية.

وقد أسهمت مصادر كثيرة جدا في بناء الجهاز الاصطلاحى للعسكرية باللسان العربي، نمت وتطورت وتوسعت مع مرور الزمان، حتى غدت مصطلحية العسكرية في المعجمية العربية تمثل ثروة لغوية ضخمة بلا مبالغة.

وفيما يلي محاولة تسعى إلى تتبع المصادر التي أسهمت في بناء معجم المصطلحات العسكرية في لغة العرب، مما سميناه باسم مصطلحية العسكرية في لغة العرب؛ ذلك أن لفظ المصطلحية يعنى هنا مجموعة المصطلحات التي تستعمل في علم العسكرية عند المسلمين.

أولا- المصادر التاريخية

عرف المجتمع العربي قبل مجئ الإسلام بمجموعة من السمات وسمت رجاله بالقوة والفتك والإغارة والحرب، وأنتجت هذه المعرفة مصطلحات دالة على ما كان بين قبائل هذا المجتمع العربي من حروب طاحنة ممتدة مع الزمن؛ من مثل مصطلح أيام العرب، وهو ما يتوقع معه إنتاج عدد وافر من الألفاظ الحربية أو العسكرية الموزعة على المجالات أو الحقول الدلالية المختلفة.

ومن هنا فإن العناية بمصطلحات العسكرية العربية جمعا وشرحا وتصنيفا لا يمكنها أن تتغافل عن مصنفات التاريخ العربي بحال من الأحوال، ويمكن تمييز عدد من أنواع المصنفات التاريخية المعتبرة أهميتها في هذا السياق كما يلي :

١ – المصنفات التاريخية المعنية في المقام الأول بالتأريخ لأيام العرب وحروبهم معًا قديما وحديثا، ولا سيما مصنفات التاريخ العام، كتاريخ الطبرى، والكامل لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن كثير.

وقد اعتنى بعض المعاصرين فصنف تصانيف مستقلة في أيام العرب في الجاهلية والإسلام امتلأت بعدد وافر من الألفاظ المنتمية والمنضوية تحت المجالات العسكرية

والحرب، على ما نرى أمثلة لمثل هذه المصنفات في أيام العرب في الجاهلية للأفاضل محمد أحمد جاد المولى وعلى محمد البجاوى ومحمد أبى الفضل إبراهيم، وأيام العرب في الإسلام للكريمين محمد أبى الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى أيضا.

وقراءة أحداث أي يوم في الكتابين منبئ عما نقول، ففي سياق أحداث يوم الشِّباك الذي كان بين بنى القصاف من تميم وبين بنى تيم الله بن ثعلبة من بكر، وكانت الغلبة فيه لتيم تواجهنا الألفاظ العسكرية التالية (ص ٢٢٦) قتل / أسر / حبس / توعد / طلب الدم / تخلية السبيل / خروج / شدّ / وهذه كلها ألفاظ حربية تنضوى تحت مجالات عسكرية محددة اليوم في المعرفة العسكرية المعاصرة؛ إذ يندرج بعضها تحت حقل المصطلحات العسكرية العامة من مثل : الشد والقتل، وبعضها يندرج تحت حقل الانضباط العسكرى من مثل الحبس، وبعضها يندرج تحت حقل سلاح المشاة من مثل الخروج إلخ.

ومثل ذلك ممكن في قراءة أحداث يوم بدر (غزوة بدر)ص٧-٣٠ حيث تقابلنا الألفاظ الحربية والعسكرية التالية :

رصد (استطلاع) / شهادة (عسكرية عامة) / الاستنفار (تعبئة) اعتقاب = ركوب الخيل (سلاح الفرسان) الإناخة (تحصن بأرض المعركة)/ حزر (استطلاع) وهو محاولة تقدير قوة العدو، وغير ذلك من الألفاظ التي يمكن التقاطها من أمثال هذين المصدرين.

٢- مصنفات السيرة النبوية بوجه عام من لدن ابن هشام وإلى الصالحى الشامى صاحب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، مع عدم إهمال المؤلفات المعاصرة في هذا الميدان.

٣-مصنفات الغزوات تعيينا من مثل المغازى للواقدى، والغزوات لابن حبيش، والاكتفا في مغازى الرسول والثلاثة الخلفا للكلاعى.

٤- مصنفات الفتوح الإسلامية، من مثل فتوح البلدان للبلاذرى، والفتوح لابن أعثم الكوفي وغيرهما.

٥- مصنفات الحكومة الإسلامية أو إدارة الدولة عند المسلمين من مثل : تخريج الدلالات السمعية، للخزاعى، وشرحه وتطويره المسمى بالتراتيب الإدارية للكتاني.

٦- المصنفات الموسوعية العربية كنهاية الأرب للنويرى، وصبح الأعشى للقلقشندى.

٧- مصنفات التراجم الشخصية المعنية بالشخصيات العسكرية تعيينا على ما نرى في سيرة صلاح الدين لابن شداد، والاعتبار لأسامة ابن متفذ، ففيه عدد ضخم من الألفاظ العسكرية الخاصة بالتخطيط والجغرافية العسكرية، والأسلحة المختلفة، وألفاظ الخدمات الطبية.

ثانيا- المصادر الشرعية

وإذا كانت النظرية العسكرية في الحضارة الإسلامية مدنية في تطورها واتساع معجمها الاصطلاحى للأصول القرآنية والحديثية؛ فإنه من المنطقى أن يمثل هذان الأصلان مصدرًا أساسيا يستمد منه عدد كبير من ألفاظ العسكرية العربية؛ ففي مجال فحص ما أسهم به القرآن الكريم وقدمه لقوائم المصطلحات العسكرية يفطن محمود شيت خطاب رحمه الله في معجمه (المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم) [طبعة دار الفتح، بيروت ١٣٨٦هـ= ١٩٦٦م] إلى أصالة النص العزيز في دعم مصطلحية العسكرية العربية.

والقرآن الكريم ملئ بعدد ضخم من الألفاظ المتعلقة بالجهاد والقتال والتعبئة، والتخطيط، ومواجهة العدو، والجغرافية العسكرية، مما هو ظاهر في عمل المرحوم محمود شيت خطاب، مما سنقف عليه بعد قليل.

ولا تقل مصنفات السنة الشريفة أهمية في هذا الميدان، ذلك أن عددًا من أبواب كتب السنة تشتمل على ألفاظ عسكرية كثير، ولا سيما في أبواب الجهاد والفتن.

ومن هنا فإن المصادر الدائرة في فلك هذين المصدرين الأعليين يجب تقدير خطرها في جمع المصطلحات العسكرية وشرحها وتصنيفها من مثل شروح السنة وتفاسير الكتاب العزيز فيما يتعلق بآيات القتال والجهاد، وأحاديث الجهاد والقتال، ومن مثل مدونات الفقه الكبرى، ولا سيما في أبواب الجهاد والقتال والدفع والصلح والمعاهدات.

ثالثا-المصنفات الفنية (الحربية والعسكرية)

وقد عرفت الحضارة العربية الإسلامية عددًا من المصنفات الخاصة ببعض فروع النظرية العسكرية؛ حيث ظهرت مؤلفات خاصة بالأسلحة وأنواعها، وصناعتها، وصيانتها، ومؤلفات خاصة بالحرب، وتوزيع الجنود، وتقسيمهم ونحو ذلك من الموضوعات المندرجة في هذا السياق، وبالإمكان تمييز ثلاثة أنواع من هذه المصنفات المفيدة في خدمة المعجمية العسكرية العربية فيما يلي :

١- مصنفات القنص والصيد، وهي مفيدة جدا في استخراج عددٍ من المصطلحات العسكرية العربية المتعلقة بالتدريب، والخطط على وجه التعيين بالإضافة لألفاظ الأدوات وألفاظ الطرق التي كانت مستعملة في الصيد والقنص إلى غير ذلك.

ومن أشهر مصنفات الصيد والقنص عند العرب : المصائد والمطارد لكشاجم،وانتهاز الفرص في الصيد والقنص للناشرى [حققه ونشره عبد الله محمد الحبشى بالمجمع الثقافي بأبى ظبى سنة ٢٠٠٢م].

٢-مصنفات الأسلحة عند العرب، وهي مفيدة جدًّا في استخراج المصطلحات العسكرية الخاصة بالأسلحة والذخيرة، ومفيدة في بيان ما كان مستعارا من غير العرب، وما أبدعته العقلية العربية أو طورته مما هو ظاهر خلف تسميات الأسلحة المختلفة.

ومن أشهر هذا النوع من المصنفات العسكرية الخاصة بصناعة الأسلحة عند المسلمين كتاب الأنيق في المناجنيق، لابن أرنبعا الزردكاش [حققه ونشره الدكتور إحسان هندى ضمن سلسلة مصادر ودراسات في تاريخ التكنولوجيا العربية رقم (٤) بجامعة حلب ومعهد المخطوطات العربية سنة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م].

٣-مصنفات المناصب الحربية، وهي مهمة في الكشف عن جوانب الفكر العسكرى الإسلامى وما قدمه من أفكار حول الخطط العسكرية والآلات، والطب العسكرى، ومعالجات الطوارئ في أثناء المعارك، ومن الكتب المهمة في هذا المجال كتاب الفروسية والمناصب الحربية، لنجم الدين الرماح المعروف بالأحدب [حققه ونشره عيد ضيف العبادى، بوزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد سنة ١٩٨٤م].

ويمكن أن يضاف إليها ما ظهر حديثا من مؤلفات تنظر للإستراتيجية العسكرية لغزوات النبى صلى الله عليه وسلم، من مثل كتاب محمد فرج عن الإستراتيجية العسكرية الإسلامية بين النظرية والتطبيق [طبعة مجمع البحوث الإسلامية، بالقاهرة سنة ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م].

رابعا-المعاجم اللغوية العربية

وإذا كانت المعاجم اللغوية بحكم طبيعتها تعنى بجمع الألفاظ وشرح معانيها، فإن المنطقى عند الانشغال بأية عملية للعناية بجمع المصطلح العسكرى وشرحه وتصنيفه أن تقف أمام المعجمات اللغوية العربية ولا سيما المطول منها؛ لأنها اعتنت بجمع الألفاظ العربية في الميادين المختلفة، ومن المهم جدا أن نخص في هذا السياق المعاجم اللغوية العربية ذات الصبغة الموسوعية من مثل : لسان العرب، لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروزابادى، وشرح القاموس المسمى بتاج العروس للزبيدى، فضلا عن ضرورة العناية الفائقة بفرع من المعاجم العربية الخاصة بالموضوعات العسكرية، مما يسمى في تاريخ المعجمية العربية بالرسائل اللغوية الصغيرة، أو المعاجم الموضوعية ذات الموضوع الواحد، من مثل كتاب السلاح، لأبى عبيد، وأسماء السيف لابن خالويه، والرسائل الخاصة بالنبل والسهام والرماح، مضافا إليها معاجم الألفاظ العجمية، للوقوف أمام عدد كبير من الألفاظ العسكرية التي انحدرت من لغات أخرى كان لها عناية بالجانب العسكرى؛ كالفرس، واليونان، من مثل المعرب للجواليقى، وقصد السبيل للمجبى، وشفاء الغليل للشهاب الخفاجى وغيرهم. هذا جانب.

ومن جانب آخر فإن معاجم المصطلحيات، أو معاجم المصطلحات المتعددة العلوم تجمع في داخلها عددا كبيرا من المصطلحات العسكرية والحربية هي ولا شك ثروة عظيمة في تقدير خطر هذا الميدان المهم، وأشهر المعاجم من هذه الأنواع هي :

مفاتيح العلوم للخوارزمى، والتعريفات للجرجانى، والكليات للكفوى والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوى، ومقاليد العلوم المنسوب للسيوطى، ودستور العلماء للأحمد نكرى، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى، والتعريفات والاصطلاحات لابن كمال باشا، وهي جميعا منشورة محققة.

خامسا- مؤلفات رواد النهضة الإسلامية المعاصرة

ظهرت محاولات كثيرة في المشرق والمغرب الإسلاميين في العصر الحديث ترعى إرادة استحياء الأمة، وإعادة نهضتها، وكان مما سكته من سبل لتحقيق هذه النهضة العودة إلى الأصول الإسلامية الأصيلة.

وكان من المجالات التي لمسها هؤلاء الرواد ضرورة التنبيه إلى خطر إزاحة عدد من المصطلحات المتعلقة بالهوية الإسلامية ومنها عدد من المصطلحات العسكرية المنبثقة من الحضارة العربية والإسلامية؛ فظهر التحذير من إماتة ألفاظ من مثل : الجهاد لمصلحة الدفاع، والمجاهد لمصلحة الجندى أو العسكر، والمرشد لمصلحة ألفاظ أجنبية أو معربة للفظ مكافئ دال على رتبة عسكرية بعينها.

وقد كان هذا النوع من التحذير في كتابات عدد من رواد النهضة الإسلامية المعاصرة داعيا إلى أن هذه المصطلحات العسكرية مملوءة بشحنات وجدانية منسربة إليها من الثقافة الإسلامية المحكومة بالقرآن الكريم والسنة الشريفة وممارسات عصر النبوة، وعصور الفتوحات.

وهو الأمر الذي فطن إليه الغرب في صراعه مع العالم الإسلامى إلى أن نجح في إزاحة منظومة المصطلحات العسكرية ذات الصبغة الإسلامية ليحل محلها مصطلحات عسكرية أخرى وليدة سياق ثقافي غربى.

ومن المهم جدا عدم إهمال أمثال كتابات محمد عبده ورشيد رضا وحسن البنا والعقاد ومالك بن نبى وعلال الفاسى، والبشير الإبراهيمى والكواكبى وغيرهم حول شروط النهضة، والتغيير، والإصلاح.

صحيح أن هذا الفرع من المصادر هامشى بجوار الأنواع الأربعة التي مرت لكنه مهم في إطار قراءة الصبغة الحضارية للمصطلحات العسكرية في اللسان العربي بفضل الإسلام الذي حكم أبعاد النظرية العسكرية العربية، بما فيها من جهاز اصطلاحى.

(٢) وظائف المصطلحات العسكرية وما تعكسه من علامات :

من المستقر في علم المصطلحية أن مجموعة مصطلحات مجال معرفي ما تمثل نظام من المفاهيم والتصورات، بحيث يمكن أن نقرر أن المصطلحات العسكرية عند العرب تعكس نسقا من المفاهيم والتصورات يتجلى على مرآتها وصفحاتها المعانى الإسلامية التي أرادها الدين العظيم من وراء النظرية العسكرية التي أظهرها للوجود الإنسانى.

وإذا كان ذلك صحيحا فإن النظر إلى المصطلحات العسكرية في العربية من زاوية الوظيفة، وما تعكسه من علامات يدلل على أن ألفاظ هذا المجال العلمى يقود إلى خدمة الوظائف التالية :

١ - **الوظيفة الدينية والإيمانية**؛ بمعنى أن النظر إلى حقل المصطلح العسكرى في لغة العرب يصور ما صبغه الإسلام لهذا الجهاز الاصطلاحى؛ ذلك أن عددا من الألفاظ العسكرية أصابها قدر ضخم من التطور أو التغير على مستوى الدلالة والمعنى بحيث يمكن قياس فارق ما بين دلالات المصطلح العسكرى الإسلامى مقارنة بدلالات المصطلح العسكرى العربي قبل الإسلام؛ وقراءة ألفاظ من مثل : المُثلة قائد إلى تصور منظومة الأخلاق التي أحاطت بعدد كبير من ألفاظ هذا الميدان المعرفي.

أضف إلى ذلك أن المعنى الدينى والإيمانى قائم خلف عدد ضخم جدا من ألفاظ العسكرية الإسلامية، وهو ما يظهر ظهورا واضحا في تحليل المصطلحات العسكرية التالية : الثبات، والجهاد والمجاهد، والشهيد، والنجدة وغير ذلك.

بمعنى أن هذه الألفاظ وإن كانت تحتل مواقعها على خريطة مجالات دلالية عسكرية معينة، فإنها ترتبط ارتباطا عضويا بمفهوم العبادة بالمعنى الشرعى، وهي واحدة من الخصائص الفريدة للجهاز الاصطلاحى للعسكرية العربية بسبب من انطلاقها وانبثاقها من التصور الإسلامى اعتقادا وعبادة.

ويتفرع من هذه الوظيفة مسألة مهمة جدًّا تتعلق بما يسمى بالهوية، أو بناء الذات والشخصية، ذلك أن المجاهد / المقاتل المسلم تتبدى له شخصية ذات قسمات واضحة

من خلف تأمل المصطلحات العسكرية في العربية، فهي شخصية عابدة بما تمارسه من فعل عسكرى، غير مخرب، مقبل على جهاده بروح يملؤها اليقين في تأييد السماء إلخ.

٢- الوظيفة الحضارية والمعرفية.

يؤدى معجم المصطلحات العسكرية دورا حضاريا بما يعكسه من علامات تصب في هذا الباب المهم؛ ذلك أن الألفاظ العسكرية في العربية تعكس ما طوره المجاهد المسلم في مجالات العمل العسكرى المختلفة بدءًا من الإعداد والتعبئة وانتهاء بالنصر أو بتوقف القتال، وتعكس ما أبدعه أو ابتكره من خطط وآلات وأسلحة، وهو ما يتجلى فيما ظهر من مصطلحات عسكرية عربية جديدة كانت نتاج حضارة الدين الجديد، وما بثه من روح في جنوده.

ولعل أهم تجليات هذه الوظيفة الحضارية البادية من خلف الجهاز الاصطلاحى للعسكرية في الحضارة الإسلامية ما يلي:

أ- استمرار الإبداع والابتكار والتطوير في الميدان العسكرى في مواجهة أعداء الأمة، مما أظهر مفردات عسكرية جديدة تشير إلى ما أبدعه العقل المسلم في هذا الميدان في مجالاته المختلفة، وهو ما يمكن من رصد المنجز المعرفي للعقل العربي المسلم الذي أمد به ميادين العلم والتقنية العسكرية.

ب- قبول الآخر وتقدير منجزه المعرفي، وهو ما تجلى فيما نقل عن هذا الآخر من أدوات وأسلحة وطرق تدريبية، وتخطيطية، وهندسية، مما يظهر على مستوى المصطلحات العسكرية ذات الأصول اللغوية الأعجمية؛ كالمنجنيق، والنار اليونانية، والقبق، وهي إحدى الطرق التدريبية، والسندروس وهو نوع من الصّمغ، وهو مبدأ يظهر انفتاح العقل العسكرى العربي المسلم طلبا لما ينفع دينه، ويرد كيد عدوه.

ومن مجموع هاتين المسألتين يمكن تثمين ما تطورت به العسكرية العربية في زمانها، وقدمته من خدمات لترقى الحضارة الإنسانية في ميادين العلم العسكرى.

٣- الوظيفة اللغوية

وهي من الوظائف المهمة جدا في السياق المعاصر ولا سيما في مواجهة عدد من الأصوات المنتمية معرفيا لحقول العلم التطبيقية والتجريبية والتقنية التي لا ترى في الأفق قدرة للعربية على استيعاب المنجز المعرفي الغربى في هذه الميادين والتفاعل معها والتعبير عنها؛ ذلك أن تأمل ما وضعه اللسان العربي من تسميات ومصطلحات لعدد ضخم جدا لتصورات ومفاهيم منضوية تحت العلوم العسكرية من جانب، وما استطاعت أن تستوعبه، وتعربه مما نقلته من تسميات ومصطلحات عسكرية من الأمم الأخرى من جانب آخر دليل واضح على ما تمتلكه من قدرات تؤهلها للتعاطى مع العلوم العسكرية المعاصرة، مما يبعث على الثقة في نفوس العسكريين العرب المعاصرين، وهو ملمح مهم داخل في باب مهم من أبواب المعرفة العسكرية المتعلقة بما يسمى سلاح الروح المعنوية.

٤- الوظيفة المعجمية التاريخية

ثمة تأريخ لعدد كبير من الابتكارات في الميدان العسكرى، في معاناة العرب المسلمين في جهادهم الطويل دفعا أو طلبا وهو ما واكبه استحداث ألفاظ دالة معبرة عن هذه المبتكرات مما يسهم في خدمة المعجمية التاريخية العربية في الحقل المتخصص.

ومن أمثلة ذلك أنه يمكن التأريخ لظهور مصطلح (الخندق) وهو لفظ دال على إحدى العمليات العسكرية المنضوية تحت حقل دلالى أصغر هو الهندسة العسكرية (سلاح المهندسين) – بغزوة الخندق التي جرت أحداثها سنة ٥ هـ بما هو أول تطبيق له في العسكرية العربية.

وبالمثل يمكن في سياق تحليل مصطلح (النفاطة = السهم النارى) ومصطلح (الحرّاقة= كرة النار) هي من مصطلحات المدفعية – معرفة تاريخ ظهور هذه المصطلحات تبعا لمعرفة تواريخ دخول مسميتها إلى الخدمة في العسكرية الإسلامية التي كان أول ظهور لها في مواجهة الحملات الصليبية المبكرة.

(٣) من ملامح العناية بالمصطلحات العسكرية في الحضارة الإسلامية في المعجمية المعاصرة.

ومع الإقرار بالآثار السلبية لتغييب عدد كبيرا جدا من المصطلحات العسكرية العربية؛ لأسباب كثيرة عن الاستعمال العسكرى المعاصر، لعل أهمها روح التبعية التي خلفها الاحتلال الغربى في البلدان العربية المختلفة، فإن ثمة بعضا من ملامح العناية بالمصطلحات العسكرية في الحضارة الإسلامية في المعجمية المختصة المعاصرة، نقف عند تجربتين تعكسان وعيا بقيمة هذا التراث الممتد لألفاظ العسكرية العربية الإسلامية، وهما:

١ -**(معجم)** المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم، لمحمود شيت خطاب، رحمه الله، وكان صدر سنة ١٦٨٦هـ=١٩٦٦م في مجلدين،الأول يبدأ بالهمزة، وينتهي بالطاء، والثانى يبدأ بالعين وينتهي بالياء، فيما يقرب من مئة وألف صفحة.

وقد جاء مرتبا على وفاق ترتيب حروف الهجاء في المشرق العربي (أ ب ت ث ج ح...) طلبا للتيسير على المستعمل المعاصر ثم توسع فصنع فهرسا موضوعيا أعاد فيه توزيع المصطلحات على المجالات الدلالية العسكرية المختلفة على ثمانية عشر مجالا، بدأها بالمصطلحات العسكرية العامة وانتهي بها عند مصطلحات الجغرافية العسكرية، وفيما بينهما أورد ترتيب المصطلحات على المجالات التالية : مصطلحات واجبات الأركان، ثم التعبئة، ثم التدريب، ثم الرتب والوحدات، ثم سلاح الجو، ثم البحرية، ثم المدرعات ثم المدفعية، ثم المهندسين، ثم مصطلحات سلاح الإشارة، ثم سلاح المشاة، ثم الإمداد والتموين، ثم الخدمات الطبية، ثم المهمات العسكرية، ثم الأشغال، ثم الانضباط.

و استهدف صانع هذا المعجم المهم هدفين أصيلين هما :

١ -الإسهام فيما من شأنه توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية.

٢ -إظهار عظمة القرآن الكريم من الناحية العسكرية الفنية.

٢ -(معجم) السفن الإسلامية، لدرويش النخيلي، الذي صدر بجامعة الإسكندرية سنة ١٩٧٤م.

وقد اعتنى فيه ببيان أنواع السفن الحربية، وهو ما يدخل في الميدان الذي نعرض لأشكال العناية به في اللسان العربي، وقد رتبها جميعا على حروف المعجم على وفاق الترتيب الهجائى الشائع طلبا للتيسير.

وقد كان صانع هذا المعجم حريصا على بيان السفن الحربية، بالنص تعيينا لمستوى استعمالها.

ومن أمثلة ذلك ما ورد تحت مدخل (فتّاش) من قوله إنها ضرب من السفن الحربية التي ظهرت بالأندلس في الربع الثانى من القرن الرابع الهجرى.

من مجموع هذين النموذجين اللذين عنيا بجمع المصطلحات العسكرية في الحضارة الإسلامية، عموما وخصوصا يتبين لنا بعضا من إسهام الحضارة العربية والإسلامية في تقدم العلوم العسكرية في العالم في فترة طويلة، وبإمكان معجم المصطلح العسكرى بعد الدرس والفحص أن يدل على حجم الإسهام، وقيمته.

***

الفصل الثالث
في معجمية الحضارة (الأثر)

إجابة الداعي؛
أثر البلاغة
في تطوير المعجمية العربية

(١) مدخل: الشاهد الشعري: البلاغة والحضور في المعجم.

يعلن الشاهد عن نفسه في تاريخ المعرفة العربية أساسا يوشك أن يكون مرادفا للعلم نفسه الذي يتأسس به. لقد قال الشيخ محمد الطنطاوي في (نشأة النحو) [ص:٢٥٠]: "إن الشاهد في علم النحو هو النحو"! وهو الأمر الذي قاست عليه فوزية الطاهر، فقالت في (الشواهد البلاغية وتوظيفها) [ص:٤٩]: "والبلاغة حقيقة هي الشواهد، وكل ما يكتب في كتب البلاغة إنما هو دندنة حول الشاهد، واحتفاء به، وتقرب إليه"!

ويذكر اللسانيون المعاصرون نوعين من أنواع الاستشهاد هما:

أ- الاستشهادى اللغوي: وهو الذي يكون "لإثبات أن الاستعمال اللغوي المشهود له هو من فصيح كلام العرب"، على ما يقرر الدكتور محمد حسن جبل في)الاحتجاج بالشعر في اللغة: الواقع ودلالته) [ص:٦٨].

ب- الاستشهاد المعنوي أو بالمعاني: وهو الذي "يقصد بالمعاني فيه...: المعاني العقلية؛ وهي الفكرة العامة أو الكلية للعقل؛ أي أنها لا يقصد بها معنى لفظ أو تركيب مثلا" كما يقرر الدكتور محمد حسن جبل كذلك [ص:٥٨]، ثم يضيف: "فهذ النوع من الاستشهاد... يسمى استشهاد في مجال الفكرة، أو المعنى العقلي أو البلاغي أو الشعري".

وعلى الرغم من إرادة التمايز الواردة من وراء هذا التفريق– فإن أحدًا لا يستطيع أن يقرر غياب الشاهد المعنوي عن المعجم العربي. صحيح أن الحضور الطاغي في المعجم العربي كان لنوع الشاهد اللغوي، ولكن حضور الاستشهاد بالمعاني لم يغب، وإنما كان حضوره ظاهرا منذ البدايات الأولى التي شهدت ميلاد المحاولات المعجمية الأولى، على ما يظهر من استرجاع السياق المطيف بالكلمات التي أراد نافع بن الأزرق من ابن عباس، رضي الله عنهما، أن يفسرها له في ما يعرف باسم (سؤالات نافع بن الأزرق لابن عباس)، فقد أورد نافع بن الأزرق الآيات في كل ما سأل عنه من كلمات. وهو إدراك وشعور مبكران جدا لأثر السياق الذي يطيف بالكلمة في الكشف عن معناها [انظر: مسائل نافع بن الأزرق: ص: ٣١-٨٢].

لقد استقر في النظرية اللغوية أن الشعر كان أساسا حاكما في التقعيد والتأسيس حتى برزت العلاقة بين: الشعر واللغة ظاهرة جدًّا.

وبعيدا عن الآثار السلبية لهذه العلاقة في غير اتجاه= وهي الآثار التي توقف أمامها الدكتور تمام حسان في (اللغة بين المعيارية والوصفية) [ص:١٧٠ وما بعدها]، ونقلها واعتمدها بعده نفر كثير من الدارسين كان من أظهرهم الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف في)لغة الشعر: دراسة في الضرورة الشعرية) [ص: ٤٩ وما بعدها]= فإن تأثير الاعتماد على الشاهد الشعري في تأسيس علم المعجم في الحضارة العربية الإسلامية ترك آثاره في تطوير المعجمية العربية على مستوى الوظائف ومستوى التصنيف والمدارس معًا. وهو ما سوف يكون مشغلة هذه الورقة في المطالب التالية.

(٢) استجابة المعجمية العربية العامة لمطالب المجاز والبلاغة.

في هذا المطلب محاولة تتغيا الكشف عما تركته مطالب المجاز والبلاغة في المعجمية العربية العامة.

والظن قائم أن ثمة أثرا ظاهرًا لمطالب المجاز والبلاغة والأدب في تطوير هذه المعجمية، وهو الأثر الذي تمدد ليحكم التجليات التالية:

أولا- التصنيف المعجمي.

ثانيا- الوظائف المعجمية.

(١/٢) أثر المجاز والأدب في تطوير التصنيف المعجمي.

يذكر الدكتور حسن نصار في (المعجم العربي: نشأته وتطوره) [١٥٩/١] تعليقا على ظهور مدرسة القافية المعجمية التي ترتب الألفاظ وفق الحرف الأخير منها: "وكان السبب في اللجوء إلى هذا النظام وغلبته على المعاجم فيما بعد **شيوع السجع** منذ القرن الثالث"، ثم يعود فيقول [٣٨٢/٢]: "وقد عرفنا قبل أن سبب اهتمامهم بأواخر الألفاظ **غلبة السجع** على كتاب هذه العصور".

إن هذا التعليل الذي يفسر به الدكتور حسن نصار نشأة مدرسة القافية المعجمية يقع في الصميم مما يمكن أن يسمى بتأثير البديع في تطور المعجمية العربية على مستوى التصنيف.

ومن هنا فإن ما قرره الدكتور رمضان عبد التواب، رحمه الله، في (فصول في فقه العربية): [ص:٢٥٠]، تعليقا على (ديوان الأدب) للفارابي (ت٣٥٠هـ): "وهذا الكتاب لا يمت إلى الأدب بصلة، كما يوهم عنوانه، بل هو معجم لألفاظ اللغة العربية"= في حاجة إلى المراجعة؛ ذلك أن اتضح نوع صلة بين الأدب وهذا المعجم، كما ظهر من تعليل الدكتور حسين نصار!

وقد اجتهد الدكتور علي جواد طاهر في تعقيبه على الدكتور رمضان عبد التواب أنه يوجد علاقة فقال في (مطالعات في كتاب فصول في فقه العربية) [مجلة العرب ج٣-٤، للسنة ٢٢ رمضان/ شوال سنة ١٤٠٧هـ= مايو/ يونيه سنة ١٩٨٧م؛ ص: ١٧١]: "من قال: إن المعجم ألفاظ اللغة العربية ليس من الأدب؛ يريد المؤلف بالأدب ما يذهب إليه الذهن في أيامنا هذه... وهذا المعنى متأخر"!

لقد حاول الدكتور علي جواد طاهر نقض كلام الدكتور رمضان عبد التواب بحمل الأمر عدم تنبهه إلى تصور مصطلح الأدب قائلا إن: "الأنباري جعل اللغويين أدباء في النزهة، وجعلهم ياقوت في الإرشاد. ما المانع أن تكون في اللغة أدبا. المسألة

مسألة مصطلح في زمن". والأمر على غير ما حمله عليه الدكتور علي جواد طاهر، ولكن ما يهمنا هو ما وجهه إلى الدكتور رمضان عبد التواب من نقد يكشف عن وعي بالعلاقة بين المدرسة المعجمية ومطالب الأدب والبلاغة.

لقد كشف هذا الجدل حول ما إذا كان ثمة علاقة بين هذا المعجم وأمثاله، والاستجابة لمطالب بلاغية أو بديعية أو شعرية وأدبية– عن تأثير محتمل لتقنيات الكتابة الفنية عند العرب، وسماتها البلاغية في تطوير المعجمية العربية.

لقد ظهر إذن أن مطالب البلاغة بالمعنى المتسع كان لها أثر في التصنيف المعجمي عند العرب، وهو ما سوف نعرضه في ما يلي:

(١/١/٢) مدرسة القافية المعجمية:

سبق في فقرة سابقة أن تقرر أن ديوان الأدب، للفارابي– ربما يكون تأسيس جزء من نظام ترتيبه **بتأثير بديعي**، رعى خدمة **تقنية السجع** التي كانت فاشية في فنون القول العربي.

وهذا الاتجاه المعجمي الذي طبق إجراء ترتيب المداخل تبعا لأواخرها توزع على أكثر من مدرسة معجمية، كالأبنية، والألفبائية المعكوسة، ولكنهما جميعا لما رتبا المداخل وفقا للحرف الأخير من كل مدخل– أمكن تسميتهما بمدرسة القافية.

ويندرج تحتهما المعجمات التالية:

أ- معاجم الأبنية التي طبقت الترتيب المراعي للسجع:

ورد إلينا عدد من معجمات الأبنية التي راعت ترتيب ألفاظها وفق الحرف الأخير من كل لفظة أو بنية؛ تلبية لحاجات فنية، وتأثرا بتقنية بديعية، ومن هذه المعجمات:

١- التقفية، لابن أبي اليمان البندنيجي، المتوفى سنة ٢٨٤هـ.

٢- ديوان الأدب، للفارابي، المتوفى سنة ٣٥٠هـ.

يقول الدكتور أحمد مختار عمر في (معاجم الأبنية في اللغة العربية) [ص:٦٠] معلقا على سبب تطبيق الفارابي مبدأ ترتيب الأبنية وفق حروفها الأخيرة: إن "هذا النظام ييسر

على الشعراء والكتاب النظم والنثر في عصر شاع فيه **السجع، وفشت فيه المحسنات البديعية**، والتزمت القاوفي".

ب- المعاجم الألفبائية المعكوسة:

جاء إلينا عدد كبير من المعجمات ألفبائية الترتيب، رتبت الألفاظ وفق الحرف الأخير، ومن معاجم هذه المدرسة ما يلي:

١- الصحاح= تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، المتوفى سنة ٤٠٠هـ.

٢- العباب، للصغاني، المتوفى سنة ٦٥٠هـ.

٣- لسان العرب، لابن منظور، المتوفى سنة ٧١١هـ.

٤- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، المتوفى سنة ٨١٦هـ.

ويتعالق بهذه الأربعة المعاجم بمعجمات أخرى كثيرة اتبعت منهجية الترتيب، جاءت شروحا عليها، أو اختصارات لها، أو استدراكا وتكملة، أو تنبيها وتصحيحا لبعض ما ورد فيها.

وهي جميعا في ما يبدو من التفسير الذي أورده حسين نصار ومن بعده أحمد مختار عمر– استهدفت خدمة الكتابة الفنية التي شاع تصميمها وفق تقنية السجع، واستثمار البديع.

(٢/١/٢) مدرسة معجمات الترسل والأساليب:

ثمة عدد كبير من المعجمات العربية لم يسبق لأحد من دارسي المعجمية العربية– في ما أعلم– أن نبَّه على خصيصة جامعة فيها. وهي خدمة الكتابة والترسل، ونحن نرى أنها ظهرت بتأثير مباشر من ديوان الإنشاء بما هو مؤسسة بالمعنى الكامل.

إننا نرى أن تيارا كاملا من المعجمات العربية ظهر وقد استهدف خدمة الكتابة الفنية قصدا، وليكون وسيلة تدريبية ومرجعية معا يستعين بها من يروم أن يكون كاتبا منشيءا.

وقد راجعت أصول الدراسات المعاصرة في الكتابة الفنية فلم أجد من أشار إلى ذلك، ويمكن مراجعة الدراسات التالية:

أ- النثر الفني في القرن الرابع الهجري، للدكتور زكي مبارك، الذي أنجزه سنة ١٩٣١م، ونشره سنة ١٩٣٤م.

ب- تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، لأنيس المقدسي، نشره بعد كتاب زكي مبارك، وقبل كتاب حسين نصار.

ج- نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، للدكتور حسين نصار، التي أنجزت سنة ١٩٤٩م.

د- الكتابة الفنية في مشرق الدولة الإسلامية في القرن الثالث الهجري للدكتور حسني ناعسة، نشره سنة ١٩٧٨م.

هـ- النثر العربي القديم، للدكتور محمد رجب النجار، وكانت طبعته الثانية ظهرت سنة ٢٠٠٢م.

وإذا مسوغا بشكل أو بآخر، خلو دراسات الكتابة الفنية من التنبه للمعجمات التي ظهرت بتأثير مباشر للكتابة الفنية- فإن الغريب هو عدم تنبه دارسي المعجمية العربية المعاصرة في إطار مراجعات التصنيف المعجمي لتراث المعجمية العربية إلى هذا القطاع من الأعمال المعجمية التي ظهرت بتأثير الاستجابة لمطالب الكتابة الفنية، وهي مجموعة المعجمات التي نقترح تسميتها باسم: معاجم الأساليب والترسل، من مثل:

أ- الألفاظ الكتابية، للهمذاني، المتوفى سنة ٣٢٠هـ.

ب- كتاب الألفاظ، لابن مرزبان الباحث، المتوفى سنة ٣٣٠هـ.

ج- جواهر الألفاظ، المنسوب لقدامة بن جعفر، المتوفى سنة ٣٣٧هـ.

د- متخير الألفاظ، لابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ.

هـ- أساس البلاغة للزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ.

و- غراس الأساس، لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ.

وبسبب من الاقتراح الجديد بتصنيفها نوعا من معجمات الأساليب والترسل ظهرت استجابة وتلبية لمطالب **بلاغية** – فإنه يلزم دعم هذا المقترح بالدليل وفي ما يلي محاولة لتأصيل هذا التوجه التصنيفي:

أولا- دليل خطاب الغايات والمقاصد:

لقد ظهر من مقدمات هذه المعجمات أن مقاصد أصحابها هو خدمة الترسل والكتابة الفنية، وهذا الظهور المعلن للمقاصد يمثل الركيزة الأولى من ركائز **إعادة تعيين الانتماء المعرفي** لهذه المعجمات.

يقول الهمذاني [ص:٩]: "جمعت في كتابي هذا لجميع الطبقات أجناسا من ألفاظ كتاب الرسائل والدواوين البعيدة من الاشتباه والالتباس، والسليمة من التقعير المحمولة على **الاستعارة والتلويح**... فإذا عرفها العارف بها وبأماكنها التي توضع فيها كانت له مادة قوية وعونا وظهيرا، فإن كتب عدة كتب في معنى تهنئة، أو تعزية، أو فتح... أو غير ذلك- أمكنه تغيير ألفاظها".

ويقول قدامة بن جعفر [ص:٨]: "فهذه المعاني مما يحتاج إليه في **بلاغة المنطق** ولا يستغنى عن معرفتها شاعر ولا أديب"! ويقول قبل ذلك [ص:٣]: "وسأذكر ما يختار ويستحسن من الخطاب، **وقصد البلاغة** بالمعنى"!

ومما يدعم هذا المقصد افتتاح قدامة بن جعفر كتابه هذا بتعريف عدد من المصطلحات البلاغية من مثل:

- الترصيع الذي هو عنده: "أن تكون الألفاظ متساوية البناء متفقة الانتهاء".
- اعتدال الوزن [ص:٤].
- -الاستعارة [ص:٥].
- المبالغة [ص:٦].
- التكافؤ [ص:٧].

- التمثيل [ص:٧].

وتحليل خطاب مصطلحية البلاغة هنا يدعم التوجه الجديد في تصنيف هذه المعجمات، لتكون اتجاها يمكن تسميته بمعاجم الكتابة الفنية والترسل خدمة للبلاغة، وبتأثير مباشر من مطالبها.

ويقول ابن فارس [ص:٥٩]: "وليعلم قارئه أنه كتاب يصلح لمن يرغب في جزل الكلام وحسنه"، ويدعم ذلك قوله: "وإنما ألفت كتابي هذا... وجعلت مفاتح أبوابه الألفاظ المفردة السهلة، وختمته بالألفاظ المركبة الجارية مجرى الأمثال **والتشبيهات، والمجازات، والاستعارات**".

إن هذه النقول جميعا تكشف عن وعي أصحاب هذه المعجمات بمقاصد خدمة البلاغة العربية بصورة ظاهرة. وهو ما تجلى في ما يلي:

١- أغراض التصنيف المتمثلة في خدمة الكتاب والشعراء.

٢- مادة أبواب هذه المعجمات المعتمدة على جمع التراكيب المجازية والاستعارية والتشبيهية.

٣- حياطة المادة والأغراض في هذه المعجمات بجهاز اصطلاحي بلاغي داعم لها.

ثانيا- خطاب المادة المجموعة:

وإن فحص ما أورده أصحاب هذه المعجمات من مادة لغوية مجموعة من نصوص كبار الكتاب والشعراء، مع التركيز على التراكيب الضاربة في الصميم من البلاغة الموزعة على الأمثال، والتشبيهات، والمجازات، والاستعارات، والكنايات، وغيرها= لدليل ظاهر على صحة انتماء هذه الكتب إلى معاجم الأساليب والترسل التي ظهرت بتأثير مباشر من مطالب البلاغة والمجاز.

ثالثا- خطاب الأغراض والمعاني في عنوانات هذه الكتب:

لقد رتبت أبواب هذه المعجمات وفق المعاني والأغراض الأدبية والشعرية، وهو ما يمكن قراءته بوضوح تام في كل عنواناتها.

ومن المدهش افتتاح ابن فارس معجمه [ص:٦٠] بباب عنوانه: "باب متخير ألفاظ العرب في الكلام والبلاغة"، ربما ليشير إلى طبيعة الانتماء المعرفي لمعجمه، عن طريق البدء بما هو غرض المعجم.

وربما ارتبط بهذا الفرع من المعجمات العربية، التي نرى أنها ظهرت استجابة لمطالب البلاغة والمجاز= نوع آخر من المعجمات يمكن تسميتها بمعاجم الاستشهاد، وهي تسمية استعملها الدكتور علي القاسمي في (المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق) وذكر لها [ص:١٨٥] بعضا من الوظائف، يندرج فيها خدمة الكتابة الفنية بطبيعة الحال، وعد كتاب التمثيل والمحاضرة، للثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ أول معجم للاستشهاد، وعد معه كتب الأمثال معاجم استشهاد كذلك.

ونحن نخالفه في تعيين الأولية، ذلك أن ثمة كتب أقدم من الثعالبي (٤٢٩هـ) بالإمكان إدراجها في هذا النوع المعجمي، من مثل:

- رسالة في إعجاز أبيات تغنى في التمثيل عن صدورها، للمبرد المتوفى سنة ٢٨٥هـ.
- كتاب أبيات الاستشهاد، لابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ.

وقد أحيطت هذه المسألة بعدد من الكتب والرسائل التي عالجتها من مثل: كتاب الثعالبي سنة ٤٢٩هـ (الاقتباس من القرآن الكريم)، والسيوطي في (رفع الباس وكشف الالتباس في ضرب المثل من القرآن والالتباس) وفيه [ص:٣٩] يشير إلى عمل سابق للحريري بعنوان (توشيح البيان بالملتقط من القرآن).

ولا شك في أن الاقتباس والتضمين تقنيات تقع في الصميم من الدرس البلاغي وهو ما يمكن معه اعتبار ظهور معجمات: الأمثال العامة والقرآنية والحديثية، والاستشهادات الشعرية كان استجابة لمطالب البلاغة والكتابة الفنية.

(٢/٢) أثر المجاز والبلاغة في تطوير الوظائف المعجمية.

(١/٢/٢) التفريق الواضح بين الحقيقة والمجاز، والكناية والتصريح.

(أ) كان الشائع في تاريخ المعجمية العربية أن المعاجم أعمال لغوية قامت وارتبط وجودها بخدمة من اللغة أو الثروة اللفظية، حتى ظهر معجم **(أساس البلاغة)**

للزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ فكان التحول الكبير، يقول الدكتور حسين نصار [٥٥٠/٢]: "ألف... الزمخشرى معجمه على أسس تختلف كل الاختلاف عما شاهدناه إلى ذلك الوقت في المعاجم الأخرى، ويظهر هذا الاتجاه أو ما يظهر في عنوان الكتاب نفسه، فهو ليس بمحيط، ولا صحيح، ولا تهذيب، ولا بارع في اللغة، وإنما (أساس البلاغة)، وإذن فالميدان تحول من (اللغة) إلى **(البلاغة)**، وسبب هذا التحول واضح هو (القرآن) كتاب العربية الأعظم الذي أنزله الله (مختصا) من بين الكتب السماوية بصفة **بلاغية"**.

ثم يقول: "رمى المؤلف في معجمه أن يوضح وجوه هذه **الإعجاز البلاغى"**، ثم يقول [٥٥١/٢]: "هذا الخلاف في الهدف جعله (أي: أساس البلاغة) يختلف عن بقية المعاجم في ميدان البحث؛ فالشغل الشاغل للمعجم اللغوي: اللفظة المفردة... أما **المعجم البلاغى** فيعني بالعبارة المركبة... التي لها **مركز ممتاز**... فيورد الألفاظ في استعمالاتها العربية البليغة"**!**

وقد أطلنا عن عمد في النقل عن حسين نصار، لنقرر معه:

أولا- وضوح إطلاق تسمية معجم أساس البلاغة **بالمعجم البلاغي!**

ثانيا- وضوح تحكيم معيار المادة المجموعة للمعالجة في هذا المعجم، وهي العبارات الممتازة في مركزها، البليغة، وهو ما يدعم اقتراحنا السابق الخاص بتصنيف طائفة من المعجمات البلاغية، سميناها باسم معاجم الأساليب والترسل.

ثالثا- وضوح الغاية والمقصد والغرض الذي دفع الزمخشري إلى بناء معجمه، وهو المقصد المرتبط بقضية بلاغية بامتياز، وهي خدمة مبحث الإعجاز.

رابعا- وضوح الهدف العملي من المعجم وهو خدمة السائرين على طريق الإبداع الأدبي.

وهذه الملامح مجتمعة ظاهرة ماثلة في أمرين من المعجم هما:

أ- عنوان المعجم: أساس البلاغة وتحليل العنوان باب أصيل في الكشف عن انتماءات الكتب المعرفية.

ب- مقدمة المعجم.

إن تحليل المقدمة كاشف عن هذا الانتماء المعرفي ابتداءً، وهو ما حملنا على إدراج أساس البلاغة ضمن قائمة معاجم الأساليب والكتابة الفنية، وحمل الدكتور حسين نصار أن يدرجه ضمن ما سماه بالمعجم البلاغي، ثم هو كاشف عن ذلك بدليل المادة المجموعة فيه، يقول الزمخشرى [١/د]: "ومن خصائص هذا الكتاب تخير ما وقع في عبارات المبدعين، انطوى تحت استعمالات المعلقين".

ثم بدليل الغايات والمقاصد التي استهدفها، يقول الزمخشرى [١/د]: "ومنها التوقيف على مناهج التركيب والتأليف، وتعريف مدارج الترتيب الترصيف". "ومنها تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح بإفراد المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح".

والتوقيف على مناهج التركيب والتأليف وتعريف مدارج الترتيب والترصيف من جانب وتأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح من جانب آخر أعمال تقع في القلب من الكتابة الفنية والترسل والإنشاء والإبداع القولي.

وهي جميعا أمور محتاجة إلى الإحاطة بفارق ما بين المجاز والحقيقة من جانب، والكناية والتصريح من جانب آخر، وهي مباحث بلاغية بامتياز تجعل من معجم أساس البلاغة معجما فوق لغوى، إن صح التعبير، أو تجعله معجما بلاغيا وقد جاءه هذا التصنيف من الخصائص المنهجية التالية:

أ- المقاصد والغايات المستهدفة.

ب- المادة المجموعة المتمثلة في العبارات والتراكيب الممتازة المركزة.

ج- الابتكار على مستوى بعض الوظائف المعجمية، وهو ابتكار إضافة المعاني المجازية، وإفرادها بالنص، وحياطتها بالذكر والرعاية.

يقول الدكتور رمضان عبد التواب في (فصول في فقه العربية) [ص:٢٥٧]: "وقد خطا الزمخشري في كتابه هذا خطوة جديدة في حركة التأليف في المعاجم العربية... اهتم فيه... بناحية مهمة في دلالة الألفاظ؛ تلك هي ناحية **المعاني الحقيقية والمجازية للكلمات**".

(ب) ولم يقف الزمخشري في أساس البلاغة وحيدا في تاريخ المعجمية العربية في مجال الاستجابة لمطالب البلاغة والمجاز بتطوير عدد من الوظائف المعجمية، ولاسيما ما يتعلق بوظيفة شرح المعنى- فقد جاء **مرتضى الزبيدي** المتوفى سنة ١٢٠٥هـ، يقول الدكتور حسين نصار [٢/٥٣٧]: "أما الظواهر الجديدة التي أتت على يد مرتضى الزبيدي فيبرز منها... **المعاني المجازية،** فقد عنى بإبرازها، والتنبيه عليها عناية شديدة لم نر مثلها في معجم عام، وكان من آثار هذه العناية نهله من أساس البلاغة نهلا".

(ج) ثم جاء **ابن حجر العسقلاني** المتوفى سنة ٨٥٢هـ وأخلص معجمه (غراس الأساس) لرعاية المعاني المجازية فقط؛ يقول [ص:٥-٦]: "وقفت على كتاب: أساس البلاغة للزمخشري) أي القاسم جار الله، فوجدته كتابا نفيسا: اشتمل على الكلمات الظاهرة والأمثال السائرة... وصدر ما وضع بإزاء الحقيقة وتلى بما استعمل **بطريق المجاز،** وفصل كلا منهما بأوضح امتياز... فرأيت أن المهم منه ما تميز عن الكتب المصنفة في اللغة من تبيين **الحقيقية من المجاز**... فرأيت الاقتصار منه على ما جزم بأنه وضع **على سبيل المجاز**"!

إن هذا التطور الذي أصاب أهم وظائف المعجم بإطلاق، وهي وظيفة شرح المعنى جاءت وسكنت المعجمية العربية استجابة لمطالب البلاغة بصورة جلية ومباشرة.

(٢/٢/٢) التفريق بين المعاني المعجمية والمعاني الشعرية (السياقية):

ظهرت المعجمات العربية مستهدفة جمع اللغة، وصيانة معانيها، وحفظها كما وردت عن العرب؛ لأغراض دينية وعلمية في الأساس.

صحيح أن ثمة علامات وإرهاصات دلت على نوع تقدير للسياقات التي كانت تطيف بالكلمات وتوجه معانيها منذ تاريخ قديم في المعجمية العربية، وربما تعود به إلى أول محاولة معجمية وصلت إلينا، وهي المعروفة باسم: سؤالات نافع بن الأزرق لابن عباس، رضي الله عنهما.

ولكن الصحيح أن استقلال العناية بالمعاني السياقية في كتب مستقلة مدين للإبداع الشعري والنثري معا، بمعنى أن الشعور بخصوصية المعاني التي تتخلق في نصوص

الإبداع الشعري والنثري هو الذي قاد إلى تأليف كتب خاصة بمعاني الكلمات الواردة في نصوص بعينها.

إن ثمة إمكانا لتصنيف الأعمال المعجمية التالية، في وجه من الأوجه ضمن المعاجم التي يصح أن تسمى بالمعاجم السياقية:

أ- معاجم غريب القرآن الكريم؛ ذلك أنها انشغلت ببيان معاني الكلمات القرآنية في سياقها من الآيات الكريمة.

ب- معاجم غريب الحديث النبوي الشريف، ذلك أنها انشغلت ببيان معاني الكلمات الواردة في الأحاديث النبوية الشريفة في سياقاتها من هذه الأحاديث.

والدليل على ذلك الاعتبار والتصنيف ظاهر في أن الذين استدركوا على هذه المعجمات اعتنوا في بعض ما استدركوه بتصحيح المعاني والفهوم التي سبق أن غلط فيها بعض شراح لغة الحديث على ما نرى من تصحيح كل من: الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨هـ، في: إصلاح الأخطاء الحديثية، وابن ناصر السلامي المتوفى سنة ٥٥٠هـ في كتاب التنبيه على الألفاظ التي وقع في نقلها وضبطها تصحيف وخطأ في تفسيرها ومعانيها وتحريف في كتاب الغريبين للهروى، والطاهر بن عاشور المتوفى سنة ١٩٧٣م، في: النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح فهذه الكتب وغيرها بتصحيحها معاني أخطاء شراح الأحاديث في فهمها دليل على ما أقرره من أنه يمكن النظر إلى معاجم غريب الحديث النبوي بما هي معاجم سياقية، خلقت فيها المعاني خلقا جديدا.

على أن الذي أعنيه في هذه المقالة من البحث هو الكتب التي ظهرت تشرح ألفاظ خاصة بإبداع بعينه.

ومما يمكن أن يكون مثالا ظاهرا على ما نقرره هنا ما يلي:

أ- نبذ من شرح غريب مقامات للحريري، للحريري المتوفى سنة ٥١٥هـ، أملاها على المعافري القرطبي المتوفى سنة ٥٦٦هـ.

ب- شرح مشكل ألفاظ مقامات الحريري، للحريري أملاها على المعافري القرطبي المتوفى سنة ٥٦٦هـ.

ج- شرح الألفاظ اللغوية من المقامات الحريرية، لأبي البقاء العكبري، المتوفى سنة ٦١٦هـ.

وأول دليل يظهر يدعم ما نذهب إليه هو أن هذه المعجمات شرحت الألفاظ الواردة في المقامات، متبعة أمرين ظاهرين هما:

أولا- ترتيب المعجمات وفق ترتيب المقامات، فيبدءون جميعا بشرح غريب ألفاظ مقدمة المقامات، ثم ينتقلون فيشرحون غريب المقامات الأولى، فالثانية، فالثالثة وهكذا دواليك.

ثانيا- إيراد التركيب الوارد فيه اللفظ موضع الحاجة إلى التفسير والشرح.

ولعل ما يدعم أيضا تصنيف هذه الكتب ضمن المعاجم السياقية التي تغيت تفسير ألفاظ إبداع الحريري في المقامات- ذلك الجدل الذي دار بين من اعترض على الحريري في مقاماته؛ كابن الخشاب البغدادي المتوفى سنة ٥٦٧هـ، وبين من انتصر له ضد الاعتراض كابن بري المصري المتوفى سنة ٥٨٢هـ، ذلك أن كثيرا من انتصارات ابن بري ضد اعتراضات ابن الخشاب كانت في أمور تتعلق بتصحيح معاني ألفاظ وردت في المقامات.

أضف إلى ذلك وعي بعض محققي هذه الكتب، تقول حياة قارة في مقدمة تحقيق (مشكل ألفاظ المقامات) و(نبذ من شرح غريب المقامات) [ص:٦-٧]: "وهكذا نلاحظ أنه بإزاء الحريري المشهود له بالمهارة اللغوية العالية، وبالإبداع والابتكار نجد شارحا مسلحا بكفاءات لغوية تشهد له بالإمامة فيها يتنبه إلى مهارة التلاعب باللغة... مما دفعه إلى وضع هذين الشرحين اللذين حدد فيهما **تحديدا معجميا** دقيقا دلالة الغريب والمشكل من الألفاظ الواردة في تلك المقامات".

إن هذه الاعتبارات جميعا تجعل من هذه الكتب التي انفردت واستقلت بشرح ألفاظ نص إبداعي بعينه تعكس تقدم العناية زمنيا بالخلق الشعري لدلالات الكلمات في

نصوص بعينها. كما تعكس أيضا عددا من الحواكم البيانية والبديعية في تخليق معاني كثير من الألفاظ في هذه النصوص الفنية.

ومن ذلك يتضح أن المعجمية العربية العامة كانت مرنة وإيجابية في استجابتها لمطالب المجاز والبلاغة العربية.

وقد كان من آثار هذه الاستجابة ظهور ما يلي:

أ- مدرسة القافية المعجمية استجابة لمطالب بديعية.

ب- مدرسة الأساليب والكتابة الفنية استجابة لمطالب إبداعية وإنشائية وبيانية، وقد ارتبط بها كذلك نوع آخر هو معاجم الاستشهاد.

ج- تطور على صعيد الوظائف المعجمية، ولا سيما ما يخص وظيفة شرح المعنى؛ إذ ظهر نوع عناية بالتفريق بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية للكلمات، ونوع عناية بالتفريق بين المعاني المعجمية، والمعاني الشعرية التي تتخلق في فضاءات النصوص الإبداعية.

وربما ينضاف ملمح خدمة مطالب الدرس البلاغي في بعض المعاجم ذات الصيغ الموسوعية التي اعتنت ببعض المفاهيم والأعلام البلاغية.

ولعل المستقبل يشهد إنجازا على صعيد تأسيس معجمي يرعى جمع دلالات الكلمات في استعمالات الشعراء العرب على اختلاف أزمنتهم وبيئاتهم وتجاربهم الشعرية.

إن إعادة فحص أعيان المعاجم العربية على امتدادها التاريخ ربما يساعد في الكشف عن أبعاد التأثير المباشر وغير المباشر الذي أحدثته مطالب خدمة المجاز والبلاغة العربية في المعجمية العربية؛ إن على مستوى التصنيف، والمدارس، والاتجاهات، وإن على مستوى الوظائف المعجمية المختلفة، ولا سيما على صعيد وظيفة شرح المعنى، ووظيفة مستوى الاستعمال Usagelable مما قد يكشف عن آفاق جديدة لتأثير مفردات علوم البلاغة من المعاني والبيان والبديع، ومفردات مسائل كل علم في تطوير المعجمية العامة تعيينا، وهو ما يحتاج إلى مواصلة البحث في هذا الاتجاه المهم.

(٣) استجابة المعجمية العربية المختصة لمطالب البلاغة العربية.

كان لنضج الدرس البلاغي في التراث العربي، ثم تمدد هذا النضج مع الزمان أثره في تطوير المعجمية العربية المختصة تعيينا.

وهذا التطوير طال منطقتين أساسيتين هما:

أولا- منطقة معاجم المصطلحيات.

ثانيا- منطقة معاجم المصطلحيات البلاغية.

(١/٣) ظهور العناية بمصطلحية البلاغة العربية في المعجمية العربية المختصة التراثية:

مع ازدهار العلم في الحضارة العربية، واستقرار المذاهب والمدارس في العلوم المختلفة على امتداد الخريطة العربية ظهر نوع حاجة إلى تحرير المفاهيم والتصورات، وخدمة الأجهزة الاصطلاحية لكل علم من هذه العلوم التي نشأت في هذه الحضارة.

وتطورت هذه الحاجة لدرجة دعت علماء المعجمية المختصة في التراث العربي إلى جمع مصطلحيات العلوم في معجمات خاصة عرفت باسم: معاجم المصطلحات المتعددة العلوم، وسميتها باسم معاجم المصطلحيات في (معاجم المصطلحيات في تراث العربية: مدخل للاستثمار المعاصر) [انظر: ص:٨ وما بعدها].

وكان مما ازدهر، ونضج مختلطا بغيره أو مستقلا عن غيره، علم البلاغة، فاحتاج دارسوه أصحاب هذه المعاجم المختصة إلى جمع مصطلحيته، وتحريرها.

ويهمنا في سياق قراءة أثر البلاغة العربية في المعجمية المختصة معجمان من معاجم المصطلحيات هما:

أ- مفاتيح العلوم، للخوارزمي، المتوفى سنة ٣٨٧هـ.

ب- مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، المنسوب للسيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ.

ويمتاز هذان المعجمان بأنهما أوردا المصطلحات مرتبة ترتيبا علميا؛ أي جاءت مصطلحات البلاغة مجموعة في حيز موضوعي واحد، وليس وفق الترتيب الهجائي، مما يعكس الوعي المبكر بخصوصية الجاهز الاصطلاحي للبلاغة العربية.

ثم ينضاف ملمح آخر في مفاتيح العلوم، للخوارزمي وهو انضواء مصطلحية علم البلاغة تحت قسم علوم الشريعة وما يقترن بها من العلوم العربية، وهو ما يعكس إدراك تصنيف العلوم في هذه الحضارة ضمن علوم العربية، بما هي آلات خادمة للشريعة.

(٣/١/أ) معالجة المصطلح البلاغي في مفاتيح العلوم، للخوارزمي، المتوفى سنة ٣٨٧هـ:

عالج الخوارزمي الكاتب المصطلح البلاغي في أكثر من موضع/ موضوعي من معجمه المفاتيح، وهذه المواضع الموضوعية هي:

أولا- كتاب الرسائل: يقول [ص:٧٢]: "وأنا ذاكر في هذا الفصل ما هو خاص لهم دون طبقات الكتاب في نقد الكلام ووصف نعوته وعيوبه". ومما ذكره في هذا الفصل: التسجيع/ والترصيع/ والتضريس/ والمقابلات/ وغيرها من المصطلحات.

ثانيا- في نقد الشعر: ومما ذكره في هذا الموضع: التشبيه/ والاستعارة/ والمذهب الكلامي (أو أسلوبه الحكيم)، وغيرها من المصطلحات.

صحيح أن الخوارزمي الكاتب لم يفرد فصلا يجمع فيه مصطلحية البلاغة، أو البيان والمعاني والبديع، ولكن ما أورده من مصطلحات في هذين الفصلين يكشف عن انتمائها لهذا العلم صراحة.

وبهذا يمكن القول بأن نضوج الدرس البلاغي واستقلاله، وتمدده في وقت مبكر كان من ثمراته توجه المعجمية المختصة للعناية بمصطلحيته على مستويات:

- الجمع.
- والتصنيف.
- والتحرير والشرح.

وبعض ما يميز منجز الخوارزمي في رعاية مصطلحية البلاغة ظاهر في الإطار التصنيفي الذي حكم معالجته، فقد اتضح من التصنيف أن المصطلح البلاغي جاء في سياق ظهر تعلقه بالشريعة، والدوران في رحابها بحكم انضوائه تحت قسم علوم الشريعة

وما يقترن بها من علوم العربية. وهو ما يكشف عن الوظائف التطبيقية والبرهانية التي اضطلعت بها البلاغة العربية منذ نشأتها، وهو ما يكشف عن طبيعة الاستجابة العملية للمعجمية المختصة لمطالبها المفهومية.

(٣/١/ب) معالجة المصطلح البلاغي في مقاليد العلوم في حدود الرسوم، المنسوب للسيوطي، سنة ٩١١هـ:

أفرد كتاب مقاليد العلوم بابا مستقلا لمصطلحات المعاني والبيان، قسمه ثمانية فصول جاءت كما يلي:

- فصل افتتحه بتعريف مصطلح: الخبر.
- فصل افتتحه بتعريف مصطلح: الإيجاز.
- فصل افتتحه بتعريف مصطلح: علم البيان.
- فصل افتتحه بتعريف مصطلح: التشبيه.
- فصل افتتحه بتعريف مصطلح: علم البديع.
- فصل افتتحه بتعريف مصطلح: الجمع.
- فصل افتتحه بتعريف مصطلح: التجنيس.
- فصل افتتحه بتعريف مصطلح: القلب المستوي.

وسبق هذا الفصول الثانية ما يشبه أن يكون مدخلا بين يديها افتتحه بتعريف مصطلح: علم المعاني.

وقد تضمنت مجموعة هذه الفصول ما يقرب من خمسة وستين ومئة مصطلح جمعت ألفاظ علوم البلاغة جميعا.

وقد اكتفي هذا المعجم بتعريف مصطلحات البلاغة مستعملا طريقة التعريف بالمحكم الذي يتأسس على استجماع الخصائص أو السمات الدلالية الفارقة التي تميز كل مصطلح من غيره، من غير تمثيل، ولا شواهد.

لقد كشفت معالجة هذين المعجمين لمصطلحية البلاغة العربية أن تمدد الجهاز الاصطلاحي الحامل لمفاهيمها كان له الأثر الظاهر في تأسيس المعجمية العربية المختصة التراثية، وتعميق مسارتها، وهو ما ظهر في التصنيف الموضوعي أو العلمي لمجموعة مصطلحات البلاغة، وظهورها في حيز مجتمع في هذين المعجمين المختصين.

(٣/١/ج)

وقد اعتنت بقية معاجم المصطلحيات التي رتبت المداخل/ المصطلحات ترتيبا هجائيا بكثير جدا من مصطلحات علم البلاغة، موزعة على أبوابها وفق الترتيب الألفبائي، مقرونة في أبوابها بما يكشف عن مستوى استعمالها، وهو ما نراه في المعجمات التالية:

أ- التعريفات، للجرجاني، المتوفى سنة ٨١٦هـ.

ب- التعريفات والاصطلاحات، لابن كمال المتوفى سنة ٩٤٠هـ.

ج- التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، المتوفى سنة ١٠٣١هـ.

د- الكليات، للكفوي، المتوفى سنة ١٠٩٤هـ.

ه- كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، المتوفى سنة ١١٥٨هـ.

و- جامع العلوم في اصطلاحات العلوم= دستور العلماء، للأحمد نكري، المتوفى سنة ١١٧٣هـ.

ومن أمثلة ما نشير إليه من إيراد المصطلحات في بابها من الحرف الهجائي مقرونا بما يدل على مستوى استعمالها، الكاشف عن انتمائها المعرفي لعلم البلاغة، ما جاء عند الجرجاني، في (التعريفات) [ص:٨١م ٣٦٨ رسم: التشبيه]، يقول: "التشبيه: في **اصطلاح علماء البيان**: هو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء في نفسه؛ كالشجاعة في الأسد"!

وفي مثل ذلك يقول المناوي في: (التوقيف على مهمات التعاريف) [ص: ١٧٧ رسم: التشبيه]: "وهو **عند البيانين**".

وبهذا يظهر أن المعجمية العربية التراثية المختصة استجابت لمطالب الدرس البلاغي في التراث العربي بعد استقراره، واستقلاله، ونضوجه، وتمدده.

(٢/٣) استجابة المعجمية العربية المختصة المعاصرة لمطالب البلاغة العربية.

كان من ملامح رعاية مطالب خدمة البلاغة العربية ظهور معجمات مختصة بمصطلحيتها، وقد ظهر من منجز المعاصرين الذين صنعوا معاجم لمصطلحات البلاغة العربية وعي بأثر البلاغة في هذا الميلاد لهذه المعجمات، وعبروا عن أن استجابة المعجمية العربية المختصة المعاصرة كان بتأثير مباشر من إرادة خدمة الدرس البلاغي.

وقد ظهر معجمان كاملان استهدفا تحقيق هذه الخدمة، هما:

أ- معجم البلاغة العربية، للدكتور بدوي طبانة، الذي أصدره سنة ١٩٧٥م.

ب- معجم مصطلحات البلاغة وتطورها، للدكتور أحمد مطلوب الذي أصدره سنة ١٩٨١م. مسبوقا بمحاولة غير مكتملة بعنوان: مصطلحات بلاغية، صدرت في كتاب سنة ١٩٧١م.

(٣/٢/أ) وعي معجم البلاغة العربية، للدكتور بدوي طبانة بأبعاد الاستجابة لمطالب خدمة الدرس البلاغي:

لقد كشف تحليل مقدمة الدكتور بدوي طبانة التي صنعها لمعجم البلاغة العربية عن عدد من العلامات التي تعكس استجابة المعجمية المختصة المعاصرة لمطالب خدمة الدرس البلاغي.

وقد كشفت هذه المقدمة عن الدواعي وراء صناعة هذا المعجم وهي الدواعي والمطالب التي يمكن إجمالها في ما يلي:

أولا- تحقيق مقصد القيام بواجب العلم أو التخصص (المسئولية العلمية)، يقول الدكتور بدوي طبانة [ص:٧]: إنه تقدم إلى صناعة هذا المعجم بسبب من المسئولية العلمية التي يعبرها قائلا: "إننى رأيت من واجبي أو من حق العلم علي وحق التخصص أن أقدم على إنجازه".

ثانيا- الاستجابة لمطالب خدمة الدرس البلاغي، وتعميق فهم مسائله ومفاهيمه وتطورها. يقول الدكتور بدوي طبانة [ص:٧]: "ومن الحق أن أقرر أن الإقدام على تأليف... معجم جامع لفنون تلك الثقافة البلاغية عند العرب- كان عبئا ثقيلا، وكنت أول من يحس بفداحة هذا العبء، ويعد أثره في الحفاظ على هذا التراث".

ويقول [ص:٦]: "كنت أشعر دائما بأن ما أقدم عليه من محاولة إخراج معجم جامع لمصطلحات البلاغة العربية وأدواتها وفنونها ليس بالشيء اليسير، فلا يستطيع جهد واحد من المختصين أن يوفيه حقه كاملا إلا بعناية الله"، وكان ذلك منه بسبب: "الاعتقاد بفائدته المحققة التي يعيبها الوقوف على الأسلاف، والتراث على كل ما هو نافع، وأصيل فيه".

ثالثا- تحقيق مقصد التيسير على الدارسين، لقد ألمح الدكتور بدوي طبانة إلى أنه أقدم على صناعة هذا المعجم، تلبية للتغلب على: "المعاناة المتصلة" وهو ما دفعه إلى أن يقوم: "بهذا الواجب"!

رابعا- الاستجابة للفراغ في المكتبة البلاغية من جهة خدمة الجهاز الاصطلاحي، يقول الدكتور بدوي طبانة [ص:٩]: "وبقيت بعد ذلك (البلاغة العربية) من غير معجم يلم شمل فنونها، ويضم شتات مصطلحاتها التي كانت لها دلالات وضعية عند أصحاب اللغة الأولين، ثم جنح بها العرف البلاغي الخاص إلى تحديد المفهوم الخاص لكل دلالة من تلك الدلالات الوضعية لتصبح مصطلحا بلاغيا محدد المعنى واضح المفهوم".

ثم يقول [ص:١٠]: "بقيت البلاغة العربية من غير معجم حتى هذا الزمان وتلك الأسباب هي التي دفعتني إلى تأليف هذا المعجم منذ أحسست بفراغ مكانه في المكتبة العربية والحاجة الملحة إلى ملء هذا الفراغ منذ جنح التخصص العلمي إلى البحث البلاغي والنقد الأدبي منذ أكثر من ثلاثين عاما".

لقد اتضح من فحص هذه المقدمة التي كتبها الدكتور بدوي طبانة لمعجمه البلاغي كيف استجابت المعجمية المختصة المعاصرة لمطالب خدمة المفاهيم البلاغية بظهور هذا المعجم المختص بمصطلحيته جمعا، وترتيبا، وشرحا.

(٣/٢/ب) وعي معجم مصطلحات البلاغة وتطورها، للدكتور أحمد مطلوب بأبعاد الاستجابة لمطالب خدمة الدرس البلاغي:

كشف الدكتور أحمد مطلوب في مقدمة معجمه عن وعي بأبعاد الاستجابة لمطالب خدمة الدرس البلاغي، وأثرها في ظهور معجمه، وتتلخص علامات هذا الوعي بهذه الأبعاد في ما يلي:

أولا- معجم مصطلحات البلاغة طريق للدراسة العميقة لمسائل البلاغة وقضاياها ومفاهيمها:

يقول الدكتور أحمد مطلوب [ص:٧]: "البلاغة العربية ذات التاريخ العريق أحوج ما تكون إلى الدراسة العميقة، وسبر اتجاهاتها لتصل إلى مرحلة تستشرف فيها مستقبلا زاهرا ينير معالم الطريق، وأول خطوة إلى التراث البلاغي- دراسة مصطلحاتها وتطورها وإبرازها بثوبها العربي الأصيل، ولن يتم ذلك إلا بوضع معجم يجمع جزئياتها، وينسقها في عرض تأريخي يظهر تطورها ويحدد معالمها". ففي هذا النقل يتضح أن وضع هذا المعجم جاء استجابة لمبدأ تعميق دراسة البلاغة في العصر الحديث.

ثانيا- إرادة تجديد الدرس البلاغي:

يقول الدكتور أحمد مطلوب [ص:١٠]: "ويذهب (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها) إلى أبعد من ذلك- فهو يقدم للدارسين معرفة الجديد". ويقول قبل ذلك [ص:٧]: "والمجدد إن لم يصدر عن التراث يظل بعيدا عن الأصالة؛ لأن التجديد قتل القديم درسا".

وهذه الغاية تتحقق بتلبية مجموعة من الوظائف في هذا المعجم، من مثل:

أ- بيان تأثر اللاحقين بالسابقين من البلاغيين.

ب- تقريب فنون البلاغة وربطها بالنصوص.

ج- تيسير معرفة المصادر والمظان.

ثالثا- تحقيق مقصد التيسير على الباحثين:

لقد تكرر من الدكتور أحمد مطلوب في مقدمة معجمه البلاغي أن واحدا مما حكمه في صناعته هو التيسير على الباحثين، وتوفير مجهودهم وأوقاتهم، يقول [ص:١٠] بعد أن وضح بعضا من موائز المعجم: "وبذلك تسهل المراجعة وتكثر الفائدة من المصادر التي استقى المعجم منها مادته، وهي مصادر كثيرة يتصل بعضها بالبلاغة والنقد، ويرتبط بعضها بكتب الأدب والنوادر، وليس ذلك بقليل لمن يريد أن يكسب من الوقت ساعات يقضيها في النظر والتأمل والتدقيق والحكم". وهذا الفرض واضح التأثير جدا على عناصر المنهج التي اتبعها الدكتور أحمد مطلوب في ترتيب معجمه البلاغي.

رابعا- الاستجابة للنقص المستولي على المعجم العربي من جهة التأريخ:

لقد لمس الدكتور أحمد مطلوب النقص الواقع في المعجمية العربية من خلوها من معجم تأريخي، فتقدم بمحاولة [ص: ٩-١٠]: "أريد بها وضع معجم تأريخي لهذا الفن الذي لم ينضج ولم يحترق، وهو معجم يقوم على ترتيب الأنواع ترتيبا هجائيا لتسهل مراجعة النوع، وجمع أجزائه في مادة واحدة، والإشارة إليها إذا جاءت منفردة، وجمع الآراء المختلفة في الفن الواحد، لتسهل معرفة أول من بحث فيه، **وينتفع مؤرخ البلاغة،** ومن تعينه المقارنة بين الفنون عند العرب، وغيرهم من الأقدام... وارتباط مصطلحات البلاغة بالمتقدمين منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم، واللغويين، والنحاة الأوائل".

من مجموع هذه الآراء التي سردها الدكتور أحمد مطلوب في مقدمة معجمه البلاغي يظهر أثر الاستجابة لمطالب الدرس البلاغي، وتجديده وتأريخ مسائله، وتطور قضاياه، ومفاهيمه في صناعة هذا المعجم البلاغي.

لقد كشف معجما الدكتور بدوي طبانة والدكتور أحمد مطلوب أن الاستجابة لمطالب الدرس البلاغي المتنوعة كانت حاسمة في تلبية المعجمية العربية المختصة المعاصرة لهذه المطالب بأعمال معجمية مختصة، لم يكن لها مثيل مطابق في القديم، وهي أعمال سعت إلى تحقيق ما يلي:

أ- استيعاب مصطلحات البلاغة العربية، فقد أورد الدكتور طبانة (٩٨١) مدخلا رئيسا وأورد الدكتور أحمد مطلوب نحو (١١٠٠) مدخل.

ب- التعريف الدقيق للمصطلحات البلاغية.

ج- ذكر المترادفات والمتداخلات مع كل مصطلح بلاغي.

د- التمثيل على المصطلحات بهدف توضيح التصورات والمفاهيم.

هـ- رعاية التطور التأريخي لكل مفهوم بلاغي.

و- العناية بالتوثيق تيسيرا على الباحثين، وتوفيرا للوقت والجهد.

إن هذين المعجمين كاشفان عن التأثير البلاغي في مسيرة المعجمية العربية المختصة المعاصرة.

(٤) أثر البلاغة في تطوير المعجمية العربية: آفاق المستقبل.

إن فحص أثر البلاغة في تطوير المعجمية العربية على مستويي التصنيف والوظائف كشف عما يمكن أن يكون مدخلا للآفاق المستقبلية.

إننى أتصور أن المستقبل في حاجة إلى تلبية الأنواع التالية من المعجمات البلاغية:

أولا- معاجم المجازات العربية:

ويمكن أن تمثل كتب مجازات القرآن، والمجازات النبوية، للشريف الرضي بداية مهمة على طريق إنجازها.

ثانيا- معاجم الاستعارات العربية.

ثالثا- معاجم التشبيهات العربية:

ويمكن أن تمثل كتب التشبيهات لابن أبي عون والتشبيهات للكتاني الطبيب وغيرهما البداية على طريق صناعتها.

رابعا- معاجم الكنايات العربية:

ويمكن أن تمثل كتب الكناية للثعالبي، والكنايات للقاضي الجرجاني، وغيرهما بداية على طريق إنجازها.

خامسا- معاجم الرموز:

وأقصد بها معجمات تجمع ما يمكن أن يكون صورا ورموزا تضيف أبعادا بلاغية تعين على تحليل النصوص، وتفسيرها.

سادسا- معاجم الإحالات الضمنية:

ويقصد بها المعاجم التي تجمع الاقتباسات الدائرة في النصوص المختلفة، وتفسيرها.

(٥) خاتمة:

عالج هذا البحث نقطة ضيقة تتعلق بفحص أثر البلاغة العربية في المعجمية على مستويي التصنيف والوظائف.

وتوصل إلى عدد من النتائج، هي:

١- ظهور تأثير للبلاغة العربية في المعجمية العامة والمختصة، طالت الاتجاهات والمدارس والتصنيف حتى العصر الحديث.

٢- ظهور تأثير للبلاغة العربية في المعجمية العامة على مستوى الوظائف المعجمية، ولا سيما في باب شرح المعنى، في مجال المعنى المجازي، والسياقي معا.

٣- ظهور الحاجة إلى إعادة النظر في التصنيف المعجمي، تبعا للاعتبارات، وتقترح هذه الورقة الاعتبارات التالية:

أولا- التصنيف وفق اعتبار منظور المستعمل (صوتية/ وأبنية/ وهجائية/ وموضوعية).

ثانيا- التصنيف وفق اعتبار طبيعة المادة اللغوية (معاجم عامة/ ومختصة).

ثالثا- التصنيف وفق اعتبار الوضع والاستعمال (معاجم لغوية/ ومعاجم استعمال).

رابعا- التصنيف وفق اعتبار الوظيفة المتوقعة.

خامسا- التنصيف وفق اعتبار ترتيب المداخل.

٤- كشف البحث عن ملامح تطور في تاريخ المعجمية، لم تستثمر الاستثمار الكافي فيما بعد.

٥- حاولت الورقة أن تفتح آفاقا نحو المستقبل، يمكن أن تمثل مسارات لتجليات تأثير البلاغة العربية في تطوير المعجمية العربية المعاصرة.

٦- كشفت الورقة عن بعض شعور في الدرس المعجمي المعاصر بهذا الأثر من دون تنميته، ومن دون استثماره معا.

٧- صممت هذه الورقة بعضا من الآراء في النظر إلى عدد من علاقات بعض المعاجم بالدرس الأدبي والبلاغي.

***

السفينة في المعجمية العربية
قراءة في آفاق القدرة والمرونة اللغوية

يمثل مشكل العلاقة بين العربية والمنجز الحضاري مفردة من مفردات البحث اللساني والمعجمي، يقع في الصميم من اهتماماته ومشاغله.

ومثل سلاحا من طرفي المتحيزين لكل فئة، من المنتصرين لضرورة تعريف العلوم، ومن المخاصمين للتعريب، المدافعين عن استيراد العلوم بوعائها اللساني الذي أنتجها!

وفي هذا البحث محاولة لفحص أبعاد القدرة والمرونة التي منحتها العربية لواحد من أظهر تجليات الحضارة المادية الجديدة على الحياة العربية، وهو حقل السفينة وألفاظه ومصطلحاته في اللسان العربي.

وسعيا إلى هذه الغاية يعالج هذا البحث المطالب التالية:

١- مدخل: البحر وجهة جديدة للعربي المسلم!

٢- السفينة في المعجم العربي: المدونة والعلاقات المعرفية:

(٢/١) المدونة (معجمات السفينة في العربية).

(٢/٢) علاقات السفينة المعرفية.

٣- مصطلح السفينة: قراءة في نتائج التأصيل اللغوي.

٤- مصطلح السفينة: أنماطه ودلالاته.

٥- آفاق استثمار البحث المعجمي في مصطلح السفينة.

إن أمثال هذه البحوث المعجمية تعي وضعها الذي يراوح مناطق البحث المعجمي، وعلم المصطلحات والسياسات اللغوية، وتاريخ اللغة.

وهو نوع من بحوث التحيز بالمعنى المنهجي الذي يتعاطف مع منجز هذه الحضارة، التي فجرها الكتاب العزيز!

وهو كذلك نوع من بحوث المعجمية التطبيقية والنظرية معًا الذي يمكن بوساطته فحص بعض الإشكالات التاريخية في المجال المعجمي، والإسهام في اتخاذ قرار سلبي أو إيجابي بشأنها، ولا سيما في ظل استمرار الجدل الدائر حول كثير منها إلى اليوم في الأوساط المتخاصمة فكريا/ أو أيدلوجيا في الأساس.

لقد بات واضحا أن "اللغة تقع في قلب هذا الصراع"[(١)] على هوية مصر على الأقل، وهو ما قد يكون صحيحا في كثير غيرها من بلدان المنطقة العربية.

ولعل اختيار هذه المناطق الجديدة من المعجمية بأبعادها النظرية (التاريخية) والتطبيقية من جانب والمشتبكة بعلم المصطلحات من جانب آخر تكون طريقا واضحة وناجزة لفحص كثير من المشكلات العالقة في هذا الباب.

(١) مدخل: البحر وجهة جديدة للعربى المسلم!

(١/١) خطاب التأسيس.

معلوم جيدا أن القرآن الكريم مثل نقطة تحول جوهري في تكوين العقل العربي في رؤية الكون والحياة من جوانبها جميعا.

لقد جاء ذكر القرآن الكريم للبحر متنوع التصريف، فكانت قائمة استخدامه لتصريفاته كما يلي[(٢)]:

أ- بحر/ بالإفراد في ثلاث وثلاثين مرة (٣٣ مرة) (نكرة/ ومعرفة).

ب- بحران/ بالتثنية في خمس مرات (٥ مرات) (نكرة/ ومعرفة).

ج- بحار/ أبحر بالجمع ثلاث مرات (٣مرات) (٢ بحار/ ١ أبحر).

أي أن مجموع ما جاء هو إحدى وأربعون مرة (٤١ مرة) وقد أحاطت بها العلامات التالية:

---

(١) لغة مقدسة وناس عاديون: معضلات الثقافة والسياسية في مصر، لنيلوفر جائري، ترجمة عيدراوس ومراجعة مديحة دوس، المركز القومي للترجمة، القاهرة، سنة ٢٠١١م. (١٦٩٢)، ص٢٥٨.

(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٦م، ص: ١٤٠.

أولا- توزع استخدامها على القرآن المكي والمدني.

ثانيا- توزع استخدامها موضوعيا، بمعنى استخدامها في سياق الإخبار، والقصص، وفي سياق التذكير بنعمة الله، وفضله، وقدرته سبحانه، وفي سياق المستقبل تحذيرا من وعيد الله تعالى.

ثالثا- تنوع وظائف استخدامه، بمعنى أن الذكر الحكيم استخدم تصاريف البحر، إفرادا وتثنية وجمعا لتحقيق وظائف متنوعة من مثل:

أ- إثبات صدق الرسالة؛ الإنباء عن الغيب الماضي

ب- الدعوة إلى توحيد الله تعالى بالدلالة على براهين قدرته في البحار، وما يسيره فيها، وما يخرجه منها.

ج- التنويع في دعوة المخاطبين بالترغيب، والترهيب والإقناع.

د- إثبات صدق النبي صلى الله عليه وسلم في نبوته.

هـ- فتح آفاق للأمة للنهوض الحضاري بتوظيفهم للبحر، طريقا للنقل والمواصلات، ومصدرا للغذاء والثروة، ومجالا للتصنيع والطاقة... إلخ.

ثم إن طائفة من هذه الآيات التي جاءت في الكتاب العزيز وردت مقترنة بذكر ما يدل على السفينة، فقد جاء البحر مقترنا بما يلي:

أولا- البحر/ الجواري.

ثانيا- البحر/ السفينة.

ثالثا- البحر/ الفلك.

وإليك قائمة هذه الاستخدامات:

أولا- البحر/ الفلك (=السفن).

وقد جاء الاقتران بين البحر والفلك أكثر علاقات الاقتران الثلاثة تكرارا في المواضع التالية:

- سورة البقرة ٢/ ١٦٤: ﴿ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾.

- سورة إبراهيم ١٤/ ٣٠: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ ﴾.

- سورة الإسراء ١٧/ ٦٦: ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾.

- سورة الحج ٢٢/ ٦٥: ﴿ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ﴾.

- سورة لقمان ٣١/ ٣١: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ ﴾.

ثانيا- البحر/ الجواري (السفن).

وقد جاء الاقتران بين البحر والجواري في المرتبة الثانية من جهة الاستخدام كما يلي:

- سورة الشورى ٤٢/ ٣٢: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ ﴾.

- سورة الرحمن ٥٥/ ٢٤: ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ ﴾.

ثالثا- البحر/ السفينة.

جاءت العلاقة (البحر/ السفينة) في المرتبة الأخيرة إحصائيا، في موضع واحد هو قوله تعالى:

- سورة الكهف ١٨/ ٧٩: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ ﴾.

وثمة علاقة أخرى بين البحر/ والسفينة، لكنها علاقة تضمينية؛ أي لم يصرح فيها بلفظة (الفلك/ أو الجواري/ أو السفينة)، ولكنها متضمنة في سياق الآيات في المواضع التالية:

- سورة المائدة ٥/ ٩٦: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ ﴾ ولا يكون الصيد بغير مركب.

- سورة الأنعام ٦/٦٣: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ ولا تكون النجاة من ظلمات البحر إلا بعد ركوبه.

- سورة الأنعام ٦/٩٧: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾.

- سورة يونس ١٠/٢٢: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ والسير في البحر يلزمه سفينة!

- سورة النحل ١٦/١٤: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ ولا يكون الأكل من لحم البحر إلا بعد الصيد، ولا يكون إلا بعد ركوبه.

ففي هذه المواضع جميعا قرائن تفرض حضور الفلك أو الجواري أو السفينة بما هي أدوات السير والصيد في البحر.

إن هذا الاستخدام لأنواع السفن المتضمنة في الآيات والمستنبطة بحكم تنوع الأوصاف والقرائن اللفظية والعقلية المطيفة بها قاطعة في أن العرب كانوا على معرفة بالبحر، وركوبه وسفنه ولو تاريخيا!

وهو الأمر الذي استثمره الكتاب العزيز في اتجاهات كثيرة خادمة لفكرته الدينية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية الحضارية.

(٢/١)

من جانب آخر فإن فحص ما ورد في السنة المشرفة مما يتعلق بالبحر يلمس نوعا من اتساع آفاق النظر إليه في وجهة العقل العربي المسلم؛ فقد وقف الفقهاء أمام مجموعة الأحاديث واستنبطوا منها أبوابا كاملة تفضي إلى هذا الذي نذهب إليه ومما يمكن التنبه إليه في هذا السياق ما يلي:

أولا- حل ما يلقيه البحر من طعام.

ثانيا- إحلال غزو البحر، وما يتعلق به من شهيد البحر، وثوابه.

ثالثا- شيوع النظر إليه بابا لتقدير عظمة الله تعالى، واستطالة قدرته سبحانه.

إن مراجعة السنة في هذه المحاور مهم جدا؛ لتكملة بيان ما نفذ منها ومن الكتاب العزيز إلى بنية الثقافة العربية، واستقر فيها من النظر إلى البحر وما نشأ بسبب من صناعات حضارية تتعلق بمعجم السفينة.

وسنعتمد ما ورد في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، لفنسنك[1] في بيان أمثلة الأحاديث الكاشفة عن هذه المحاور:

أولا- البحر/ الطعام:

"البحر الطهور ماؤه، الحل ميتته".

"كانا لا يريان بها لفظ البحر بأسا".

ويستفاد من مثلها حل طعام صيد البحر، وما تلقيه من أرزاقها، وأسماكها.

ثانيا- البحر/ الجهاد:

"لا يركبون ثبج هذا البحر".

"فغزا في البحر فحملها معه".

"غزوة في البحر مثل عشر غزوات في البر".

"المائد في البحر كالمتشمط في دمه في البر".

ثالثا- البحر/ دليل عظمة الله وقدرته:

"حطت عنه خطاياه، وإن كان مثل زبد البحر".

"أمر الله البحر فجمع ما فيه".

"حلف بالله الذي فلق البحر لموسى".

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، لفنسنك، مكتبة بريل، مدينة ليدن، سنة ١٩٣٦م، (١/ ١٤٤ وما بعدها).

ويستفاد منها تقدير الصفات الإلهية من باب هيمنته سبحانه على البحر في التصور الثقافي العربي المدعوم بالأخبار والتاريخ والمشاهدات.

وتتشعب العلاقات التي تدخل السفينة والفلك طرفا بدرجة أكبر مما هي عليه في العلاقات التي ظهرت من فحص آيات الكتاب العزيز، وهو أمر منطقي له ما يسوغه لأن السنة المشرفة هي النص المفسر، الموضح للذكر الحكيم.

وفحص هذه العلاقات كاشفة عن أبعاد الوجهة الجديدة التي نزلت في العقل المسلم بسبب روح الإسلام، ومما يظهر من نصوص الأحاديث ما يلي[1]:

أ- السفينة/ النجاة: "السفينة نجاة".

ب- السفينة/ زيادة الأجر: "لكم أنتم أهل السفينة هجرتان".

ج- السفينة/ الحضارة: "إنها يطلى بها السفن".

"كأنه جمالات صفر حياة السفن".

د- السفينة/ التجارة والنقل: "أن ركبنا في سفينة بحرية".

"حمل معه في سفينة"

ومن هذه الحقول الأربعة الفرعية يظهر أن السفينة دخلت في علاقات كاشفة عن حضور ثقافي وحضاري في بنية العقل العربي، زاد وتشعب بفضل تفاعله مع بقية الخصائص العمرانية والحضارية التي مثلت جزءًا جوهريًّا من مقاصد الشريعة الإسلامية.

إن أي دراسة لفيلولوجيا السفينة في الثقافة والمعجمية العربية، لا يمكن تجاوز ما أحله الكتاب العزيز والسنة المشرفة في بنيتها بأي حال من الأحوال. وهذه النتيجة ظاهرة جدا

---

(١) انظر:المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (٢/٤٧٥) و(٣/١٩٨).

من مجموع ما تكشف من تحليل العلاقات التي دخلت فيها السفينة في هذين النصين الجليلين معا.

صحيح أن المتأمل لا يعدم أمثلة لحضور البحر/ السفينة في مدونة النصوص العربية القديمة الجاهلية لكن هذا الحضور لا يمكن أن يقارن بما أحدثه التصور الإسلامي من خلال الكتاب العزيز والأحاديث النبوية المشرفة في العقل العربي من تمدد لهذا الحضور، أصاب مناطق واسعة جدًّا وعمقها، لدرجة وصلت بالحضارة الإسلامية في زمان ما أن يكونوا سادة البحار بلا منازع على الرغم من عراقة كثير من الأمم الأخرى في علاقتها بالبحر/ السفينة في التاريخ الإنساني.

إن التذرع بفيلولوجيا البحر وعلائقه وسيلة معروفة في كثير من المجالات المعرفية الاجتماعية وغيرها على ما نرى مثلا في صنيع بريدراج ماتفيسجيفتش عندما لاذ بالمعجم ليكتب جزءًا من تاريخ البحر المتوسط في تراتيل متوسطية[1].

(٢) السفينة في المعجم العرب: المدونة والعلاقات المعرفية.

اتضح من تحليل حضور البحر/ السفينة في خطاب التأسيس أن هذا الحضور يتجاوز الحدود الأولية، إلى عدد من العلاقات المهمة في بنية الثقافة العربية، وأتاح لها الكتاب العزيز والسنة المشرفة تمددا وتشعبا ظاهرين.

وفي هذه النقطة من البحث نقف أمام: السفينة في المعجمية العربية مستهدفين الكشف عن حدود المدونة، وأشكال العناية بها.

---

(١) انظر: تراتيل متوسطية، لبريدراج ماتفيجيفتش، ترجمة عبد الجليل ناظم، وسعيد الحفصالي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠٧م (ص:١٣٩)؛ حيث يقول: "يمكننا الكشف عن مجموعة من الأشياء والكلمات ووجهات النظر والمواقف وإن أدبيات الملاحة تعرف كثيرا من أنواع المصطلحات المرتبطة بمختلف الميادين، وكل من يحاول الكتابة عن البحر المتوسط يلتجئ إليها"! ويقرر أن معجم البحر والملاحة أصابه ما يصيب غيره من التطور الدلالي؛ فيقول (١٩٤ في فصل المعجم من الكتاب): "لقد غير الزمن معنى كثير من الكلمات المتعلقة بالملاحة والبحر، كما غير كثيرا من الكلمات الأخرى"!

(١/٢) السفينة في المعجم العربي: المدونة.

ومقصودنا بالمدونة هنا الأشكال المادية التي ظهر من خلالها العناية بجمع ألفاظ السفينة في العربية، وهي ما نرى أنها صالحة لأن تتوزع على مرحلتين، بمفهوم التصنيف، لا بمفهوم المرحلة التاريخية؛ هما:

(١/١/٢) السفينة في المعجم العربي: مدونة ما قبل الاستقلال.

(٢/١/٢) السفينة في المعجم العربي: مدونة الاستقلال (معجمات السفينة).

لقد كان مدهشا تغطية مساحة كبيرة من ألفاظ معجم السفينة في مصادر لغوية وغير لغوية في تاريخ التأليف في الحضارة العربية بتأثير الإسلام.

(١/١/٢) السفينة في المعجم العربي: مدونة ما قبل الاستقلال.

في هذه النقطة نحاول أن نثبت أن المعجمية العربية– في تاريخ متقدم– تنبهت إلى جدارة السفينة، بما هي موضوع، بالعناية، والرعاية وربما كان كافيا في هذا السياق التدليل بعدد قليل من الأمثلة الكاشفة.

أولا– ولعل الذهاب إلى معاجم الموضوعات يكون نقطة تمثيل صالحة لما نقرره من علامات هذه العناية التي منحتها المعجمية العربية قديما لألفاظ هذا الحقل، وفي هذا الصدد يقابلنا أهم معجمات هذا النوع، وهو:

– المخصص، لعلي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي، المتوفى سنة ٤٥٨هـ، إذ أفرد فصلا (حقلا) للسفينة (ق٣) ١٠/٢٣-٢٩؛ وفصلا (حقلا) آخر بعده بعنوان: ما يشبه السفينة (ق٣) ٢٩/١؛ ومن الجديد بالذكر أنهما جاء تاليين لباب البحر ونعوته وجزره وأسماء ساحله وما فيه من الحيتان والملاحظة البيئية التي تلوح من تحليل هذا الترتيب هي وضوح العلاقة الدلالية، والمعرفية بين البحر/ والسفينة؛ في تطبيقات المعجمية العربية، كما نرى في هذا النموذج.

وتحليل مادة هذين الحقلين يلحظ أن المعجمي العربي كان واعيا بمجموعة الحقول الفرعية المنضوية تحت حقل السفينة، وقد ضم ما يلي:

أ- ألفاظ السفينة (حقل علوي).

ب- ألفاظ أسماء أجزاء السفينة، ومكوناتها.

ج- ألفاظ أسماء الملاحين العاملين على السفينة.

د- ألفاظ أسماء ما يلحق بالسفن مما يجري في البحر مما هو دون السفينة.

ه- ألفاظ أسماء بعض الأدوات المستعملة في صناعة السفينة.

كما يكشف تحليل شروح المداخل أمورا مهمة جدا تختص بعدد من المجالات الحضارية من مثل:

أ- صناعة السفن (الإجراءات العملية).

ب- قواعد تصنيع السفن.

ج- مهارات الصناع، وما تحصل لهم من تجارب السنين في البحر.

د- مراكز تصنيع السفن في الجزيرة العربية، من خلال تسمية كثير من السفن بنسبتها إلى أماكن صناعتها، كالعدولية؛ المنسوبة إلى: عدولي بالبحرين.

هـ- تنوع السفن تبعا لتنوع الوظائف (كالصيد والقتال... إلخ).

و- تنوع السفن تبعا للأوضاع الاقتصادية في الأقاليم البحرية (سفن/ وأشباه سفن).

ز- بعض العادات الاجتماعية والتاريخية المبثوثة في بعض التعليقات على معنى بعض المداخل.

إن تحليل ما أورده ابن سيده في المخصص كاشف عن بعض عناية قديمة بمعجمية السفينة، ظهرت في إطار تطبيقات المعجم العام وهو الأمر الذي ينبئ عن أهمية معالجته في هذا المجال.

ثانيا- ولعل التفكير المنطقي يفرض علينا فحص مجالين معرفيين يغلب الظن على عنايتهما بمعجمية السفينة بوجه خاص، وهما:

أ- مجال الكتابة في الرحلات (أدب الرحلات).

ب- مجال الكتابة في التاريخ (تاريخ الشعوب والأحداث المرتبطة بالبحر).

ذلك أن هذين المجالين يظهران عناية خاصة بسبب طبيعة البناء المعرفي لهما وهو باب واسع يحتاج نوع تتبع، وجمع وفحص وتحليل.

وتعد المقدمة التي صنعها: هانس كندرمان عن مصادر دراسة معجمية السفينة في كتابه (مصطلح السفينة عند العرب) خطوة جيدة في هذا الباب[1].

ومن المصادر المهمة التي أشار إليها كندرمان: (كتاب قوانين الدواوين) لابن مماتى المتوفى ٦٠٦هـ.

وقد جاءت عناية ابن مماتي بقائمة أسماء السفن التي ذكرها، بسبب ما أرداه الرجل لكتابه أن يكون في التاريخ الإداري والزراعي للدولة المصرية في عصره (الدولة الأيوبية)، فصنع فصلا للأسطول المنصور(ص٣٣٩)، يقول في مفتتحه "وهو الآن يجري في جيش المصريين، وسنذكر... أسماء مراكبه"[2].

صحيح أن القائمة التي ذكرها الوزير الأسعد بن مماتي تعد من القوائم المعجمية القصيرة، لكنها مهمة من أكثر من جانب:

أ- هي في سياق الغرض الذي سبقت من أجله في تحليل تكوين الجيش المصرى في مرحلة تاريخية قديمة.

ب- هي مهمة لأنها تختص بنوع بعينه من السفن، هي السفن الحربية.

ج- هي مهمة لأنها تكشف عن وظائف مختلفة للسفن في المجال الحربي، فمنها سفن للمقذوفات، ومنها سفن لحمل الدواب والخيل، ومنها سفن لحمل المؤن، والأزداد... إلخ.

---

(١) انظر: مصطلح السفينة عند العرب، لهانس كندرمان، ترجمة نجم عبد الله مصطفي، المجمع الثقافي، بأبي ظبي، الإمارات العربية المتحدة، سنة ١٤٣٢هـ=٢٠٠٢م (ص١١-١٨).

(٢) كتاب قوانين الدواوين، لابن مماتي، تحقيق الدكتور عزيز سوريال عطية، وإشراف الأمير عمر طوسون، مصورة مكتبة مدبولي، القاهرة، سنة ١٤١١هـ=١٩٩١م (ص٣٣٩-٣٤٠).

وقد ضمت قائمة ابن مماتى ثمانية مداخل (=أسماء سفن)، وكانت طريقة شرحها معتمدة على بيان وظائفها؛ أي أن السمات الدلالية الفارقة التي تميز كل سفينة عن غيرها ظهر من بيان أمرين هما:

أ- وظيفة نوع كل سفينة.

ب- تكوين السفينة، وحجمها.

من هذين النموذجين يتضح لنا أن التراث العربي المعجمي العام وغيره من مجالات أخرى يضم ألفاظا كثيرة جدًّا للسفينة، تحتاج إلى التتبع، والجمع، والتنظيم، والتحليل، وهي صالحة لأن تخدم قطاعات علمية كثيرة تتعلق بتاريخ الحضارة العربية.

ولن تكون الثمرة المرجوة مقيدة إلا بعد توافر البحث على دراسة مصادر أسماء السفينة في اللسان العربي، وجمعها، وتدوين الملاحظات اللغوية (التأصيلية) والتاريخية، والحضارية عليها.

وبحث المصادر هذه مهم جدًّا، ما يزال يشهد قصورا ظاهرا في الأدبيات التي عالجت الموضوع إلى الآن!

(٢/١/٢) السفينة في المعجم العربي: مدونة الاستقلال (المعجمات المستقلة).

أظهرت دراسة مصادر أسماء السفن في العربية تنوع مجالاتها المعرفية، وقد مر في مطلب سابق بيان ملامح العناية بمعجمية السفينة في العربية في منطقتين معرفيتين. وأشرنا إلى عدد آخر من المظان التي يمكن أن تمثل منطقة خصيبة لمن يروم دراسة ألفاظ السفينة في العربية وأسمائها.

وقد تأخر استقلال التصنيف في أسماء السفن في العربية حتى العصر الحديث، وقد سبق التقليد الاستشراقى التقليد العربي في العناية بالتصنيف المستقل في معجمية السفينة في الحضارة العربية الإسلامية.

وقد وصلت إلينا المصنفات المعجمية التالية في هذا الباب:

أولا- في التقاليد الاستشراقية:

- **١٦٣٤م /هانس كندرمان= مصطلح السفينة عند العرب.**

وعنوانه بالألمانية:

Schiff im Arabischen untersuchung uber vorkommen und Bedeutung der Termini, Zwickau,1934.

وترجمته كما نقلها الصديق الدكتور/ رضا الدقيقي: السفينة في البحث العربي: دراسة عن دلالة المصطلح ومعناه، دار النشر: تسفيكا، بدن ١٩٣٤م.

ثانيا- في التقاليد العربية:

أ- ١٩٦٧م/ الدكتور جمال الدين الشيال=

"معجم السفن العربية، وهو مجموعة بطاقات وجزازات مخطوطة، كانت محفوظة بمكتب سكرتارية السيد وكيل (نائب رئيس) جامعة الإسكندرية للبحوث والدراسات العليا"(١) وقد ضمنها درويش النخيل كتابه عن السفن الإسلامية على حروف المعجم.

ب-١٩٧٤م/ الأستاذ درويش النخيلي/=

السفن الإسلامية على حروف المعجم، طبعة جامعة الإسكندرية، سنة ١٩٧٤م.

وفي ما يلي دراسة للبنيتين الكبرى والصغرى لهذين المعجمين؛ معجم كندرمان ومعجم النخيلي:

(١/٢/٢) ١٩٣٤م/هانس كندرمان= مصطلح السفينة عند العرب.

صدر هذا المعجم أولا بالألمانية ١٩٣٤م، ثم ترجمه: نجم عبد الله مصطفي، ونشره المجمع الثقافي، بأبي ظبي، بدولة الإمارات العربية المتحدة، سنة ٢٠٠٢م، يقول في تقييمه درويش النخيلي في مقدمة معجمه عن السفن الإسلامية: "وتجدر الإشارة هنا إلى واحد

---

(١) السفن الإسلامية على حروف المعجم، لدرويش النخيلي، طبعة جامعة الإسكندرية، سنة ١٩٧٤م، (ص١٧١).

من الأعمال الممتازة التي أخرجها المستشرق الألماني كندرمان Kindermann وهو كتابه: Schiffim Arabischen فهو يعد من أهم–إن لم يكن أعظم– المراجع الحديثة التي يعول عليها كل من يكتب في هذا الموضوع".

وفحص هذا العمل يكشف عن بنائه المكون من ثلاثة أقسام هي:

أولا– البنية الكبرى:

أ- المقدمة.

ب- المعجم (مرتب ألفبائيا).

ج- الملاحق والكشافات (=الفهارس).

وفي ما يلي تحليل لما ورد في هذه الأقسام الثلاثة:

(أ) المقدمة:

ضمت مقدمة هذا العمل كلمة عن أهمية هذا النوع من الأعمال المعجمية، وكلمة عن المحاولات الغربية المتماسة مع موضوع المعجم، من مثل أعمال:

- برنو___البحر.

- بارتولد_____القرآن والبحر.

وغير ذلك من مقالات مختصة بتاريخ الملاحة عند العرب، لفستنفيلد وجويدي وغيرهما. ويشير إلى أهمية دراسات التعريب التي اعتنت بالألفاظ الأعجمية في العربية.

ثم بين أنه رتب مداخل معجمه وفق الترتيب الألفبائي، وإن لم يهمل استثمار العلاقات الاشتقاقية التي بين الكلمات في بعض الأحيان (ص:٩)، وقد حرص على مساعدة المستعمل الأجنبي، فنقل له النطق بالتمثيل الصوتي، أو الكتابة الصوتية.

وفي إطار المقدمة خصص كندرمان مقالة أو مطلبا لمراجع الدراسة، وقف فيها وقفة طويلة متأنية فاحصة، جمع فيها المحاولات التي سبقته، واعتنت بأسماء السفينة في اللسان العربي، وكان مما أشار إليه من الأعمال الغربية:

- مقالة فستنفيلد ١٨٨٠م: أسماء السفن في العربية، وكشف عن مصادره في بناء هذه المقالة (ص١١).

- مقالة جلدمايستر ١٨٨٢م: حول السفن العربية، وهي تكملة لما سبقها.

- دي خويه، وقد اعتمد على المقدسي في صناعة قائمته.

أما المصادر العربية فأشار إلى ما يلي:

ابن سيده سنة ٤٥٨هـ=١٠٦٦م في كتابه المخصص، وقد مر هنا التوقف أمام هذا المصدر.

ابن مماتي سنة ٦٠٦هـ=١٢٠٩م في كتابه قوانين الدواوين وقد مر هنا التوقف أمام هذا المصدر.

ثم ختم المقدمة بمقالة بعنوان: طريقة البحث وخطته، وقرر أن "الفكرة الرئيسة عند ترتيب مجموعة الكلمات التي تدل على السفينة ليس فقط جمعها من مراجعها، بل إعطاء فكرة عن تطور معناها التاريخي".

ويقول في سبيل بيان هذا (ص:١٩): "عملت على الاستفادة الكاملة للكلمة لمعرفة تحديداتها من حيث المعنى... إذ إنه من المهم معرفة زمن ومكان ظهور كل نوع من السفن، وكيفية صنعها، ومظهرها، ومن قام بصنعها، لأي غرض".

وهذا الأمر يتجاوز بكتابه حدود المعجم بمفهومه التقليدي إلى نمط من الأعمال المعجمية الموسوعية التأريخية معًا.

ويعلل ذلك بقوله: "إن عدم العناية بهذه المسائل البديهية يؤدي طبيعيا إلى عدم الالتفات إلى تطور مفهوم الكلمة، وبالتالي معناها، وكذلك علاقة المعاني المختلفة مع بعضها الآخر التي جمعها مجرد معجم ما عن طريق الصدفة".

ومن هنا يظهر أن خطة بحث كندرمان كما تظهر من مقدمته تدور حول العناية بما يلي:

١- شرح معاني ألفاظ السفن.

٢- بيان المعلومات التأريخية حول السفن.

٣- بيان المعلومات الموسوعية حول السفن.

٤- بيان العلاقات الاشتقاقية التي تتعلق بأسماء السفن في العربية.

(ب) نص المعجم:

جاء نص المعجم، أو جسمه بعد المقدمة، ورتبت أسماء السفن فيه ترتيبا ألفبائيا مشرقيا، وفق شكل الكلمة النهائي المستعمل من غير رد إلى الجذور.

ولكن المعجم يستطرد عندما تترابط مجموعة نوعية من السفن دلاليا بالاسم الذي يعلق عليه؛ ففي تعريفه للمدخل (أسطول) استطرد فذكر أفروطة/ ورمادة/ وعمارة/ ودونتما/ وشون/ ومراكب.

والعجيب أن لا يذكرها في مظانها من الترتيب الألفبائي!

وهذا أمر غير تيسيري، ويفوت النفع على من لا يدرك العلاقات الدلالية فيما بينها، وكان من المهم ذكرها في مظانها مع الإحالة على المواضع التي ورد فيها التعليق عليها!

وقد تكرر من كندرمان ذلك في المداخل التالية:

- بركة (براكية/ وبرشة/ وباكوا).

- بطيل (مطيال/ بنيل).

- جنك (زنك).

- جلابية (عسبية/ جسارية/ الكشترى).

- حرمية (مركب حمال).

- خولة (رباب).

- دقل (سكان).

- دونى (دنجى/ دانوق).

- ذهبية (دهبية).

- زواريق (زراريق).

وثمة مواضع أخرى ترد تصديقا لهذا الملحظ.

ومن جانب آخر شكلي ولكنه مهم، فقد وقع سهو في تحرير المداخل التي التزم فيها محرر المعجم ومحرر الترجمة كتابة المداخل بحجم طباعي غليظ، فقد جاءت مجموعة من المداخل مكتوبة بخط عادي من دون تغليظ، وهو ما قد يفوت أيضا بعض المنافع، نرى ذلك في المداخل التالية (ساعية ص١٢٣).

(ج) الملاحق:

بعد الانتهاء من المعجم ألحق كندرمان مجموعة من الملاحق الإضافية، وهو تقليد استشراقي عريق، تمدد في ثلاثة اتجاهات هي:

أ- اتجاه الكتب المحققة (النشرات النقدية للنصوص التراثية).

ب- اتجاه ترجمة النصوص التراثية.

ج- اتجاه التصنيف المعجمي المختص.

وقد ضمت هذه الملاحق مجموعة من التعليقات والمباحث القصيرة حول ما يلي:

أولا- عدد من المداخل من مثل: الأسطول/ والسفينة/ وسنبوك/ وعربة/ وغراب/ وما شوه، وهي تعليقات تتعلق في الغالب بمعلومات تأصيلية وتأريخية.

ثانيا- محاولة تسعى للتفريق بين الكلمات الأعجمية والكلمات العربية من خلال الفحص التاريخي، والحضاري والتأصيل اللغوي المعتمد على معطيات الصوتيات والأبنية.

(د) الكشافات (=الفهارس):

ختم كندرمان كتابه (على ما يظهر من الترجمة) بكشافين (أو فهرسين) اثنين فقط هما:

أ- كشاف= (فهرس الكلمات).

ب- كشاف= (فهرس المراجع).

والكشاف الأول الخاص بالكلمات مهم جدًّا للمستعمل المعاصر من أكثر من جانب، إذ يعين في يسر على الوصول إلى الكلمة التي يمكن أن تمثل شغلا للباحثين، فضلا عن أنها تعالج النقص الحاصل منه جهة الاستطراد بإيراد ألفاظ في غير مظانها من الترتيب، نظر لورودها مع غيرها لعلاقات دلالية تجمعها معها.

ثانيا- البنية الصغرى للمعجم.

بدا من تحليل البنية الكبرى للمعجم أن كندرمان كان حريصا على تطبيقات النظام الألفبائي غير الجذري (الذي يراعى ترتيب الكلمات وفق صيغتها النهائية المستعملة)، وقد طبق هذا النظام خارجيا (أو باب الألف والباء والتاء... إلخ)، وداخليا؛ أي التزمه في داخل كل باب (فصول الثواني والثوالث... إلخ).

وقد كشف تحليل معلومتنا ما تحت المداخل عن حرص كندرمان على العناية بعدد من المعلومات الموزعة على نوعين هما:

أ- معلومات الشكل، والصيغة.

ب- معلومات المعنى، والمضمون.

وفي ما يلي تحليل لطائفة من النماذج تكشف عن ملامح عنايته بمعلومات البنية الصغرى الموزعة على معلومات التعليق على الشكل ومعلومات التعليق على المعنى:

١- أسطول، يفتح كندرمان معجمه بالمدخل (أسطول ص ٢٣)، معلقا عليها بعدد من معلومات الشكل والمعنى كما يلي:

أ- جمعها أساطيل/ وتنطق(صطول أيضا) وأورد أن (أسطول) تستعمل بمعنى الجمع.

ب- اختلف في أصلها على قولين (عربية/ إغريقية) معناها: المراكب الحربية المجتمعة.

ومن فحص هذا المثال نرى أن كندرمان اعتنى في التعليق على المدخل بالمعلومات التالية:

- معلومات الهجاء والنطق، "وتنطق: صطول أيضا".

- معلومات صرفية، إذ ذكر أنها تستعمل: مفردة، وتستعمل فتعنى الجمع؛ ولعل ذلك راجع إلى أن الأسطول بطبيعته مجتمع من المراكب الحربية.

- معلومات الاشتقاق والتأصيل، إذ أورد قولين، بعربيتها، وإغريقيتها، وهو أمر مهم في السياق الحضاري.

- ذكر تعريفها. وهو أهم معلومات التعليق على المعنى.

- ذكر بعضا من المعاني التي ظهرت واختصت بها بعض البيئات، وهو ما يخدم الإحاطة بمستويات الاستعمال للكلمة.

٢- تكنة، أورد كندرمان المدخل (تكنة ص٦٠) وعلق عليها بمجموع التعليقات التالية:

أ- معلومات المعنى؛ التعريف (هي سفينة نقليات في البصرة وبغداد وما يجاورهما)؛ أي أنها مركب نقل محلية نهرية (وهي جسم سفينة من دون صارية أو شراع) (يتردد ذكرها في كتب الرحلات: وتصنع من شجر النخيل والقوت، وتستعمل في نهر الفرات، وتطلى بقار كثيف، وهي طويلة وعريضة، وتحمل في حدود ألفي قنطار (القنطار= ٥٠٠ كجم) وبها حجرتان صغيرتان للبحارة مع صارية واحدة وستة مجاذيف/ وذكر بعض الرحالة: أنها سفينة حربية صغيرة، بأرضية مستوية.

- قرر أن أصلها تركي.

ب- معلومات الشكل، ذكر أن بعض من ذكرها قال إن التاء أصلها دال، وتحولت صوتيا.

من تحليل هذين النموذجين يتضح لنا ما يلي:

أولا- وعي كندرمان بطبيعة ما ينبغي ذكره من معلومات ما تحت المداخل، مما له أثره في بيان معنى نوع السفينة موضع التعليق.

ثانيا-عدم الانتظام في إيراد معلومات ما تحت المداخل، فثمة اضطراب يتعلق بنوعي المعلومات؛ حيث يفتتح التعليق أحيانا بمعلومات الشكل، منتهيا بمعلومات التعليق على المعنى، وفي أحيان أخرى يكون العكس فيبدأ بمعلومات التعليق على المعنى منتهيا بمعلومات التعليق على الشكل، أو نقلا من بعضها لبعضها، كما ظهر في المثالين السابقين.

ثالثا- ثمة رعاية لما يمكن أن يسهم في المعلومات التاريخية والحضارية، تظهر من رعاية وظيفة السفينة، وحجمها، ومادة تصنيعها، وشكلها... إلخ.

رابعا- العناية بمعلومات التأصيل اللغوي، إذ كان حريصا على بيان الأصل اللغوي الذي تنحدر منه أسماء السفن المذكورة في المعجم.

ولمعلومات التأصيل هنا أهمية خاصة؛ لأنها كاشفة عن العلاقات التاريخية بين العرب وغيرهم، وعن العلاقات التجارية والاقتصادية مع العالم، وعن كثير من ملامح التاريخ الاجتماعي المحلي لعدد من الحواضر العربية... إلخ.

(٢/١/٢) ١٩٧٤م/ درويش النخيلي= السفن الإسلامية على حروف المعجم.

صدر هذا المعجم سنة ١٩٧٤م عن جامعة الإسكندرية بمناسبة اعتزامها إصدار كتاب يؤرخ لتاريخ التجربة المصرية على امتداد العصور.

وكان الأمر موكلا إلى الدكتور جمال الدين الشيال الذي ابتدأ العمل، ثم لحق بربه الكريم سنة ١٩٦٧م وخلف وراءه عددا من البطاقات، اعتمدها الأستاذ درويش النخيلي مصدرا من مصادر معجمه هذا.

وسنقف في فحص هذا المعجم عند أقسامه التالية:

أ- المقدمة.

ب- النص (نص المعجم).

ج- الكشافات (فهارس المعجم).

(أ) المقدمة:

افتتح درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم بمقدمة تضمنت ما يلي:

أولا- ظروف الدعوة إلى إنجازه، إذ يكشف أنه صنع ليكون ملحقا لكتاب ضخم يؤرخ للبحرية المصرية دعت إليه، وكلفت به ورعته جامعة الإسكندرية (ص١ من المقدمة) و"وارتأت أن يلحق بهذا الكتاب معجم يتناول دراسة منفصلة لأنواع السفن التي عرفها العالم الإسلامي".

وقد مر هذا المعجم بمرحلتين هما:

الأولى- مرحلة البدء، شرع فيها الدكتور جمال الدين الشيال المتوفى سنة ١٩٦٧م، "وجمع بعض مواد هذا المعجم في بطاقات" ولم يكمل الرجل ما بدأه؛ إذ لحق بربه الكريم في الثاني من نوفمبر سنة ١٩٦٧م.

الأخيرة- مرحلة الإتمام، أتمها الأستاذ درويش النخيلي، إذ كلفته "اللجنة المشكلة بجامعة الإسكندرية بأن(يشرع) في ما لم يبدأ فيه... الراحل ليخرج الملحق الخاص بالسفن بالصورة العلمية المناسبة" وأمدته بالبطاقات التي سبق أن جمعها الدكتور جمال الدين الشيال.

وقد كشف النخيلي عن مصادره التي اعتمدها في إنجاز هذا العمل، وتمثلت في ما يلي:

١- بطاقات الدكتور جمال الدين الشيال التي كان جمعها قبل وفاته؛ يقول: "رأيت أن يكون عنوان الكتاب هو: السفن الإسلامية على حروف المعجم... على أن يكون: معجم السفن العربية، المخطوط (للدكتور جمال الدين الشيال) واحدا من المراجع التي رجعت إليها في تأليف هذا الكتاب".

٢- كتاب هانز كندرمان، عن السفينة في اللغة العربية الذي سبق الكلام عنه هنا في هذه المقالة.

٣- مجموعة من المصادر التاريخية والجغرافية والأدبية وكتب الرحلات والمعجمات ودواوين الشعراء وغيرها، أحال عليها في قائمة المراجع.

ومن جانب آخر فقد سكت النخيلي عن أمور مهمة هي: -

١- بيان منهج المعجم، وترتيب مداخله.

٢- إرشادات استعمال المعجم.

٣- أنواع المعلومات المذكورة في المعجم.

٤- ترتيب المعلومات المذكورة تحت كل مدخل.

ولعله سكت عن بيان طريقة الترتيب اكتفاء بما ورد في عنوانه من أنه على حروف المعجم!

(ب) نص المعجم:

جاء المعجم (السفن الإسلامية على حروف المعجم) مرتبا على النظام الألفبائي الذي يراعي شكل الكلمة النهائي في الاستعمال؛ أي من دون اعتبار للجذور، وهو نظام شائع في العصر الحديث من شأنه أن يحقق ما يلي:

أولا- التيسير على المستعملين.

ثانيا- التخلص من مشكل الكلمات الأعجمية التي لا جذور لها.

وقد تغلب على ما يمكن أن ينشأ من تشتيت للكمات المترابطة بتطبيقات الإحالة التي صنعت تماسكا معجميا، وتغلبت على التشتيت المتوقع!

وتتلخص طريقة النخيلي في بناء معجمه في المحورين التاليين:

أولا- البنية الكبرى للمعجم، حيث بناه وفق الترتيب الألفبائي خارجيا، حيث رتبه أبوابا على حروف المعجم، لكل حرف باب هجائي، ورتبه داخليا وفق المنهج نفسه كذلك، فراعى الثواني والثوالث وفق ترتيبها الألفبائي.

ثانيا- البنية الصغرى للمعجم، حيث ضمنه مجموعة من المعلومات تحت كل مدخل تضمنت ما يلي:

١- التصريف والاشتقاق لكل مدخل/ كلمة.

٢- تاريخ استعمال الكلمة/ المدخل.

٣- التأصيل اللغوي للكلمة.

٤- نقل نصوص استعمل فيها اللفظ/ المدخل.

٥- دلالة المدخل (نوع السفينة).

٦- ذكر مكافئاته الترجمية في عدد من اللغات الأوربية، كالإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، والألمانية.

٧- توثيق المدخل عند من سبق أن ذكره، أو علق عليه.

وفي ما يلي فحص تحليلي لعدد من أسماء السفن تكشف عن منهجية النخيلي في بناء المعجم:

- في التعليق على مدخل(الإبريق) يذكر النخيلي: المدخل (إبريق) دون "ال" مطبوعا بحجم طباعي مائز (أسود غليظ) في مساحة مستقلة في السطر، وهذا التحرير الطباعي أمر مهم للمستعمل ثم يورد تحته ما يلي:

١- موجز لمعلوماته اللغوية (الصرفية) فيقرر أنه: في اللغة: الإناء وأنه مفرد جمعه: أباريق.

٢- موجز لمعلومات التأصيل، فيقرر: أنه من أصل فارسي، ذاكرا:

أ- أصله في لغة الأصل وهو: آب رى/ أبريه/ أبريز.

ب- توثيق تأصيله من المعرب للجواليقي (ص٢٦٥).

ج- نصوص استعماله في العربية، فيذكر الشاهد القرآني: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ [سورة الواقعة ٥٦/١٧].

٣- تاريخ استعماله، فيقرر أنه مستعمل منذ القرن ١٩م.

٤- ذكر دلالته ونوعه وأنه سفينة حربية خفيفة كانت تعمل في البحر الأبيض المتوسط، ويقرر أن معرفة العثمانين لها ربما تعود إلى القرن ١٨م، وأنها كانت ضمن قطع الأسطول المصري.

٥- نقل نصوصا من الجبرتي تفيد صناعتها في عهد محمد علي.

٦- ذكر مكافئاته الترجمية، فالإبريق في الإنجليزية Brig وفي الفرنسية Brick, Brigantin وفي الإيطالية Briganlime؛ أي: سفينة القرصان.

٧- تطور المعنى، إذ أطلق في بعض الكتابات على المركب الشراعي ذي الصارين، والقلوع المربعة، المزود بمدافع، ولكن الدكتورة سعاد ماهر فرقت بين اللفظين الفرنسيين ليكون هو الإبريق ويكون الأخير(برجنتين) للسفينة الحربية الصغيرة الخفيفة.

٨- وقد قصر النخيلي في مجموعة من المعلومات من مثل:

أ- معلومات النطق وإن كان واضحا بالصور الإيضاحية (الموضحات).

وفي التعليق على مدخل (كشاف) بتشديد الشين المعجمة، الذي يذكره وفق العادة في سطر مستقل (مساحة طباعية مائزة) وبحجم طباعى مائز (أسود/غليظ) يقرر ما يلي: (ص١٣٢-١٣٣)

١- معلومات النطق، وإن أوردها في الهامش السفلي مرموزا إليها بعدد من النجمات وردت بجوار المدخل. وقال: بتشديد الشين المعجمة، وطريقة قديمة حاسمة تعرف باسم الضبط بالتقييد.

٢- معلومات التعليق على المعنى التي تدور حول ما يلي:

أ- نوع السفينة، فهي "من سفن المدرعات الحربية"، وهي نوعان: نهرى/ ورائد.

ب- تاريخ ظهورها واستعمالها، فهي مستعملة من تاريخ العثمانيين في حوض البحر الأبيض المتوسط في النصف الثاني من القرن ١٩م.

ج- ذكر مرادفاته اللغوية، ويعرف هذا النوع باسم رائد.

٣- معلومات موسوعية، تدور حول ما يلي:

أ- ذكر مكافئه الترجمى: "ويعرف هذا النوع باسم رائد أو مونيتورMonitor.

ب- بعض من استعمله من غير العرب والمسلمين "وقد استخدمه الفرنسيون هذا النوع من المدرعات في هجوم على تونس في عام ١٨٨١م.

ج- عدد ما كان يملكه العثمانيون (ثلاث قطع)، وطوله (٥٣م/٦٨م).

٤- نقل نصوص داعمة للمدخل واستعماله.

٥- توثيق معلومات في الهامش السفلي.

ويلاحظ على معالجة النخيلي لمعلومات ما تحت المداخل ما يلي:

أولا- الاضطراب التنظيمي؛ بمعنى أنه لا توجد خطة يخضع لها ترتيب المعلومات الصانعة لأفق التعليق على المدخل/ الكلمة، فهو يبدأ أحيانا بمعلومات التعليق على الشكل (المعلومات الصرفية وغيرها)، وفي أخرى يبدأ بمعلومات التعليق على المعنى (الأنواع، والتأصيل وغيرهما).

ثانيا- عدم الاطراد في نوع المعلومات المذكورة، بمعنى أنه لا يميز بين المداخل في التعليق.

صحيح أن جسم التعليق الأساسي ثابت وهو يتركز حول:

أ- المعنى، أو نوع السفينة.

ب- تتبع تاريخ استعمالها.

ج- مستوى الاستعمال، أو لابسات الاستعمال.

ولكن عدم الاطراد، وهو ما يعني غياب بعض المعلومات أو حضورها ظاهر، فمعلومات الهجاء، ومعلومات الصيغة، ومعلومات الاشتقاق لا تظهر باستمرار مع كل مدخل.

(ج) الكشافات (فهارس المعجم):

ألحق الأستاذ درويش النخيلي بمعجمه كشافين أساسيين، هما:

١- كشاف (فهرس) أسماء السفن، وجعله على فرعين:

أ- بالعربية.

ب- بالإفرنجية.

٢- كشاف (فهرس المصادر والمراجع)، وجعله قسمين هما:

أ- المصادر والمراجع العربية.

ب- المصادر والمراجع الأجنبية.

ورتبهما ألفبائيا، وفق الشكل النهائي المستعمل لأسماء السفن، وزاد صفة نوعية إيجابية على كشاف أسماء السفن العربية، وهي أنه كان يذكر بجانب الوحدة من المعلومات المكشفة: بعض المعلومات الصرفية بين هلاليين (انظر: إبريق (ج: أباريق) وأشكيف (جمع: أشاكيف وأشكيفات) وبراكية (جمع: بركان) وهكذا).

وفي الكشاف الإفرنجي لأسماء السفن الذي جاء مرتبا وفق النظام الألفبائي أيضا فاته أن يضع أمام كل اسم نوع لغته، ولا سيما أنه كان يذكر مكافئات ترجمية من لغات كثيرة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية.

أما الكشاف الخاص بالمراجع والمصادر، فقد اعتمد اسم المؤلف وفق المشهور مدخلا للترتيب، من غير ترقيم!

ولم يخصص النخيلي جزء للملاحق من أي نوع، متخلفا عن سابقه كندرمان.

(٣) مصطلح السفينة: قراءة في نتائج التأصيل اللغوي.

كان التأصيل اللغوي من المعلومات التي انشغل بالعناية بها أصحاب معجمات السفينة في العربية، مما مر التوقف أمامها.

وفحص هذا النوع من معلومات ما أورده هؤلاء المعجميون تحت المداخل في سياق التعريف والتعليق على أسماء السفن العربية الإسلامية قائد إلى نتائج مهمة وخطيرة في سياق تقدير اللسان والحضارة العربيتين معا.

(١/٣) العربية تنجح من جديد.

إن كثيرا من أسماء السفن التي جمعها أصحاب معجمات السفينة في العربية جاء عربيا خالصا، وهو ما يفتح الباب أمام القدرات الهائلة التي يمتلكها اللسان العربي، ومن طريقها استطاع توليد الأسماء الكثيرة المتنوعة لأنواع السفن.

وكانت أكثر طرق توليد أسماء السفن ظهورا في الإنتاج والتفعيل متمثلا في ما يلي:

(مظاهر الاستحداث)

أولا- الاشتقاق

إن الاشتقاق طريق أصيلة في توليد الألفاظ، وهي من خصائص النظام اللغوي للسان العربي؛ إذ العربية لغة اشتقاق، به تنمو ويزداد رصيدها من الكلمات.

وقد لجأ معجم السفينة إلى الاشتقاق لمواجهة سد العجز الذي كان يمكن أن ينشأ في هذا الميدان، وقد اتخذ الاعتماد على الاشتقاق أشكالا متنوعة من مثل استثمار المشتقات التالية:

أ- اسم الفاعل، في مثل : الباخرة/ الباهرات/ الجارية/ سابقة/ قارب، وغيرها.

ب- صيغ المبالغة، في مثل: حمالة (حمالات)، ودكاسة، وطراد/ طيارة/ وكشاف/ ومصباب/ ونقالة، وغيرها.

ج- الصفة المشبهة باسم الفاعل، في مثل: سميرة/ وطريدة/ وغيرها.

د- اسم المفعول، في مثل: مخروط/ ومركوش/ ومسطح/ وملقطة؛ وغيرها.

هـ- اسم الآلة، في مثل: ماعون/ ومعبر (معابر)/ ومعدية/ ومقلقة/ وغيرها.

وقد لجأ معجم السفينة إلى استثمار المصادر في باب التسمية أيضا مما استثمره في هذا الفرع ما يلي:

أ- المصادر الطبيعية القياسية، في مثل: رمث تطريدة وغيرهما.

ب- المصادر الصناعية، في مثل : بحرية/ ورباعي/ ومدفعية/ وغيرها.

ج- المصادر الميمية، في مثل : معاش، وغيره.

ثانيا- الانتقال الدلالي

التحويل أو النقل الدلالي طريق مأنوسة في زيادة الثروة اللفظية في اللغات المختلفة، وهو تغيير دلالة الكلمة بطريق من الطرق المعروفة، توسيعا أو تضييقا، أو بغيرهما من طرق التحويل، كالاستعارة والتشبيه، والمجازات.

وقد لجأ معجم السفينة إلى هذا الباب فاستثمره في خلق أسماء كثيرة من أسماء السفن، ومن ذلك:

- الانتقال الدلالي بسبب المشابهة، في مثل: حمامة/ وعقاب/ وغراب/ وغيرها.

وكما نلحظ فقد غلب نقل أسماء للطيور للمناسبة الطيران والحركة والسرعة وهو ما أرداه المعجم لبعض تسميات عدد من السفن، وربما روعي الشكل أيضا!

ثالثا- التعريب

التعريب أو نقل الكلمة الأجنبية بأصواتها بعد توفيق أوضاعها، لتلائم الأوزان العربية طريق معروفة أيضا في تنمية الثروة اللفظية في العربية، وهي هنا مستقيمة مع المنطق الذي يقضي بأن الذي يحكم النقل من اللغات هو كون المنقولات من الألفاظ الحضارية المستحدثة، ومن ذلك: جالير (من الفرنسية للسفينة الشراعية)، والجنك (من الصينية للمركب الكبير)، والشباك (من الإسبانية لمركب الصيد) والشلندي (من اللاتينية للسفينة مقاتلة).

إن هذه الطرق هي الوسائل المعروفة للتدخل العمدي عند إرادة صناعة قائمة خاصة بمجال معين أو استحداث قائمة بعينها.

صحيح أن كثيرا من هذه التسميات للسفن العربية، لم تضعه مجامع بعينها، ولكن وضعه الصناع والمستعملون، وهو ما يدل على ملكة لغوية مستقرة في العقل الجمعي العربي، مكنته عند الضرورة من وضع معجم كامل للسفينة في اللسان العربي مستثمرا إمكانات اللغة الاشتقاقية، ومستثمرا الطاقات الكامنة في بنيتها من جهة الانتقال الدلالي، بالاستعارة والتشبيهات والمجازات، ثم ناقلا للتسميات من ألسنتها الأجنبية بعد إجراء نوع توفيق صيغي لتتلاءم المعربات مع قوانين الأبنية الصرفية في النظام اللغوي العربي.

وقد اتضح أن الاستحداث (التوليد) اتخذ الشكلين النظاميين المستقرين في علم المصطلحية وهما:

أ-استحداث علاقات بين الدال (اللفظ) والمدلول.

ب- استحداث دوال (توليد ألفاظ جديدة).

(٢/٣) العلاقات الحضارية للعربية:

في ضوء نتائج التأصيل اللغوي لأسماء السفينة في العربية.

إن فحص الطريق الأخيرة من طريق وضع أسماء السفن في العربية، وهو طريق التعريب يكشف عن مجموعة من العلاقات المهمة في سياق قراءة نتائج التأصيل اللغوي لأسماء السفن العربية الإسلامية قراءة حضارية هي كما يلي:

أولا- الانفتاح على العالم.

عكست قراءة طريق التعريب أن الأمة العربية الإسلامية فهمت الطبيعة الحيوية للإنسان، إن بتأثير الإسلام أساسا، وإن بطبيعة التطور والحاجة المادية للحياة التي تحمله على الانفتاح على العالم، وتبادل ناتج المواهب، ونقل ما يسبق إليه غيره من مستحدثات الحضارة.

وقد ظهرت من خلال اللغات التي أمدت المعجم العربي بأسماء عدد من السفن الطبيعية المنفتحة للإنسان العربي المسلم على الوجود الخارجي، من أمم الشعوب المطلة على البحار، فظهرت الإسبانية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية، والصينية والفارسية،

سواء كان النقل منها بطريق مباشرة أو غير مباشرة وهو ما يعني أن أغراض التجارة بالأساس ما تزال حاسمة في تعيين مباحث التأصيل اللغوي ولا سيما عند الاختلاف حول أصول بعض الكلمات.

ثانيا- مرونة العقل العربي المسلم

لقد كشفت نتائج التأصيل كذلك في باب أسماء السفن عن قدر من مرونة العقل العربي المسلم، وابتعاده عما يسمى بقيم السلفية السلبية، ذلك أن علاقات التبادل، والتأثر طالت أمما وشعوبا غير مسلمة، وهو نوع وعي قادر على التفرقة بين المعتقد وطبائع المعاش، وأن اختلاف المعتقدات غير مانع من التعايش والتعاون المشترك.

ثالثا- قابلية الإنسان العربي للإنجاز الحضاري المادي.

لقد أظهرت نتائج التأصيل والتحليل الدلالي لعدد من أنواع السفن، ولا سيما في باب المكونات والصناعة للسفن أن الإنسان العربي حصل مجموعة كبيرة من قيم العلم التطبيقي، وحاز قدرا كبيرا بالتجربة والتحصيل من معلومات الكيمياء والفيزياء والفلك والهندسة والرياضة وغيرها ظهرت في كثير من التفاصيل الدقيقة التي تتعلق بصناعة السفينة في المجتمعات العربية على امتداد تاريخ التعامل مع السفن

رابعا- قابلية المجتمع العربي للتطوير

إن قراءة معجم السفينة كاشف عن كثير من الطبائع الاجتماعية التي تطورت بسبب من الصناعة البحرية طالت المناطق التالية:

١- التقسيم الطبقي، والتوزيع السكاني.

٢- تطوير الملابس والأزياء.

٣- تطوير أنواع الطعام والغذاء.

٤- تطوير صناعات بأثر من الارتباط بالبحر، كصناعات المعادن، والحبال،والدهانات، والأطعمة، وغيرها.

إن هذه العلاقات تكشف عن كثير من التغير أصاب الحياة العربية والإسلامية في كثير من المناطق بسبب دخول صناعات السفن إليها.

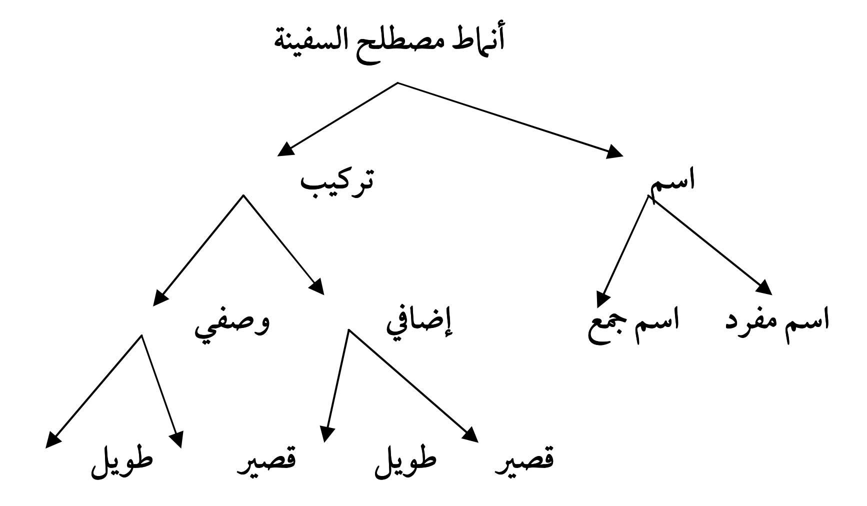
(٤) مصطلح السفينة: أنماطه ودلالاته.

إن فحص مصطلحية السفينة في المعجمية العربية من جهتي بنية الصيغ الحاملة لها، ومن جهة أنواعها ووظائفها الدلالية تكشف عن كثير من الأمور.

(١/٤) أنماط مصطلح السفينة

تنوعت أنماط مصطلح السفينة تنوعا ظاهرا، لأسباب لغوية في المقام الأول، من أجل أن تقدر على استيعاب كثرة الأنواع.

وقد اتخذت الأنماط أشكالا لغوية متنوعة، يمكن إجمالها في المخطط التالي:



١- نمط الاسم المفرد، بتنوعاته المختلفة، من مثل:

آمرة/ وأسطول/ وأفروطة/ وبالوع/ وجفن، وغيرها.

٢- نمط الاسم الجمع، بتنوعاته المختلفة، من مثل:

بوص/ وديارب/ ومعاشات وغيرها.

٣- نمط التركيب، بتنوعاتها المختلفة، كما يلي:

أ- التركيب الوصفي القصير(موصوف+ صفة): من مثل: جفن بحري/ وجفن حربي/ وورق حربي/ وشختورة مزدوجة/ وغيرها.

ب- التركيب الوصفي الطويل (موصوف+ صفة+ محول للصفة): من مثل: الزواريق المقلة المعدة للعبور/ والسفن الخفيفة المستعملة للعبور وسفينة حاملة للبضائع، وغيرها.

ج- التركيب الإضافي القصير (مضاف+ مضاف إليه)/ من مثل: زوارق الصنادل/ وصندل التوربيد/ وعشارى الخدمة، وغيرها.

د- التركيب الإضافي الطويل (مضاف+ مضاف إليه+ حرف عطف+ اسم معطوف) من مثل: مراكب النزهة والتفرج/ وسفينة النقل والشحن وغيرهما.

وفي داخل كل نمط من هذه الأنماط يمكن ملاحظة تنوعات فرعية تنتمي إليها.

وقد جاء هذا التنوع لأغراض لغوية دلالية في المقام الأول تتعلق بوفرة الوظائف التي اضطلعت بعبء القيام بها هذه السفن في الحضارة العربية والإسلامية.

(٢/٤) دلالات أنماط مصطلح السفينة في العربية.

إن مراجعة تحليل ما مر من أربعة الأنواع الكبرى لأنماط الصيغ التي جاءت وفقها أسماء السفن في الحضارة العربية والإسلامية تكشف عن استثمار السفينة في مجالات الحياة المختلفة على الأصعدة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وهو ما يمكن ملاحظة في مجموعة الوظائف التالية التي ذكرتها معجمية السفينة، للأنواع المختلفة:

أولا- الوظيفة الاجتماعية.

حددت معجمية السفينة في العربية مجموعة من وظائف بعض أنواع السفن تخدم الاجتماع الإنساني ملاحظتها في الميادين التالية:

١- السفر والانتقال من مثل: بابور/ وفلوة/ (لتعدية الناس)/ السفن الخفيفة المستعملة للعبور، وغيرها.

٢- العمل(الصيد) و(المعاش): من مثل: مراكب المعاش/ أعوادى/ وغيرها.

٣- النزهة والتفرج، من مثل: الأهورة (تستعمل للنزهات)/ وسفن النزهة.

ثانيا- الوظيفة الاقتصادية والتجارية

حددت معجمية السفينة في العربية مجموعة من وظائف بعض أنواع السفن تخدم النشاط التجاري والاقتصادي، تتمثل في الشحن، ونقل الغلال والحب وبقية أنواع السلع؛ من مثل: سفينة تجارية/ وسفينة حاملة للبضائع/ وسفن الشحن/ وغيرها.

ثالثا- الوظيفة السياسية (الحربية)

كانت هذه الوظيفة أكثر الوظائف ظهورا في معجمية السفينة العربية، وهو ما يعني استثمار السفينة لأغراض الجهاد والدفاع عن مقدرات الأمة على امتداد تاريخها حتى غدا الأسطول الإسلامي في بعض مراحل التاريخ سيد البحار، وأهم ما يظهر من تسميات جمهرة السفن العربية ما يلي:

أ- القتال، وهو ما يظهر من عدد من السفن نص المعجم العربي، على أنها للجنود المقاتلة: من مثل: حديدية/ وغراب... إلخ.

ب- الخدمات المعاونة، كنقل الجنود، والأسلحة: من مثل: برهاني/ وبنف/ وفلوكة... إلخ.

ج- الهجوم المسلح، من القذف، ورمي الأهداف وغيرها، من مثل: أوج عنبرلى/ وبارجة/ وحراقة... إلخ.

د- الإمداد والتموين، من حمل الأزداد، والطعام والمياه للمقاتلين، من مثل: شينى/ وقربلة... إلخ.

هـ- التدريب العسكري.

إن هذه الوظائف الكبرى التي وردت في أثناء التعليق على معاني مدخل/ أسماء السفن العربية والإسلامية تمثل بابا مهما في دراسة تطور استعمالها في الحياة العربية.

(٥) مصطلح السفينة في العربية : مقالة في آفاق الاستثمار

إن ما نشأ من أسماء شكلت معجم السفينة في العربية لم ينل حظه الكافي من الاستثمار المعرفي.

ومن الممكن أن يفتح هذا المعجم الباب أمام تطوير عدد من المسائل في المجالات العلمية المختلفة، وفي ما يلي محاولة لبيان عدد من المجالات التي يمكن استثمار مصطلح السفينة لتطويرها:

أولا- مجال الدفاع عن قضية التعريب.

تاريخ الدفاع عن استعمال العربية في العلوم الحديثة تاريخ ممتد، اعتمد فيه أنصار هذا التوجه على أدلة تاريخية في الغالب للانتصار لقدرة اللسان العربي على استيعاب العصرية. ولكن إعادة طرح القضية في ضوء ما قدمته اللغة العربية لمعجم السفينة، وأسمائها، وأسماء أجزائها التي تتكون منها بالفرق التوليدية المختلفة يمكن أن يقدم دليلا عمليا تطبيقيا ينضاف إلى مجموع الأدلة التاريخية في بابي الدفاع عن التعريب، والدفاع عن قدرات اللسان العربي في القيام بواجب استيعاب علوم العصر الحديثة.

ولا سيما أن اللغة برهنت على أنها تملك مسارات متنوعة لسد الفجوات المعجمية التي يمكن أن تنشأ في هذا المجال الجديد الذي لم يكن للعرب سابق تقدم فيه.

ثانيا- مجال دراسات التأصيل اللغوى في ما حوله خلاف في أصوله من الكلمات.

تكشف العلاقات التاريخية التي قامت بتأثير العلاقات التجارية والحربية التي كانت السفينة بطلتها عن إمكان حسم الجدل الدائر حول عدد من الألفاظ الأعجمية التي اقترضها اللسان العربي من اللغات الأخرى.

إن فحص أماكن الاستيراد، والمواد المستوردة يمكن أن تقدم الكثير في هذا الباب اللغوي المهم؛ ذلك أن الكلمات عندما تسافر تحمل معها خصائص البيئة التي سافرت وهاجرت منها.

ثالثا- مجال التاريخ الاقتصادي والاجتماعي.

من الملاحظ قلة الاعتماد على التحليل المعجمي، واتخاذه مصدرا من مصادر إعادة كتابة التاريخ ومع أن ثمة تجديدا في مناهج كتابة التاريخ، وفي الموضوعات التي يتناولها الدرس التاريخي، فإن الاعتماد على المعجم لا يزال متأخرا الرتبة بشكل ملحوظ جدًّا.

وفحص معجمية السفينة قادر على أن يمدنا بمجموعة طيبة من النتائج التي من شأنها أن تسهم في تطوير بحوث التاريخ ولا سيما الاقتصادي والاجتماعي.

لقد طور المجتمع العربي والمسلم من وظائف السفينة، واستعملوها في التجارة والنقل، مما نشأ عنه نوع علاقات ومجتمعات جديدة اكتسبت من ورائها مجموعات بشرية عديدة خصائص، ومعارف، وأنماط معيشية نوعية.

وربما قاد تحليل معجمية السفينة إلى تقديم نتائج جديدة تتعلق بمجتمع التصنيع وقواعده، ومواده، والصناعات التي قامت حولها، وحركة نقل البضائع، وحفظها في أثناء رحلة النقل، وتطور تاريخ الأطعمة، وأنظمة الطهي، وغير ذلك من المباحث التاريخية التي لم يستثمر معجم السفينة في تطويرها حتى اليوم.

رابعا- مجال الدراسات العسكرية والاستراتيجية.

بدا من بعض الفقرات السابقة أن واحدة من كبريات وظائف السفينة في الحضارة العربية والإسلامية كانت ماثلة في الاستعمالات الحربية والعسكرية، وأظهرت الدراسة أن هذه الوظيفة الحربية تفرعت وتوزعت على مجموعة من الوظائف المنضوية من مثل أعمال القتال، والهجوم المسلح بالقاذفات والإمداد والتموين، وخطط الهجوم، وتوزيع المهام... إلخ.

خامسا- الدراسات الحضارية.

إن دراسة معجمية السفينة في الحضارة العربية والإسلامية يمكن أن تسهم في دراسة الأبعاد الحضارية المادية التي مكنت العقل العربي، من استيعاب صناعة السفن،

وتطويرها، والعلوم المستعملة فيها وربما أمكن أن تقدم إجابة عن غياب السفينة في الحضارة الإسلامية عن تاريخ القرصنة بشكل ملحوظ[1].

الخاتمة:

نشأت فكرة هذا البحث من فرضية أساسية تتعلق بقدرات اللسان العربي على استيعاب المستحدثات الحضارية التي لم يكن للعرب سابق عهد بها.

وقد تناول هذا البحث على امتداد مباحثه المختلفة مجموعة من المسائل حاولت أن تتفاعل مع فرضيته، فدرس ما يلي:

أولا- مدخل: البحر وجهة جديدة للعربي المسلم.

ثانيا- السفينة في المعجم العربي: المدونة والعلاقات المعرفية.

ثالثا- مصطلح السفينة: التأصيل والأنماط والدلالات.

رابعا- آفاق استثمار معجمية السفينة.

وكانت مشغلته وهو ينتقل من مبحث لآخر أن يجيب عن مجموعة من الأسئلة رأي أن الإجابة عنها تنهض بعبء تغطية هذا المجال البكر في الدراسات المعجمية ذات الصلة بالحضارة.

وقد كشف البحث عن مجموعة من النتائج، التي يرى أهميتها وهي كما يلي:

١- ما تزال الحركة الاستشراقية تثبت أولية تعرضها لكثير من الميادين، بفعل التخطيط والعقيدة التي حكمت بحوث حركة الاستشراق، وهو ما تجلى في سبق الغرب للعناية بمعجمية السفينة في العربية على ما رأينا في العمل المعجمى لهانس كندرمان سنة ١٩٣٤م الذي سبق به العرب المعاصرين بنحو أربعة عقود كاملة.

---

(١) يلحظ دارس التاريخ القرصنة غيابا شبه كامل للسفينة العربية والمسلمة عن القرصنة بالمفهوم السلبي (الجريمة) وهو ما يمكن أن يكون محور الدراسات أخلاقية وحضارية بتأثير الإسلام. انظر: تاريخ القرصنة في العالم، لياتسيك ماخوفسكي، ترجمة الدكتور أنور محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ٢٠٠٨م.

٢- كشف فحص التراث اللغوي العربي، وغيره عن وجود بدايات للعناية بمعجمية السفينة؛ كان من الممكن استثمارها والبناء عليها، على ما رأينا في المخصص لابن سيده، وقوانين الدواوين لابن مماتي.

٣- ظهر نوع وعي بطبيعة معجمية السفينة من جهة:

أ- نظام الترتيب الألفبائي النهائي، تعاطيا مع وجود مداخل أعجمية، لا يستقيم إدراجها في نظام ترتيب جذري.

ب- نوع المعلومات التي أوردها أصحاب المعاجم المعاصرة للسفينة، ولا سيما ما يتعلق بمعلومات مستوى الاستعمال أو الميدان، والمعلومات التاريخية.

ج- الحضور الجيد للنصوص التاريخية في البنية الصغرى للمعاجم في التعليق على المداخل.

د- تنوع مظاهر الاستحداث (التوليد) في مجال خلق معجمية السفينة من طريق الدال والمدلول.

هـ- العناية بمعلومات التأصيل اللغوي للمداخل.

٤- كشفت الدراسة عن تنوع الأنماط (الصرفية) لمصطلحات السفينة، واستثمارها لإمكانات الاسم (مفرد/ جمع) وإمكانات التركيب (وصفي/ إضافي).

٥- كشفت الدراسة عن أربعة حقول أساسية دارت حولها الوظائف الدلالية للسفينة هي:

أ- الاقتصاد والتجارة.

ب- النقل والسفر والاجتماع.

ج- الحرب والقتال.

د-   النزهة والترويح.

٦-   اجتهد البحث في استشراف مجموعة من آفاق الاستثمار يمكن إسهام معجمية السفينة في خدمتها، وتطويرها.

***

المراجع

١- الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، للزركشي، تحقيق الدكتور رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، بالقاهرة سنة ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.

٢- الاحتجاج بالشعر في اللغة: الواقع ودلالته، للدكتور محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٣- أساس البلاغة، للزمخشري، طبعة الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م.

٤- الإستراتيجية العسكرية الإسلامية بين النظرية والتطبيق، محمد فرج ، طبعة مجمع البحوث الإسلامية، بالقاهرة سنة ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م].

٥- إسهام في وضع مصطلحات علم القراءات، للدكتور محمد المختار ولد أباه، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ع ٨٥ ق، لسنة ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م.

٦- أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات، لأحمد محمود عبد السميع الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ٢٠٠٠م.

٧- الاقتراح في بيان الاصطلاح، لابن دقيق العبد (ت٧٠٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م.

٨- الألفاظ الكتابية، للهمذاني، المتوفى سنة ٣٢٠هـ، تحقيق: إيمل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م.

٩- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، للقاضي عياض (ت٥٤٤هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث بالقاهرة، والمكتبة العتيقة بتونس ١٩٨٧م.

١٠- انتهاز الفرص في الصيد والقنص للناشري، حققه ونشره عبد الله محمد الحبشى بالمجمع الثقافي بأبي ظبى سنة ٢٠٠٢م.

١١- الأنواء والأزمنة لابن عاصم الثقفي، نوري حمودي القيسي، ومحمد نايف الديليمي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م.

١٢- الأنيق في المنجنيق، لابن أرنبغا الزردكاش، حققه ونشره الدكتور إحسان هندى ضمن سلسلة مصادر ودراسات في تاريخ التكنولوجيا العربية رقم (٤) بجامعة حلب ومعهد المخطوطات العربية سنة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

١٣- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، لابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، وهو اختصار لمقدمة ابن الصلاح، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، دار التراث، القاهرة، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

١٤- بلاغة النور : جماليات النص القرآني، نفيد كرماني، منشورات الجمل، بغداد وبيروت، سنة ٢٠٠٨م.

١٥- بلغة الأريب في مصطلح أثار الحبيب، للزبيدي صاحب تاج العروس (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق عبد الفتاح أبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ١٤٠٨هـ.

١٦- تاريخ القرصنة في العالم، لياتسيك ماخوفسكي، ترجمة الدكتور أنور محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ٢٠٠٨م.

١٧- التجريد لمعجم مصطلحات التجويد، للدكتور إبراهيم بن سعيد الدوسري، طبعة دار الحضارة، الرياض، سنة ١٤٢٩هـ.

١٨- تحت راية القرآن، مصطفى صادق الرافعي، مكتبة الإيمان، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٩- تحقيق المختصر من مصطلح الأثر للعجمي الشنشوري (ت ٩٩٨هـ)، تحقيق محمد أحمد بدوي، ومراجعة أحمد حسن جابر، مجلة الأزهر، ربيع الآخر ١٤٠٥هـ.

٢٠- تدريب الرواي شرح تقريب النواوي، للسيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب الحديثية، القاهرة، سنة ١٣٨٥هـ= ١٩٦٦م.

٢١- التذكرة في علوم الحديث، لابن الملقن (ت ٨٠٤هـ)، نشرها علي حسن علي عبد الحميد، دار عمار، الأردن، سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

٢٢- تراتيل متوسطية، لبريدراج ماتفيجيفتش، ترجمة عبد الجليل ناظم، وسعيد الحفصالي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠٧م.

٢٣- تراث المعاجم الفقهية في العربية، دراسة لغوية للدكتور خالد فهمي، مكتبة إيتراك، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٢٤- التعريفات، للجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٣هـ.

٢٥- التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبه، القاهرة، ١٩٨٩م.

٢٦- التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، للنووي (ت٦٧٦هـ)، نشره عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م.

٢٧- التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، للحافظ العراقي (ت ٨٠٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن محمد محمد عثمان، دار الفكر العربي، بلا تاريخ !.

٢٨- التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي المصري، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر ، بيروت، ودار الفكر، دمشق/ سوريا، ١٩٩٠م.

٢٩- التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت/ دمشق، ط١، سنة ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.

٣٠- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، طبعة الهيئة العامة المصرية للكتاب، بالقاهرة، سنة ١٩٨٧م.

٣١- الجامع لأخلاق الرواي وآداب السامع، للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق الدكتور محمد رأفت سعيد، دار الوفاء، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م، ثم أخرجه الدكتور محمود الطحان بمكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.

٣٢- جموع التكسير في القرآن الكريم، دراسة لغوية تقعيدية، للدكتور مفرح السيد سعفان، طبعة خاصة بالمؤلف، ١٩٩٦م. جموع التكسير في القرآن الكريم/ رؤية جديدة في قواعد صيغ جموع التكسير، وتفسير الشواذ، للدكتور مفرح السيد سعفان، بلنسية للنشر، شبين الكوم، مصر، ٢٠٠٩م.

٣٣- جواهر الألفاظ، المنسوب لقدامة بن جعفر، المتوفى سنة ٣٣٧هـ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، تقديم: د/ وفاء كامل فايد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر (١١٠)، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٣٤- الحدود والحقائق، للشريف المرتضى ت ٤٣٦هـ، بعناية السيد أحمد الحسيني والسيد مهدي رجائي، طبعة قم إيران، سنة ١٤٠٥هـ.

٣٥- الحدود في الأصول، لابن فورك الإصبهاني ت ٤٠٦هـ، تحقيق محمد السليمانى دار الغرب بيروت ١٩٩٩م.

٣٦- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، الدكتور غانم قدوري الحمد ، طبعة وزارة الأوقاف العراقية، بغداد ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.

٣٧- رفع الباس وكشف الالتباس في ضرب المثل من القرآن والالتباس، للسيوطي، بيروت، ٢٠٠٦م.

٣٨- السفن الإسلامية على حروف المعجم، لدرويش النخيلي، طبعة جامعة الإسكندرية، سنة ١٩٧٤م.

٣٩- سؤالات نافع بن الأزرق، لابن عباس، تحقيق: محمد أحمد الدالي، دار الجفان والجاني، قبرص، ١٩٩٣م.

٤٠- شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، نشر في مطبعة مصطفي البابى الحلبي القاهرة ١٣٥٢هـ= ١٩٣٤م، ثم حققه محمد عوض بمكتبة الغزالي بدمشق، ومؤسسة مناهل العرفان ببيروت، سنة ١٤١٠هـ= ١٩٩٠م.

٤١- الشواهد البلاغية وتوظيفها، لفوزية الطاهر الشين، دار البشير، القاهرة، ٢٠١٤م.

٤٢- الصحاح، للجوهري= تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤.

٤٣- علم الأصوات عند سيبويه؛ وعندنا، أرتور شاده، طبعة الدكتور صبيح التميمي، صنعاء ١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م.

٤٤- عين الإصابة في استدراك عائشة على الصحابة، للسيوطي، تحقيق عبد الله محمد الدرويش مكتبة العلم، القاهرة، سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

٤٥- العين للخليل، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٨م.

٤٦- غراس الأساس، لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ، تحقيق الدكتور توفيق محمد شاهين، مكتبة وهبه، القاهرة، ١٩٩٠م.

٤٧- الفروسية والمناصب الحربية، لنجم الدين الرماح المعروف بالأحدب، حققه ونشره عيد ضيف العبادى، بوزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد سنة ١٩٨٤م.

٤٨- فصول في فقه العربية، للدكتور رمضان عبد التواب، تقديم: الدكتور خالد فهمي، مكتبة المتنبي، الدمام، السعودية، ١٤٣٣هـ.

٤٩- فقه الجهاد، للدكتور يوسف القرضاوى، مكتبة وهبه بالقاهرة سنة١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م.

٥٠- فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، تحقيق الدكتور خالد فهمي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م.

٥١- الفهرست لابن النديم، تحقيق: الدكتور أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م.

٥٢- القاموس المحيط، الفيروآبادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، نسخة مصورة عن طبعة المطبعة الأميرية، ١٣٠١هـ. تعليق: نصر أبو الوفاء الهوريني.

٥٣- قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الاسلامية، للدكتور محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة وبيروت، ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م.

٥٤- قفوة الأثر في صفوة علم الأثر، لابن الحنبلي، تحقيق عبد الفتاح أبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، بحلب، ١٤٠٨هـ.

٥٥- القواعد والإشارات في أصول القراءات، لابن أبي الرضا الحموي المتوفى سنة ٧٩١هـ، بتحقيق االدكتور عبد الكريم بن محمد الحسن بكار، دار القلم، دمشق، سنة ١٩٨٦م.

٥٦- كتاب قوانين الدواوين، لابن مماتي، تحقيق الدكتور عزيز سوريال عطية، وإشراف الأمير عمر طوسون، مصورة مكتبة مدبولي، القاهرة، سنة ١٤١١هـ=١٩٩١م.

٥٧- الكتاب لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، الخانجي، القاهرة، ١٩٨٣م.

٥٨- كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، طبعة مكتبة لبنان سنة ١٩٩٦م.

٥٩- كشف الظنون عن أسامي الكتب، حاجي خليفة، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، بلا تاريخ، مصورة عن طبعة المعارف، استنبول، ١٩٤١م.

٦٠- الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، اعتنى به محمد الحافظ التيجاني وعبد الحليم محمد عبد الحليم وعبد الرحمن حسن محمود، دار الكتب الحديثية، القاهرة، ١٩٧٢م.

٦١- لسان العرب، لابن منظور، طبعة صادر بيروت ١٩٩٠م.

٦٢- لغة الشعر: دراسة في الضرورة الشعرية، للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٦م.

٦٣- اللغة بين المعيارية والوصفية، للدكتور تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٢م.

٦٤- لغة مقدسة وناس عاديون: معضلات الثقافة والسياسية في مصر، لنيلوفر جائرى، ترجمة عيدراوس ومراجعة مديحة دوس، المركز القومي للترجمة، القاهرة، سنة ٢٠١١م، (١٦٩٢).

٦٥- متخير الألفاظ، لابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ، تحقيق: هلال ناجي، المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي، الرباط، المغرب، ١٩٧٠م.

٦٦- المختار من كنوز السنة النبوية، شرح أربعين حديثا في أصول الدين، الدكتور محمد بن عبد الله دراز، رحمه الله، طبعة دار العلم، الكويت والقاهرة، سنة ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م.

٦٧- مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات للدكتور إبراهيم بن سعيد الدوسري، دار الحضارة، الرياض، سنة ٢٠٠٨م].

٦٨- المختصر في أصول الحديث، للجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤٠٣هـ، ونشره أيضا الدكتور مصطفي أبو سليمان الندوي، مكتبة نزار مصطفي الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

٦٩- المختصر في علم أصول الحديث النبوي، لابن النفيس، تحقيق الدكتور يوسف زيدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٢هـ= ١٩٩١م.

٧٠- المخطوط العربي، د. عبد الستار الحلوجي، الدار المصرية اللبنانية، والقاهرة سنة ٢٠٠٢م

٧١- مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ، لابن الطحان السحائي المتوفى سنة ٥٦١هـ، بتحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، الشارقة، سنة ٢٠٠٧م.

٧٢- مشكل ألفاظ المقامات ونبذ من شرح غريب المقامات، لعلي المعافري القرطبي المتوفى سنة ٥٦٦هـ، تحقيق: حياة قارة، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م.

٧٣- مصطلح السفينة عند العرب، لهانس كندرمان، ترجمة نجم عبد الله مصطفي، المجمع الثقافي، بأبي ظبي، الإمارات العربية المتحدة، سنة ١٤٣٢هـ=٢٠٠٢م.

٧٤- مصطلحات البحث والتأليف الأدبي عند العرب، للدكتور أحمد جاسم النجدي، ضمن: كتاب لمورد: دراسات في اللغة، بغداد، ١٩٨٦م

٧٥- المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم، محمود شيت خطاب رحمه الله، طبعة دار الفتح، بيروت ١٣٨٦هـ= ١٩٦٦م.

٧٦- مطالعات في كتاب فصول في فقه العربية، للدكتور علي جواد طاهر، مجلة العرب ج٣-٤، للسنة ٢٢ رمضان/ شوال سنة ١٤٠٧هـ= مايو/ يونيه سنة ١٩٨٧م.

٧٧- معاجم الأبنية في اللغة العربية، للدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٥م.

٧٨- المعاجم العربية، دراسة تحليلية، الدكتور عبد السميع أحمد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٤م.

٧٩- معجم البلاغة العربية، للدكتور بدوي طبانة، دار المنارة، جدة، ودار ابن حزم، بيروت، سنة ١٩٩٧م.

٨٠- معجم المصطلحات الأرشيفية، لبيتر فالن، ترجمة غسان منير سنو الدار العربية للعلوم، سلسلة المجلس الدولى للأرشيف رقم ٧، بيروت، سنة ١٩٩٠م.

٨١- معجم المصطلحات الحديثية، سيد عبد الماجد الفوري، دار ابن كثر، دمشق، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

٨٢- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، لفنسنك، مكتبة بريل، مدينة ليدن، سنة ١٩٣٦م.

٨٣- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.

٨٤- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، بتصدير: الدكتور إبراهيم مدكور، القاهرة، ١٩٨٥م.

٨٥- معجم مصطلحات البلاغة وتطورها، للدكتور أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، سنة ١٩٩٦م.

٨٦- معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق به، للدكتور عبد العلي المسئول، دار السلام، القاهرة، سنة ٢٠٠٧م/ والطبعة الثانية ٢٠١١م.

٨٧- المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، للدكتور علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠٠٣م.

٨٨- معرفة علوم الحديث، للحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، اعتنى به الدكتور معظم حسين، المكتب التجاري، بيروت، سنة ١٩٣٥م.

٨٩- مفاتيح العلوم، للخوارزمي، المتوفى سنة ٣٨٧هـ، تحقيق: فان فلوتن، تقديم: د. محمد حسن عبد العزيز، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر (١١٨)، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٩٠- مقدمة ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٩هـ= ١٩٨٩م.

٩١- مقدمة ابن خلدون، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٩ - ١٩٨١م.

٩٢- المقرَّب، لابن عصفور، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري، وعبد الله الجبوري، بغداد، ١٩٧١م.

٩٣- المواد التي استعملها المسلمون في الكتابة، الدكتور ماهر محمد حمادة، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، ع ٩، لسنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م

٩٤- موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بإشراف الدكتور محمود حمدي زقزوق، وزارة الأوقاف، القاهرة، ٢٠٠١م.

٩٥- نحو علم مخطوطات عربي، للدكتور عبد الستار الحلوجي، دار القاهرة، سنة ٢٠٠٤م.

٩٦- نشأة النحو، للشيخ محمد الطنطاوي، دار المنار، القاهرة، ١٩٨٧م.

٩٧- النظام الاقتصادي في الإسلام: مبادئه وأهدافه للدكتور أحمد العسال والدكتور فتحي أحمد عبد الكريم، مكتبة وهبة ١٤٢١هـ= ٢٠٠١م.

٩٨- النكت والعيون، للماردي، طبعة دار الصفوة، القاهرة، سنة ١٩٩٣م.

99- Webster’s Third new international Dic. U.S.A, Chieago, 1981.



الخاتمة

وبعد..

فإن هذه التجربة التي امتدت على طول فصول هذا الكتاب التي اتسعت لتغطي على جغرافية الفكر الإسلامي العربي مساحة شاسعة- تبرهن على مجموعة من المحددات التي حكمت مسيرة النشاط المعجمي العربي أو قطاع منه، ظل مسكوتا عنه لفترة طويلة جدًّا، وما يزال، بسبب من الانتصار غير الصحي للبحث المعجمي تأريخا وتصنيفا ونقدا المنحاز للتقليدية والتكرار.

وقد حرصت هذه الفصول أن تؤكد أن المعجمية العربية ظلت حاضرة بامتياز في خلفية العالم الذي شكله التصور الإسلامي، وخلقه، وأوجده في مدركات العقل العربي المسلم.

لقد تقدمت المعجمية لتخدم نصوص الوحي في أصليه العظيمين (معاجم الغريبين)، وما نتج عنه ودار في فلكه من علوم (معاجم الفقه المعاصرة/ معاجم مصطلح الحديث)، وما هدف إليه ترسيخه في الحياة من النظر إلى الله تعالى (العناية بمصطلحات العقيدة).

ثم تقدمت مرة أخرى غير هيابة إلى منطقة خدمة المنجز الحضاري للأمة، أصولا وتطبيقات وأثرًا، فظهرت معاجم علم المخطوط، ومعاجم البحث والتأليف، لتبرهن على وعي أصيل بقيمة الوعاء المستوعب للعلم (المخطوط) في الحضارة العربية، وطرائق الإفادة منه في (البحث والتأليف). كما ظهرت معاجم ألفاظ الحضارة، والاقتصاد، والعسكرية؛ لتقرر تمدد التجليات المصاحبة والناتجة معا عن التصور الجديد للعالم الذي ولد ميلاده الجديد بسبب من انتشار حضارة الكتاب العزيز.

وظهر أثر هذه الحضارة في الاستجابة لدواعي التطوير على ما يعكسه الفصل الخاص بأثر البلاغة في تطوير المعجمية العربية على مستوى خطابي التصنيف والوظائف.

لقد كان هذا الكتاب في كل ما عالجه حريصا على التوقف أمام مادة المنجز، وأمام منهجيات التصنيف من جانب، ثم كان حريصا على استنطاق هذا المنجز من جهة ما هدف إلى تقديمه من غايات ومقاصد، وما سعى إلى ترجمته في تربة العلم، ورمى إلى تحقيقه، وهو ما يفسر انشغال الكتاب في فصوله جميعا بخطاب الوظائف.

إن المعجمية العربية الإسلامية بما هي نبت كريم لحضارة الكتاب العزيز كانت طماحة أبدا إلى معانقة النفع، والتطلع إليه.

كانت تتحرك في المجتمع العلمي، وعينها على ثلاث مناطق مجتمعة هي:

أولا– منطقة المستعمل؛ الإنسان العربي المسلم في طموحه نحو التعلم، والارتقاء، والتزكية.

ثانيا– منطقة المستقبل في طموح لا يتوقف، ولا يعرف حدودًا أو حواجز، تصحيحا لمنجز الماضي، واستكمالا لنواقصه، وتفتيحا لمسارات جديدة في التصنيف.

ثالثا– منطقة المادة؛ ذلك أنه يصعب أن تجد منطقة في الخريطة المعرفية لم تتقدم المعجمية العربية العامة والمختصة معا في التاريخ التراثي لعلم المعجم إلى خدمتها، والحنو عليها، والتعاطف معها.

وهو ما يفسر لنا ميلاد معجمات خادمة لعلوم الشريعة (علوم الغايات) وعلوم العربية (علوم الآلات)، وعلوم الحكمة معا.

لقد حاول هذا الكتاب؛ ولعله أحرز بعضًا مما يؤمله، أن يترجم عن أثر الفكرة الإسلامية في إنسانيتها وشمولها معًا في تاريخ المعجمية العربية.

إنني ما زلت أعتقد، وفي اعتقادي بعض من صواب، أن المعجمية العربية قادرة على أن تكشف عن رؤية جديدة للعالم أخرجها إلى النور هذا الدين العظيم.

***

الفهرس

***